



ديوان صقر الشبيب

جمعه وقدم له

أحمد البشر الرومي



الطبعة الثانية

أعدّها وأضاف إليها وقدم لها

الدكتور يعقوب يوسف الغنيم

ديوان صقر الشبيب

الدكتور يعقوب يوسف الغنيم

الطبعة الثانية

الناشر

مؤسسة محمد بن عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

الكويت 2008

ديوان صقر الشبيب

جمعه وقدم له

أحمد البشر الرومي

الطبعة الثانية

أعدّها وأضاف إليها وقدم لها

الدكتور يعقوب يوسف الغنيم

الكويت

2008

الصف والتنفيذ
قسم الكمبيوتر \$ الأمانة العامة للمؤسسة

تصميم الغلاف
محمد عبدالوهاب

فهرسة مكتبة الكويت الوطنية أثناء النشر

811.9538 الشبيب، صقر.

صقر الشبيب: الديوان / أعده وقدم له يعقوب يوسف الغنيم. - ط2. - الكويت: مؤسسة جائزة

عبدالعزیز سعود البابطين للإبداع الشعري، 2008

736 ص؛ 24 سم

ردمك: 1 - 24 - 72 - 99906 - 978

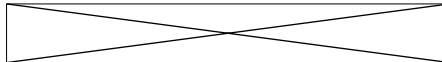
1 - الشعر العربي - دواوين وقصائد - الكويت - العصر الحديث. أ. الغنيم، يعقوب يوسف.

ب. العنوان.

ردمك: 1 - 54 - 72 - 99906 - 978 ISBN

رقم الإيداع : 2008 / 250 Depository Number

حقوق الطبع محفوظة



هاتف: 2430514 فاكس: 2455039 (00965)

E-mail : kw@albabtainprize.org

التصدير

كان صقر الشبيب ثالث ثلاثة اختارهم مجلس أمناء مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، ليتم الاحتفاء بهم في الدورة الحادية عشرة للمؤسسة، دورة «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين» من خلال إصدار كل ما تصل إليه اليد من إنتاجهم الشعري ضمن ديوان كامل، أما الشاعران الآخران فهما عبدالغفار الأخرس وإيليا أبي ماضي، وثلاثتهم واردون في المعجم بإيجاز كغيرهم من شعراء القرنين، ورأى مجلس أمناء المؤسسة نشر إبداعهم كاملاً كممثلين لشعراء القرنين التاسع عشر والعشرين.

ولئن كان شعر صقر الشبيب موضع اهتمام عدد من أبناء الكويت البررة الذين تابعوا تراثها الشعري والأدبي، وأولوا اهتماماً خاصاً لإبداع هذا الشاعر، وفي المقدمة منهم المرحوم أحمد البشر الرومي والمرحوم عبدالله زكريا الأنصاري، والأستاذ الدكتور يعقوب الغنيم أطال الله عمره، فإن المؤسسة سعت بجهد خاص من الأستاذ الدكتور يعقوب الغنيم لجمع شتات شعر الشبيب من مظانه ومصادره ليكون بكليته بين أيدي الباحثين والقراء وذوي الاهتمام.

ومع كل هذا فإننا نرى أن المرحوم الشاعر صقر الشبيب لم ينل حظه من الاهتمام الكافي والملائم الذي يناسب قامته الشعرية في بلده وإقليمه ووطنه الكبير، ولعل جمع الديوان كاملاً سيكون حافزاً لمن شاء من الباحثين لإجراء الدراسات والأبحاث عن إبداعه واستجلاء أغراضه وفنونه الشعرية، التي تمثل - دون شك - سجلاً ثميناً للفترة التي عاشها الشبيب مبدعاً بين ظهرانيها، ولنا أن نقدر فترة عطائه الأشمل، فشاعرنا ولد عام ١٨٩٦ والقرن التاسع عشر يودع تقويم الزمن والقرن

العشرون يطل على العالم، وتوفي عام ١٩٦٣، فكانت فترة عطائه الرئيسية ممتدة منذ فجر ثلاثينيات القرن الماضي وحتى بدايات العقد السادس منه وهي فترة تقارب ثلث القرن، وقد شهدت من التطورات والأحداث ما لم تشهده فترة أخرى من القرن المشار إليه، إذ حدثت فيها الحرب الكونية الثانية واكتوى العالم - ومنطقتنا في الصميم منه - بويلات هذه الحرب، كما أن الفترة نفسها شهدت موران حركات الاستقلال والتحرر العربي وزخمها، فلم يكن الشبيب رحمه الله متوقعاً على الاهتمام بأحداث بلده أو إقليمه وإنما تعدى اهتمامه إلى وطنه العربي الكبير، ويؤكد ذلك اهتمامه المتواصل من خلال إبداعه، فكتب قصائد في قضية فلسطين وثورة ٢٣ يوليو في مصر عام ١٩٥٢ والوحدة بين مصر وسورية عام ١٩٥٨ وحرب التحرير الجزائرية التي اندلعت عام ١٩٥٤، ومتابعته ضيوف الكويت من رواد النهضة العرب والترحيب بهم من خلال قصائده كالزعيم التونسي عبدالعزيز الثعالبي وغيره. هذا فضلاً عن مواكبة التطورات الحاصلة في الكويت على مستوى الفرد والمجتمع وحتى الاقتصاد والدولة.

لقد كان شاعرنا بحكم العاهة التي ابتلي بها منطوياً على نفسه يميل إلى الوحدة والانفراد - حتى لا نقول إنهما كانتا مفروضتين عليه - فلزم بيته وجعله محبساً آخر له بعد محبسه بعاهة كف البصر، فرقت أحاسيسه وتنوعت، فعاتب من خلال شعره وتشاءم، وتشكك وتحير ويأس وأمل وسعد وشقي وآمن، وكره البخل والنفاق والسباب لأنه يراه سلاح العاجزين، وأحب الصراحة والنصح والحكمة، وألجأته ظروفه إلى تقدير القناعة حق قدرها.

لقد تلامس صقر الشبيب برغم عاهته مع شؤون الحياة اليومية فكتب عن بائع الغاز وإزعاجه للناس وخرق هدوئهم وتحدث عن مشكلة ندرة الماء في الكويت ورسوم البلدية والجابي والغلاء، وتأذى لمشهد تعذيب الطير والحيوان فأعاد إلى الأذهان سيرة رهين المحبسين الأول ونزيل معرة النعمان (أبو العلاء المعري).

عزيزي القارئ

وإذ نشمن جهد الباحث والأديب الكبير المرحوم أحمد البشر الرومي \$ جمع تراث الشاعر والحرص على نشر ديوانه، فإنه مما يسرنا أن ننشر هنا ولأول مرة الديوان الكامل للشاعر صقر الشبيب بعناية الأستاذ الدكتور يعقوب الغنيم، حيث راجع وأعد القسم الرئيسي وأضاف إضافاته في القسم الثاني وأفرد في القسم الثالث مساحة لإضافات الأستاذ سيف مرزوق الشمالان. فلكل من أسهم في هذا الجمع جزيل الشكر وعظيم التقدير، والشكر الخاص لكل أفراد أسرة الشاعر الذين أذنوا - ممثلين بالأستاذ خالد الدين - للمؤسسة بنشر هذا الديوان بصورته الكاملة تخليداً لذكرى الشاعر الكبير.

القارئ الكريم..

هذا كل ما وصلنا من شعر الشبيب أمامك بين دفتين وهو بهذا يجتمع لأول مرة، فنرجو لك الإبحار المثمر في إبداعات هذا الشاعر الإنسان الذي مثل - إلى جانب كوكبة أخرى من المبدعين عاشت الفترة ذاتها - وطنه الكويت إبداعاً وبيئة وحياة وتطوراً.

والله ولي التوفيق...

عبد العزيز سعود البابطين

الكويت في 18 رجب 1429هـ

الموافق 21 يوليو 2008م

التقديم

كان مما أسعدني اتصال مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، بي، لتبلغني برغبتها في إعادة طبع أشعار شاعر الكويت صقر بن سالم الشبيب، وأن اختيارهم وقع عليّ من أجل الإشراف على طبعها.

وكان مصدر سعادتي بهذا الاتصال، بالإضافة إلى إحساسي بموقعي لدى القائمين على الجائزة، هو ارتباطي العميق بهذا الشاعر وإن لم أتمكن من لقياءه، ذلك لأن المرحوم أحمد البشر الرومي كان بالنسبة لي هو المرأة التي أرى شاعرنا من خلالها، فمنه أسمع أشعاره، وأتتبع أخباره، وأعرف عنه كل ما أريد معرفته، وقد ازدادت معرفتي بصقر الشبيب حين أقدم الأستاذ أحمد البشر على إعداد الديوان للنشر، وكان ذلك في سنة ١٩٦٨م حين كنت أقوم بدور الناشر.

وأذكر أن صاحبي قد أصيب بمرض خطير ونقل إلى لندن من أجل العلاج، فكنت أرسل له كل (ملزمة) تطبع من ملازم الديوان، لأنه كان حريصاً على المتابعة، ولأنني كنت أشعر أنه يسعد بذلك. ولذا تراه قد كتب في أوراقه الخاصة عن تسلمه لتلك الملازم كلما جاءه شيء منها.

لقد كان أحمد البشر الرومي محباً لصقر الشبيب مداوماً على الالتقاء به وقضاء ما يحتاج إليه من حوائج، وكان يجمع شعره من عدة مصادر منها ما أخذ منه شفاهةً ومنها ما كان مكتوباً في عدد من الصحف التي كانت تصدر في تلك الأيام في الكويت وفي ما جاورها، وقد اجتهد كثيراً في جمع تلك الأشعار حتى أوشك أن يكون الديوان الذي طبع في سنة ١٩٦٨م كاملاً..

أورد أحمد البشر الرومي طرفاً مما يتعلق بمشكلة نشر الديوان في طبعه الأولى، ذكرته في كتابي الذي تضمن أوراقه الخاصة ومما جاء في تلك الأوراق: «أكدت محكمة الاستئناف ما جاء في حكم محكمة أول درجة من ثناء على ما

قمنا به، كلُّ من جانبه فيما يتعلق بنشر هذا الديوان، فكان ذلك تعبيراً عن موقف العدالة في الكويت تجاه العمل الأدبي، فجاء في الحكم (الدعوى رقم ٥٤ و ٥٦ / ١٩٧٢ مدني): «ومن حيث إن هذه المحكمة تقرر محكمة (درجة أولى) على ما جاء في أسباب حكمها لمجهود الجامع لقصائد الديوان وناشره، فإنهما قد أسديا خدمات جليلة إلى الشاعر، وإلى أسرته، وإلى دولة الكويت، وإلى رجال الثقافة والشعر والفكر والأدب في كل بلد ناطق بالضاد - أما بالنسبة للشاعر فقد نشر شعره على الناس وأطلعاهم على فنه الرائع، وقصائده التي تشيع فيها موسيقى الشعر الحلو السهل المحبب للناس، والتي تدل على دقة حس الشاعر، ورقة نفسه، وصفاء روحه، وفي ذلك إحياء لذكرى الشاعر، وإكبار لفنه وأدبه.

وقد جُلّي جامع القصائد حياة الشاعر في مقدمة يلمس القارئ فيها صدق الوفاء له، والتقدير لفنه، والإعجاب بخلقه ودينه وعطفه على الناس، ولعله لولا جهد الجامع والناشر لبقيت قصائد الشاعر مهملة، لا تمتد إليها يد، ولا يعرف بقدرها إنسان، وأما أسرته فحسبها أن نَبَتَ فيها شاعرٌ ذاع شعره، وقرأه الداني والقاصي، وما تأتّى ذلك إلا بطبع الديوان، وأما دولة الكويت، فقد عرف الناس أنها أنجبت شاعراً فحلاً يزاحم الشعراء في الدول الأخرى، ويركض معهم في حلبة الأدب والشعر، وأما رجال الثقافة والفكر فقد قرؤوا الديوان وأفادوا منه، وكان فيه منفعة لهم وفائدة فنية عظيمة.

وأكبر الظن أنه لولا أن المستأنفين يقدران الشاعر، ويعجبان بشعره وأدبه لما قاما بعملهما المشكور، وسواء أفادا كسباً مادياً أم لم يفيدا، فإن ما عاد على أسرة الشاعر أكبر من الكسب المادي وأحسن».

أما عن وفاة صقر الشبيب التي كانت في اليوم العاشر من شهر أغسطس لسنة ١٩٦٣م، فكتب أحمد البشر ما يلي: «الساعة الخامسة والربع، ومنذ الساعة الثالثة والنصف وأنا أحاول أن أنام كالعادة غير أن النوم لم يسعفني، ولم أسترح دون نوم، وبقيت مستيقظاً أحاول أن أتسلّى بأي شيء غير أنني لم أجد أي شيء يزيل من صدري الضجر من جراء تذكري وفاة صقر، والذي يحز في نفسي أنني لم أكن حاضراً ساعة وفاته لأودعه الوداع الأخير، ذلك آن آخر لقاء التقيته فيه منذ شهرين ونصف على وجه التقريب، ثم إنني حاولت أن أتصل به وقد قرعت عليه الباب مرتين إحداهما قبل وفاته بشهرين والأخرى قبلها بتاريخ ١٠/٧/٥٣ وكان في كل عام يعلن ابتداءً من الشهر السابع إلى نصف الشهر التاسع أنه مريض من شدة الحر وأنه لا يستطيع مقابلة

أي إنسان حتى أعز أصدقائه، ولعلمي بهذا القانون الذي سنه منذ خمس سنوات لم أود أن أفرض نفسي عليه رغمًا عنه، لهذا سافرت ولم أودعه ولست أدري متى أسلوه وتتصرف النفس عن ذكراه.

إنه شخصية لا يمكن أن تُنسى فهو مزيج من الوفاء والكرم والشهامة والحفاظ على ما للصداقة من حقوق حتى أبسطها وأدقها، ويتفانى في ذلك تفانيًا يقلق راحته ويكدر صفوه.

إذا بدرت منه كلمة واعتقد أنها ربما فيها إشارة إلى ما سييء (وعادة لا تكون هذه الكلمة ذات أهمية) بقيت هذه الكلمة تقلق راحته حتى يلقاك فيشرح لك شرحًا طويلاً وافياً ما قصد في هذه الكلمة، ثم لا يكتفي بذلك فلا يلبث أن يعيد الموضوع مرة أخرى ثم ثالثة ثم رابعة حتى تزهق نفسك من التكرار.

وفي الساعة السادسة نزلت في الصالون التابع للفندق وجلست على أحد الكراسي أفكر في وفاة صقر».



حرص أحمد البشر الرومي على أن يقدم للديوان بمقدمة وافية تناول فيها حياة الشاعر، ودراسته، وعلاقاته بالأدباء والشعراء. ولم يترك شيئاً يتعلق به إلا وقد ذكره في هذه المقدمة. وعندما صار من واجبي القيام بما طلبت مني هذه المؤسسة الكريمة، وجدت أن من غير المعقول أن أعيد بقلممي ما سبق أن كتبه الرومي ولكني استحسنيت الكتابة عن شعر الشاعر، وعن بعض الملحوظات التي يجدر بواحد مثلي أن يقدمها، كما أنني أضفت إليه بعض القصائد والمقطوعات التي عثرت عليها أو أمدني بها بعض الإخوان.

أمل أن يكون في ما سوف يراه القارئ فائدة إضافية تضم إلى الفوائد الكبيرة التي جنيهاها من عمل الأستاذ أحمد البشر الرومي.

والله ولي التوفيق،،

د. يعقوب يوسف الغنيم



المدخل

الفرع الأول

كتبه: الأستاذ أحمد البشر الرومي

صقر الشبيب

نسبه:

سألته ذات يوم - وكنا نتناول شتى الأحاديث - عن نسبه، وذلك عام ١٣٥٥هـ الموافق ١٩٣٦م، فقال: إنه صقر بن سالم بن شبيب بن مزعل بن دهيرب بن رومي الشمري، ومن المعروف أن قبيلة شمر التي ينتسب إليها قبيلة كبيرة، مقرها مدينة حائل والأطراف المجاورة لها، وفي موسم الربيع ينبت الكلاً في قسم كبير منها في شمال الجزيرة حتى نجد.

وكانت حائل قبل خمسين عاماً تستمد أكثر حاجاتها من الكويت بواسطة القوافل.

وأول من اتخذ الكويت موطناً له من أجداد شاعرنا هو دهيرب، أما مزعل وشبيب وسالم فقد ولدوا في الكويت.

ولد شاعرنا في مدينة الكويت في الحي الشرقي منها، وذلك حوالي عام ١٣١٢هـ الموافق ١٨٩٦م، وأصيب بالعمى إثر إصابة عينيه بمرض لم يفلح العلاج فيه، وكانت سنه آنذاك تسع سنوات، وكان يتصور الألوان وبعض ملامح أقاربه وجيرانه.

الولد والوالد:

عاش شاعرنا مع والده وأخته، بعد أن توفيت والدته التي كانت تعطف عليه، وكان يواصل الذهاب إلى الكتاب الذي كان يُحفظه القرآن الكريم، ولم يكن «الملا» الذي يحفظه القرآن يجيد شيئاً غير قراءة القرآن، فحفظ القرآن الكريم، وأخذ بعد ذلك يطالع بعض دواوين الشعر الميسورة لديه بواسطة بعض الأصدقاء، وكان والده لا ترضيه هذه المطالعة، وكثيراً ما يردد على مسامع ابنه (الشعراء يتبعهم الغاؤون) ويلح على ابنه في الانضمام إلى قرأء الموالد والذكر، غير أن الابن لم يرض لنفسه أن ينزل إلى ذلك المستوى الذي كان والده يتمنى أن يصله ابنه، لهذا نشأت بينه وبين والده وحشة، اضطرتته إلى أن يتحاشى

وجوده مع والده في البيت في آن واحد، فكان يتغيب عن البيت في الوقت الذي يظن أن والده موجود فيه، متفادياً لوم والده وتأنيبه.

عاش مع والده على هذه الصورة حتى عام ١٣٣٢هـ، ١٩١٤م، فرأى أنه لا يستطيع الإقامة في الكويت للأسباب المتقدم ذكرها، فعزم على السفر إلى الأحساء، ومن المعروف أن في الأحساء آنذاك زمرة من الفقهاء المشتغلين بتدريس علوم الدين واللغة، ويضيفون الطلبة على حساب ما يتقاضونه من ريع الأوقاف المكونة من النخيل والعقارات الموقوفة لهذه الغاية، لكونهم أئمة في المساجد التي لها مثل هذه الأوقاف، ويسكن الطلبة في بيوت معدة لهذه الغاية، لأن من يدرس في الأحساء لا يحتاج إلى مصاريف، أما مصاريف السفر من الكويت إلى الأحساء فإنها لا تتجاوز الدينارين ذهباً وإياباً في ذلك الوقت، وقد دفع هذا المبلغ شاعرنا من جيبه كما أخبرني بذلك. وصادف أن أحد أصدقائه، وهو المرحوم محمد بن حمد الرومي، الذي كان يسافر إلى الأحساء كل عام، وذلك في فصل الشتاء، لوجود زوجة له في الأحساء، تم الاتفاق بينه وبين صديقه على السفر معاً، وسافر الإثنان على ظهر الباخرة إلى البحرين، ومنها في سفينة شرعية إلى العجير، ثم إلى الأحساء على ظهور الحمير. وأقام شاعرنا عند الشيخ عبدالعزيز العلجي، نسيب صديقه، وكانت له معرفة به وصحبه في أثناء زيارات الشيخ المذكور للكويت في كل عام، والشيخ عبدالعزيز العلجي فقيه، وله إلمام واسع بعلم النحو والصرف.

أقام شاعرنا في الأحساء ما يقارب السنة والنصف، وأصيب في الأشهر الستة الأخيرة من إقامته في الأحساء بملاريا الأحساء المشهورة، التي كادت تقضي على حياته، فقفّل راجعاً زاهداً في الأحساء أشد الزهد، لما عاناه من المرض، والتعصب الشديد الذي كان عليه رجال الدين هناك.

وفي أحد الأيام كنت أتحدث معه عن الأحساء ومياها وزراعتها وطقسها، فقال في أثناء حديثه عنها: عندما كنت في الأحساء كنت أحس بأنني في بيئة غريبة، وبين سكان أنا غريب فيهم، فتفكيرهم يختلف عن تفكيري، واتجاهاتهم تختلف عن اتجاهي، ويوم كنت في الأحساء كنت تلميذاً لا يصح لي - حسب العادة هناك - أن أناقش الشيخ في مسألة ما،

فعليّ أن أسمع وأحفظ فقط، وكثيراً ما يقرّر الشيخ في أثناء دروسه مسائل أرى أن لي اعتراضاً عليها، غير أنني لا أستطيع أن أتفوه بذلك أو أبدي بعض الملاحظات، لأن ذلك يعد في عرف التعليم هناك اعتراضاً على الشيخ المدرس، ووراء ذلك ما وراءه من غضب الشيخ ونقمته.

ثم قال: ومما يزهّد المرء في الأحساء تعصب رجال الدين، وتطرفهم في التعصب إلى حد يكاد يخرجهم عما درج عليه السلف من علماء المسلمين، فهناك كل شيء حرام أو مكروه، وليس في قاموس الحياة عندهم شيء اسمه التسامح، وسأقص عليك مشهداً من المشاهد الكثيرة التي عاصرتها هناك. قال:

نمى إلى هؤلاء الفقهاء أن هناك امرأة في حيهم بانت عليها أعراض الحمل، وهي غير متزوجة، فعدّوا اجتماعاً تداولوا فيه أمرها، فاستقر رأيهم على عرض قضيتها على القاضي ليحكم بإقامة الحد عليها - وهم فرحون بذلك - إذ إنهم لا يستطيعون تنفيذ ذلك إلا بحكم يصدر عنه، وكان يتولى القضاء أحد الفقهاء، ممن أودع الله في قلوبهم شيئاً من الرحمة، وعندما بلغ القاضي أمر هذه المرأة أرسل إليها إحدى نساءه لتخبرها بما سيتم في أمرها، وأن توصيها بأنها إذا حضرت عنده وأمام من ينوب عن هؤلاء الفقهاء أن تقول: إنني مغصوبة من قبل رجل لا أعرفه، وذلك في مكان الإحتطاب، فلما حضرت المرأة وسئلت قالت نفس العبارة، فحكم القاضي بإعفائها من إقامة الحد عليها، وعندما علم الفقهاء بذلك نعموا على القاضي. ثم قال: وبعد هذه القضية وما قاسيته من الحمى لم أستطع البقاء في الأحساء، فغادرتها والحرب العالمية الأولى على أشدها، وقلت أحياناً لا أذكر منها الآن إلا هذا البيت:

لئن عدت للأحساء يوماً فإنني
لأأم خلق الله طراً وأفجر



وصل الكويت في غضون عام ١٩١٦ تقريباً، وكان هدفه أن يصبح في يوم من الأيام واعظاً في أحد المساجد، وفعلاً طلبه أهل المحلة ليعظهم في شهر رمضان. ورضي عنه

والده بعض الرضى، غير أنه لا يزال يؤاخذ على مطالعته الشعر وحفظه، وانبرى منافسوه لمنافسته على المكانة التي نالها، فأخذوا يكيدون له عند أبيه مرة ثانية، فتأزمت الحال على أشد ما يكون بينه وبين والده، فترك بيت أبيه إلا من إمامة لزيارة أخته والاطمئنان عليهما، وذلك على غرة، عندما يغيب والده عن البيت.

في هذه الفترة ترك الوعظ في المسجد وأكب على إتمام حفظ متن الألفية ودراساتها على شرح ابن عقيل، وذلك على يد الشيخ عبدالله الخلف الدحيان وبعض من يزور الكويت ممن لهم يد في النحو، حتى أتم دراستها وفهمها فهماً جيداً، وكان الشيخ عبدالله الخلف الدحيان يوليه العناية التامة، ويقدمه في مجلسه، ويزوره إذا هو تأخر عن عادته في زيارة الشيخ المذكور.

وكان الشيخ عبدالله الخلف يدعوه في بعض الأحيان للغداء معه، وأذكر أنه دعاه يوماً على الغداء، وذلك في يوم شديد الحرارة، فأرسل شاعرنا هذه الأبيات يعتذر فيها عن عدم الحضور، قال:

إذا وصلت خمساً ولم آت نحوكم
فلا تنتظرنى للغداء فيفسدا
وكله هنيئاً غير معقب تخمة
مريئاً وقم بين الأخلاء منشدا
تعود خُلف الوعد صقراً وإنما
(لكل امرئ من دهره ما تعودا)

وامتدت الصلّات الوثيقة بين الاثنين حتى وفاة الشيخ عبدالله الخلف الدحيان عام ١٣٤٩هـ، ١٩٣٠م، فرثاه الشاعر بقصيدتين هما من أجود شعره.

وفي سنة ١٩١٨ توفي والده، وترك له ولأخته البيت، ذلك البيت الخرب المتداعي، والذي لا يحجب من بداخله عن الشارع - إن صح ان تسمى تلك الخربة بيتاً - ترك تلك الدار الخربة، ولم يترك معها قوت يوم واحد.

كان والده يزاوّل مهنة الغوص في أيام شبابه وقوّته، ثم تقدّمت به السن فامتھن صيد السمك، ثم عجز عن الإبحار مع الصيادين إلى مناطق الصيد، فأخذ يحترف مهنة الصيد بقرب الساحل، وهذا يعني أنه لا يصيد من الأسماك إلا الشيء الطفيف الذي لا يقيت عائلته، فباع القارب الذي يملكه ليعيش بثمنه، ثم وافته المنية عن عمر يناهز الثمانين.

كان والده - إلى جانب شيخوخته - مصاباً بالشلل في وجهه، مما ترك فمه يميل إلى جهة الشمال قليلاً.

وعندما وجد شاعرنا نفسه بعد وفاة والده رب أسرة، عليه أن يقوم بإعاشتها، وأن يقوم قبل كل شيء بإصلاح البيت وبنائه من جديد، ليصبح صالحاً للسكن وليس لديه ما يمكنه من ذلك، رأى أن يلجأ إلى من يستطيع إنقاذه.

كان حاكم الكويت في تلك الأيام المرحوم الشيخ سالم المبارك الصباح، وكانت للشاعر معرفة به أيام كان الشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت، وكان الشيخ سالم يقطن قرية الفنطاس، لما بينه وبين والده من خلاف هينٍ، من ناحية، ولصلة المرحوم الشيخ سالم المبارك الصباح الوثيقة بالشيخ أحمد الفارسي، الذي كان له بستان في قرية الفنطاس، والشيخ المرحوم أحمد الفارسي أحد علماء الدين، فقد أتم دراسته، ونال شهادة العالمية بالأزھر، فكان الشيخ سالم يدرس على يديه الفقه على مذهب الإمام مالك، وكان شاعرنا - وذلك قبل سفره إلى الأحساء - وهو صغير السن يحضر مثل هذه الدروس التي كانت تلقى تحت ظل الأشجار في ساعات الصباح الأولى وبعد صلاة العصر.

وكان قد سبق للشاعر بعد وصوله من الأحساء أن قدم قصيدة للشيخ سالم يشكو فيها من كثرة إراقة الماء في الشوارع، مما يسبب المضايقة للعميان في أثناء سيرهم، وقد صاغ تلك القصيدة بأسلوب قصصي، مدارها أن أرملة لم يخلف لها زوجها إلا دجاجة، كانت تجمع بيضها وتبيعه لتطعم بثمنه أيتامها، وأنها عثرت بهذه المياه وتكسّر ما تحمله من بيض، فظلت تبكي، وقد مرّ بها الشاعر وهي على هذه الحال، ومطلع القصيدة:

ومحزونة في الدرب تبكي وتلطمُ
وتُعولُ عن عِظَم المصابِ وتُرزِمُ

ومنها:

فأخرجت من جيبِي دراهمَ خمسةً
ولم يكْ عندي غير هاتيك درهم
فناولتها ما يَسُرُّ اللهَ قائلاً
خذي واعذري إنِّي لَمَثْلُكَ مُعَدَم
دعت لي إذ ناولتُها ثم أنشأتُ
تسبُّ الذي ألقى المِياه وتشتَم
فقلت أظُنُّ الشيخَ لو كان عالماً
بما منه نشقى في الطريق ونسأَم
لشدَّدَ في نهْي الرعايا عن الأذى
وهدَّدَهُم حتى يكفُوا ويُحجموا

وعلى أثر هذه القصيدة أمر الشيخ بمنع إراقة المياه في الشوارع، ووكل من يقوم بتنفيذ ذلك.

فراى أن يتقدم للشيخ سالم بأبيات يلوح له فيها بورطته، لعله ينقذه من هذه الورطة التي وقع فيها بعد وفاة والده، فبعث إليه بأبيات جاء فيها:
فيا فرحتي إن نلت عندك حاجتي
ويا حسرتي إن لم أنلها ويا خُسْري

ولما قدم الأبيات مكتوبة للشيخ قال له: ما حاجتك، فإننا على استعداد لقضائها، فشرح له شاعرنا قضية بيته المتداعي، فقال الشيخ: إنني أملك بيوتاً كثيرة، في كثير من أحياء المدينة، فاختر لك منها بيتاً صالحاً أسجله باسمك. فأجابه: إنني لا أحب أن أغير المحلة التي نشأت بها، فأمر الشيخ بأن يهدم البيت من أساسه، وأن يبني من جديد، وعلى

الكيفية التي يريدها الشاعر. وفعلًا بوشر في هدم البيت وإعادة بنائه، غير أن الوكيل تباطأ في العمل، فتوجه الشاعر بهذين البيتين إلى الشيخ سالم:

أبا الشهم عبدالله لو أنهم مشَوْا
إليه بجدًّا لابتئَوْهُ وتمَّمُوا
بعشرة أيام ولكنهم مشَوْا
إليه كما يمشي إلى السجن مجرم

فاستدعى الشيخ وكيله، وأنبه على هذا التباطؤ، وفي اليوم الثاني حشر الوكيل أكثر من ثلاثين عاملاً، ووقف معهم أياماً حتى أنهى البيت، فبيت الشاعر هو أول بيت قامت الحكومة بعمارته، وذلك قبل اكتشاف آبار النفط بزمانٍ طويل.

فكونت الحادثتان، - حادثة إراقة المياه وحادثة بناء البيت - ألفَةً متينةً بين الشيخ سالم، رحمه الله، والشاعر، وأخذ يتردد على مجلس الشيخ سالم بعد ذلك، وكان الشيخ يعتب عليه إذا تأخر عن حضور مجلسه عدة أيام، وكان يحثه على الاستزادة من علم اللغة العربية، ولم ينس الشاعر ذلك، فقد ذكره في إحدى قصائده، قال:

جئتُ للرفد وحده فإذا بي
منك أحظى بمُرفدٍ وبهاد
منذ حرّضتني على بذلٍ جدِّي
في تلقّي الفصحى وبذل اجتهادي
كان شغلي جميعه في نهاري
بل وليلي تطلُّباً للضاد
ولقد نقتُ طعمها الحلو حتى
ليس إلا منأئها من مرادي
ولك الفضلُ ليس لي أنْ تَأْتِي
لي ما رمتُ من لُغى الأجداد

الخ... والقصيدة في الديوان.

وكان يبره في كل مناسبة، مما سهل عليه الحياة، ويسر عيشه، وعندما توفي الشيخ سالم عام ١٣٣٩هـ، ١٩٢١م كان جزع الشاعر عليه جزعاً شديداً، وكان يتذكره في كل مناسبة بعد ذلك.

بعد وفاة الشيخ سالم توثقت صلته بالمرحوم الشيخ عبدالله السالم الصباح حاكم الكويت الراحل. وكان يجلس الشاعر ويقدره، فكان يستزيره ويود أن يكون الشاعر في مجلسه كل يوم، يناقشه بشرح بعض الأبيات وتفسير بعض الألفاظ اللغوية، فكان الشاعر يزوره مرتين في الشهر.

وكان شاعرنا في هذه الفترة قد توظف بإدارة المعارف آنذاك، فعيّنت له غرفة يجلس فيها لتدريس من يحب أن يدرس القواعد، أو من يود أن يستفسر عما غمض عليه من الأدب العربي، فكانت غرفته تعج بالشباب الناشئين، للتحدث معه في الأدب على اختلاف أنواعه شعراً أو نثراً.

بقي يداوم في هذه الغرفة ما يقارب العام، ثم حدثت أمور انقطع بسببها عن الدوام، ولزم بيته، وانقطع كذلك عن زيارة الشيخ عبدالله السالم، متعللاً بكثرة السيارات في الطريق، فكان المرحوم الشيخ عبدالله السالم يرسل له سيارته لتنقله أحياناً إلى قصر الشعب للاجتماع به، ثم رفض أن يخرج من بيته حتى بواسطة سيارة الشيخ، وأرسل للشيخ قصيدة يعتذر فيها عن تلبية طلبه مطلعها:

لئن لم أُرز في كل يوم محلّ من
عليّ له فضلٌ يجلّ عن الشكر

ومنها:

فليس لصقر أن يُبارح وكرة
إذا سدّت العينين منه يدُ الضُرّ
فما طار مكفوفُ الصقور فسلمت
جناحيه قبل اليوم عادية الكسر

إلى أن قال:

لهاتيكم الأسباب قُلْتُ زيارتي
وإن كنتُ من شوقي إليكم على جمر

فوافقه الشيخ عبدالله السالم على طلبه، وأعفاه من زيارته، وقد طلب سموه إلى إدارة المعارف أنذاك أن تُجريَ له راتباً دون أن تكلفه القيام بعمل ما، وبعد مدة أحالت دائرة المعارف راتبه على إدارة المالية التي أخذت تدفعه له كل شهر حتى توفاه الله.

سكن بيته الجديد وكانت أختاه قد تزوجتا وانضمتا إلى زوجيهما. وبقي في هذا البيت وحيداً، فانصرف للمطالعة، ونشر أول قصيدة له في مجلة «المرأة الجديدة» التي كانت تصدر في بيروت، فثار عليه الغوغاء بتحريض من بعض من يدعون أنهم من رجال الدين، متخذين من هذه القصيدة ومن تركه المسجد سبيلاً لمعاداته وإيذائه، وإليك ما قاله الشيخ عبدالعزيز الرشيد في كتابه «تاريخ الكويت» بهذا الصدد: «قامت قيامة بعض الجهلة على شاعر الكويت، عندما نشرت له مجلة المرأة الجديدة قصيدة بعنوان «يضر النصح» قال فيها:

وخلّوا في الديانات افتراقاً
يؤول بكم إلى الحرب العوان
ودينوا من تكاتفكم بدين
لكم يلقي التقدم بالعنان

قامت قيامة بعض الفقهاء على الشاعر الفاضل، إذ فهم من قوله هذا أنه لا يرى فرقاً بين المسلم والكافر، حتى قال بعضهم: كنت شاكاً في كفره وتدهُّره، أما الآن فقد اتضح لي ذلك.

وقد ضويق مضايقةً شديدةً، حتى أنه أعلن بيع بيته والرحيل إلى حي آخر، وقال في هذا الصدد من قصيدة:

اضلّتني بشرقي الكويت
خطوبٌ ألزمتني بيع بيتي

وما بيّعك يا بيتي بسهل
ولكن فيك خفت اليوم موتي

كما أفتى أحد الفقهاء بهجره، فقال صقر:
تقول لقد أفتى بهجرك شيخنا
أناسٌ بشرقيّ الكويت تُقيم
فقلت جزاه الله خيراً فهجركم
لنفسى به لو تعلمون نعيم
على راحتى قد حثكم ومراده
شقائي وربى بالضعيف رحيم

ولقد وجد الشاعر من يقف إلى صفه مثل الشيخ الجليل يوسف بن عيسى القناعي
الذي بعث له بقصيدة غراء، أذكر منها هذا البيت:

وكفاك أنك في بُوَيْتِكَ لَابِدٌ
وسناء شعرك في الكويت أضاء

والمرحوم عيسى القطامي، والشيخ عبدالعزيز الرشيد، وعبدالمك بن صالح المبيض،
والسيد عبدالرحمن السيد خلف النقيب، والسيد مساعد، والسيد يوسف السيد خلف،
وأحمد المشاري، وحجي بن قاسم، وسليمان العدساني، وكثير غيرهم من الأفاضل ممن لم
أذكر أسماءهم.

وكنت أخرج معه في ذلك الوقت للاتصال بهؤلاء الأصدقاء، وكانوا يجتمعون بديوان
السيد خلف بعد العشاء، وكان السيد مساعد يشن حملاته بقصائده التي كان يرتجلها
في ذلك المجلس، فتنتشر في صباح اليوم الثاني وكلها كانت رداً قاسياً على أولئك
المتعصبين، فيرد هؤلاء المتعصبون بقصائدهم الركيكة، والمضحكة أحياناً، على قصائد
السيد مساعد، فيكيل لهم الصاع صاعين، والسيد مساعد، رحمه الله يجيد الهجاء إجادة
منقطعة النظير، ويستطيع أن يرتجل القصيدة الكاملة وكأنه يقرأها عن ظهر قلب في

موضوع الهجاء فقط، فكفى شاعرنا مؤونة الرد عليهم، وترك أمرهم للسيد مساعد، اللهم
إلا عندما أفتى أحمد المعمرين بكفر شاعرنا وحرمانه من الجنة، فإن شاعرنا قال فيه هذه
الآيات:

إن كان لا ينعم في الجنة
إلا امرؤ مثلك ذو جنة
ممن يصبّون عطاياهم
في جيبك الفارغ ذي الفسحة
فليس لي في جنة مأرب
فأعط من شئت بها حصتي

هذه الحرب الكلامية دامت خمس سنوات تقريباً، انهزم فيها المتعصبون هزيمة
نكراء، فلم يسمع لهم صوت بعد ذلك إلا ما يسرون به في الخفاء لأتباعهم، فتحول ذلك
المجلس^(١) فلزم الشاعر بيته لا يخرج منه إلا يوماً واحداً في الأسبوع، وذلك هو يوم
الخميس الذي كان يقضيه عند صديقه الحميم عبد الملك بن صالح المبيض، وكان المرحوم
عبد الملك يرسل ابنه صالح عبد الملك (وزير التربية الأسبق) ليصطحبه إلى بيته ويرجعه بعد
العشاء.

وفي هذه الفترة، وفي أوائل فصل الصيف تحديداً، قال لي: ما رأيك لو أخذنا سفينة
وذهبنا إلى الغوص، فرحبت بالفكرة وقلت: ربما يتيح لنا الحظ أن نعثر على لؤلؤة فنصبح
من الأثرياء، فقال اشرح الفكرة للأخ سالم بن محمد البشر والأخ علي المجرن وهما ممن
لهم صلة صداقة بالشاعر، ولما عرضت الفكرة عليهما رحباً بها، وفي الحال ذهبنا للبحث
عن سفينة، فوجدنا سفينة صغيرة، وأخذنا نعدّها للسفر، وقد كان لدى الشاعر بعض
النقود سلمها لنا لشراء زاد السفر، وبعد أن جهزنا كل شيء قررنا السفر، وأغلّقنا بيته،
وحملنا فراشه إلى السفينة، ورفعنا الشراع، وفي أثناء الطريق هبت علينا عاصفة شديدة،
وذلك قبل أن نصل إلى المكان الأمين، وهو الجليعة، وفي أثناء دخولنا للميناء الصغير

(١) المجلس المذكور ديوان عبدالرحمن النقيب وموضعه الآن (سنة ١٩٦٨) المقر العام لتدريب الموظفين.

غرقت سفينتنا أو كادت، إذ إنها امتلأت ماءً إلى أكثر من نصفها، وابتل كل ما فيها، فساعدنا من في الميناء الصغير على نشر كل ما في السفينة ليجف، ثم واصلنا العمل لمدة عشرين يوماً، لم نحصل في خلالها على شيء ما، حتى مصاريفنا لم نسددها، فعدنا إلى البلد بخفي حنين وقد رجع سيرته الأولى في زيارة صديقه عبد الملك بن صالح.

دام ذلك قرابة عامين تقريباً على ما أذكر، ثم امتنع عن الذهاب إلى بيت صديقه، لوجود مسافة طويلة بين البيتين، فأخذ صديقه يزوره في بيته في كل يوم خميس بعد الظهر، وكنت أعد الشاي في بيت الشاعر لهذه المناسبة، وكان المرحوم عبد الملك يصطحب معه حصيلة ما قرأه في الأسبوع، وعلى الأخص في الفلسفة، فيقرأ هذه الحصيلة، ويدور حولها النقاش بين الاثنين، وكان موقفي من هذا النقاش موقف المستمع لا غير. فإذا انفضت الجلسة، وخلا المجلس، أخذت استوضح الشاعر عما غمض عليّ من النقاش، فيوضح لي ذلك بكل رحابة صدر.

وفي يناير عام ١٩٤٦ سافرت إلى «بمباي» وبعد وصولي بشهر تلقيت من الشاعر كتاباً ينمى إليّ فيه صديقه الحميم الذي توفي في فبراير من العام نفسه، ولا أنسى تأثير ذلك الكتاب في نفسي، فقد كان شظية من الألم تطايرت من قلب شاعرنا، ولم أتمالك نفسي من البكاء، لأنني ألفت المرحوم عبد الملك، ولأنني استفدت منه الكثير، فبعد الملك معروف لدى الكويتيين قاطبة، لما أداه من خدمات لهذا البلد لا يمكن أن تُنسى، كما أن الذي أعرفه عن المرحوم عبد الملك فوق ذلك، أنه كان عالماً جليلاً كثير الاطلاع، وعلى الأخص الفلسفة والأدب، غير أن الرجل يمقت الإعلان عن نفسه أو حب الظهور والتهالك على الشهرة.

عدت إلى الكويت في أوائل شهر إبريل عام ١٩٤٦ ويممت بيت الشاعر فور نزولي من الباخرة للسلام عليه، ولتعزيتته في أخلص أصدقائه، فلاحظت دمعين نزلتا من عينيه حاول أن يخفيهما عني بمسحهما.

لزم الشاعر بيته منذ أن امتنع عن زيارة عبد الملك حتى وفاته لم يخرج ولا مرة واحدة ولم يدخل عليه أحد لم يألوه اللهم إلا لجنة التثمين يوم جاءت لتثمين بيته الذي قررت البلدية

استملاكه وإعطائه قسيمة مساحتها ألف متر بقرب بيوتنا، والتي لم يشأ القدر أن يسكنها، فقد توفي قبل إتمام بنائها.

فضل هذه العزلة على الحياة التي اعتادها الناس، لأنه يبغض ويمقت أكثر ما تعارف عليه الناس وما اتفقوا عليه من العادات التي أصبحت بمثابة دين يعتبرون الخروج عليها من الأمور التي لا يمكن السكوت عنها، فهم يريدون أن يأكل كما يشتهون، وأن يلبس كما يهون، وأن يتكلم بما يشاؤون، وهو يريد أن يأكل ما أحب، وأن يلبس ما يهوى، وأن يتكلم بما يشاء، فلزم البيت.

والشاعر المترجم له لم يدخل مدرسة ولم يحمل شهادة، ولم يتلق معلوماته من منظمة كما يتلقاها الناشئون في المدارس والجامعات اليوم، بل كل ما هنالك أنه عكف على المطالعة مع حفظ الشيء الكثير من شعر فحول الشعراء، سواء المتقدمون منهم والمتأخرون، وقد يستغرب القارئ إذا قلت له - وذلك دون مبالغة - إنه كان يحفظ ما يربو على ثلاثين ألف بيت من الشعر، فقد كان يحفظ ثلثي ديوان أبي تمام، وقسمًا من ديوان البحتري، وأكثر لزوميات المعري، ونصف ديوان المتنبي، وكل ما طبع لابن الرومي، وكان يفضل على جميع الشعراء باستثناء المعري الذي يرى أن له نهجاً خاصاً بشعره حيث يجنح فيه إلى الفلسفة، هذا عدا ما كان يحفظه لشعراء الجاهلية والعصر الأموي والعصر العباسي والشعراء المعاصرين أمثال شوقي، والزهاوي الذي كان يحبه، والرصافي، وحافظ إبراهيم، وإسماعيل صبري.

وكان حريصاً على تتبع ما ينتجه المؤلفون في هذا العصر، من كتب في الأدب أو في الفلسفة أو في الاجتماع أو في العلوم الأخرى، لكنه لم يكن يميل إلى قراءة المسرحيات.

أفاده حفظه لهذه الكمية من الشعر علماً باللغة العربية وأسرارها، فلا أذكر أنني سألته في يوم من الأيام عن معنى لفظة من ألفاظ اللغة العربية إلا وجدت الشاهد على شفتيه سواء أكان ذلك الشاهد نظماً أم نثراً.

كانت حافظته قوية جداً، ويعرف ذلك عنه كل من قرأ له، فلا تكاد تقرأ له عشرين بيتاً من الشعر فيتابعك في ترديدها بيتاً بيتاً حتي يعيد إليك أوائل الأبيات التي سمعها وردّها، ثم تتركه فتجده بعد مدة وجيزة يعيد قراءتها عليك كما سمعها منك.

وهو بعد ذلك حريصٌ أشد الحرص على إبقاء ما يحفظه في ذاكرته، ولذلك خصص له وقتاً لقراءة محفوظاته وترديدها والتفكير في حل عويصها.

إن هذا الشاعر مجهول من قراء الأدب العربي خارج الكويت، وذلك لميل الشاعر نفسه إلى الخمول، ولأنه يهتم بما يقال لا بما يقول، وإلا فلديه من القدرة ما يجعل شعره على كل لسان.

فهناك شعراء تهالكوا على الشهرة فملؤوا الصحف والمجلات من شعرهم الغث، الذي لو تُركت الورقة التي دون عليها بيضاء لكان خيراً من تسويدها بشعره، ولذلك فقد أصبحت لهم أسماء معروفة لدى أكثر القراء، لكنها شهرة مؤقتة تزول بزوال الشاعر من هذه الدنيا التي ملأها صراخاً وعويلًا «فأما الزبد فيذهب جفاءً، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض». ولم يكن شاعرنا من هذا الفريق، ولا نود نحن أن يكون من هذا الفريق، وإن كنا لا نوافقه على إثارة هذا الخمول الذي اختاره لنفسه طائعاً، وإن كان يدعي أن هناك ما يبرر ذلك.

شعره:

ليس هناك داعٍ لتحليل شعره، وعرض نماذج مختارة منه في هذه المقدمة، ما دام الديوان بين يدي القارئ، غير أن الشيء الذي أود أن أقوله هو أن شعره ينقسم إلى مرحلتين: المرحلة الأولى ما نظمه في صباه وفي بدء تمرّسه على النظم، ولا بد أن يشوب شعره في هذه المرحلة شيء من الضعف، ككل شاعر في بدء محاولته للنظم، وإجادة بناء القصيدة دربةً وتمرسٌ وإلمامٌ واسعٌ بعلم اللغة، لهذا فإن شاعرنا لا يعتدّ بما نظمه في صباه وقد أُلّف أكثره.

أما شعره الذي يعتد به فهو ما نظمه في المرحلة الثانية من حياته، وما نشرته له المجالات العراقية، كالسجل، ومجلة اليقين التي كان يصدرها محمد الهاشمي ببغداد،

ومجلة المرأة الجديدة التي كانت تصدر في بيروت، ومجلة الكويت للشيخ عبدالعزيز الرشيد، وغير ذلك من المجلات والجرائد، والشاعر نفسه يعترف بذلك في كتاب أرسله إلى الأستاذ الأخ فاضل خلف يقول فيه:

عزيزي، إن ما نشر لي في تاريخ الكويت، وما نظمته قبل ضعيف، لأنني نظمته صغيراً، أما ما نشر لي بعد تاريخ الكويت للشيخ عبدالعزيز الرشيد، وفي مجلة الكويت الغراء التي لا يكاد يخلو منها شيء من أشعار أخيك أو نشر في غيرها فكله مما لا بأس فيه.

وأنت حين تقرأ ديوانه تجد فيه ثورةً جامحةً على الذين وقفوا في سبيل الإصلاح، وحرّموا التعليم، وأثاروا الفتن بين طبقات الشعب باسم الدين، وجعلوا من أنفسهم بوابةً بين الله وبين الناس، فلا تصل إلى رضاه وطاعته إلا عن طريقهم ورضاهم، فأنت من أهل الخير ومن المبشرين بالجنة إذا رضوا عنك، وأنت عكس ذلك إذا هم غضبوا عليك، كل ذلك من أجل أن يتسنى لهم ما يتوقون إليه من الكسب الحرام.

وإليك أيها القارئ نموذجين من هذه الثورة: من قصيدة:

كلما زارنا معممٌ سوءٍ
ردّ منظومَ شملنا منثورا
وثنانا إلى شقاءٍ مبيدٍ
باسم دين الإله ميئاً وزورا
ليسوق الشقاق منا إليه
ما رجاء من رفدنا موفورا
مستعيناً بالجهل منا على ما
نحن نلقى عقباه شراً كبيراً

في ذكرى المولد:

رفع الله مجد بيت الضاد
وذويها منه بخير عمادٍ

فعلية مع الصلاة سلام
فيه يُمليهما جميل اعتقادي
سيد الرسل كلما رمت مدحاً
لك أرجو به صلاح معادي
صفدتني يدا قصوري عنه
فأنا عنه منهما في صِفاء

ومنها:

فإذا ما أذنت لي بالتشكي
من هموم علي ذات احتشاد
فشكاتي إليك من كل مغو
ومضل باغي المقالة عاد
قد أضلوا باسم الديانة ممن
جهلوا كل رائج أو غاد
كم أماتوا لكي يعيشوا نفوساً
لم تزل بعد حياة الأجساد
فادع يا خير منقذينا عليهم
بزوال يعمهم ونفاد

أخلاقه وطباعه:

كان عاطفياً حاد الشعور رقيق الحساسة، يتأثر لأقل شيء، وكان ينفر أشد النفور من أن يبقى في ذمته حق لأحد، حتى أننا كنا نقع في مشكلة عندما كان يوصينا بشراء حاجة له، مثل كيس أرز أو غير ذلك من الحاجات الثقيلة الوزن، فأول ما يسأل عن أجرة الحمال، فإذا قلت له تم الاتفاق بيني وبينه على مبلغ كذا أوقف الحمال، ثم ذهب الى الحاجة يحاول رفعها عن الأرض، فيرجع ويقول إن الحمال مغبون، ضاعف له الأجر، فإذا ضاعفت للحمال الأجر استدعى الحمال وأخذ يسأله، هل يحس بالآلم في الصدر بعد

حملها، فإذا أجابه بأنه لا يحس بشيء أبداً التفت إلى من أتى بالحاجة إليه وقال: زده ضعفاً، فإذا ذهب الحمال بعد ذلك أخذ يوسوس: هل يا ترى لم يصب الحمال بأذى من جراء هذا الحمل الثقيل؟ وهكذا في كل مرة، وقد يسألك في اليوم الثاني: هل رأيت الحمال؟ وهل هو معافى؟ وهل تعرفه؟

وكان يحرص على جميع النقود المشكوك في سلامتها، والتي تصل إلى يديه، فإذا اجتمعت لديه كمية من هذه النقود ألقاها في البئر خوفاً من أن تصل هذه النقود إلى يدي أرملة أو بئس عن طريق أصحاب البقالات أو الباعة الآخرين، فيصبح كما يقول هو المسؤول عن ذلك، أما كيف يتحقق من وجود مثل هذه النقود لديه فإنه يعرض كل ما لديه على من اعتادوا زيارته، ويطلب منه فرز المطموس والمشكوك فيه من بين نقوده، ثم لا يكتفي بذلك فيعرض السليم على زائر آخر، ويقول له إن من بين هذه النقود نقوداً غير سليمة، أرجوك إبرازها، وفي العادة لا يجد الزائر بها نقوداً غير سليمة، لأنها منتقاة، عند ذلك يطمئن.

وكان إيمانه بالله وخوفه منه منقطع النظير، فلا يلقي ورقة على الأرض وفيها كتابة، خوفاً من أن يكون اسم الله من بينها، ولا يجرو أن يمزقها، ولهذا فهو يحتفظ بمثل هذه الأوراق في صندوق خاص، وعلى طول صحبتي له لم أسمع أسمع أقسم بالله، حتى إنه ليتحاشى الكلام بالقرب من دورة المياه مخافة أن ينطق باسمه عز وجل سهواً، وينقطع عن الكلام، ويمنع المتكلم عند سماع المؤذن حتى ينتهي من الأذان، وله في هذا الموضوع غرائب يطول شرحها.

وكان رحمه الله لا يطيق الحر، وينسب إليه جميع ما يصيبه من مرض، أما البرد فإنه لا يهتم له كثيراً، ولا يتوقع أن يصيبه من جرائه أثر.

لم يعرض نفسه طول حياته على طبيب مهما يُصَب بمرض، وهو يعالج نفسه بنفسه، ولا يستعمل في العلاج نوعاً من الأدوية المعروفة، وربما يغير نوع غذائه بنوع آخر، ويزعم أن الأخير بارد أو أنه حار، أو أنه مرطب وأنه مناسب لإزالة ما به من مرض، وهو ينفر من

الأدوية الحديثة، كالحبوب والكبسولات، والإسبرين وغير ذلك من هذه الأنواع، ولم يتناول منها شيئاً طول الفترة التي صحبته فيها.

ومن الغريب أنني عندما أشكو من حمى يلح عليّ بمراجعة الطبيب، وأذكر أنني قلت له في أحد الأيام: وأنت لماذا لم تذهب إلى الطبيب الذي تنصحنني بالذهاب إليه؟ فقال: إنني أعرف بأمراضي وبطبيعتي من الطبيب.

كان يدخن، ثم ترك التدخين قبل وفاته بخمسة وعشرين عاماً، وأذكر أنه يوم كان يدخن كان في أثناء تدخينه السجاجة لا يتكلم أبداً، وكان ينبه عليّ أن لا أكلمه حتى ينتهي من التدخين، وكان يدخن السجاجة بكل سرعة حتى ينتهي منها في أقصر مدة.

وهو يقوم بطبخ غذائه بنفسه وذلك بعد أن يعد له الخادم كل شيء، كغسيل الأواني وغير ذلك، ثم يذهب الخادم فيقوم هو بالطبخ، ويستعمل الطباخ الكهربائي، ويعتمد على معرفة نضج الطعام الذي يطبخه بواسطة رائحته، ولا يأكل إلا وجبة واحدة في اليوم والليلة وذلك بعد العشاء.

أما في باقي يومه فإنه يتناول الشاي فقط، ويصنعه بنفسه ويعتبر الغذاء إبقاء على الحياة فقط، وليس للتلذذ، ومن المستحيل في آخر أيامه أن يأكل وجبة جلبت من الخارج، زاعماً أنها لا تخلو من الأفاويه الحارة التي تضر بصحته أو غير ذلك مما يرى أنه لا يناسبه.

بيته وأثاثه:

يحتوي بيته على ثلاث غرف في الدور الأول، وغرفة واحدة في الدور الثاني يحيط بها سطح الغرف الأخرى.

فإحدى الغرف في الدور الأرضي معدة للجلوس، وليس فيها غير أريكة واحدة تسع ثلاثة أشخاص، يجلس عليها من يطالع له أو من يكتب له قصائده، وهم إما أنا، أو سالم محمد البشر الرومي، أو سلمان أحمد الرومي، أو علي حسين المجرن، والجهة الثانية من هذه الغرفة معدة لجلوسه، وهو يجلس على الأرض وليس تحته غير حصير.

والغرفة الثانية في الدور الأرضي معدة للطبخ وللأكل، فإذا أراد أن يأكل جلس القرفصاء على كرسي، ووضع إناء الأكل أمامه على نفس الكرسي، وأنهى وجبته بكل سرعة، والوجبة دائماً من الأرز وأحياناً يضيف السمك إليه، أما اللحم فلم يأكله في سني حياته الأخيرة.

والغرفة الثالثة في الطابق الأرضي مهجورة منذ أكثر من عشرين عاماً، لم يدخلها ولا مرة واحدة، وليس فيها شيء يحتاج إليه.

والغرفة التي في الدور الثاني ومساحتها أربعة أمتار في ثلاثة أمتار يستعملها للنوم، ولا يستعمل نوعاً من أنواع المراتب (الدوشق) وإنما ينام فوق الحصير المصنوع من خوص النخيل، وفي فصل الصيف يضع هذا الحصير على سرير من الحديد، ومن النوع الرخيص، موضوع في السطح بجانب الغرفة وينام عليه.

الأصوات والغناء:

تؤذيه الأصوات حتى أنه لا يستطيع مواصلة حديثه إذا كان في الشارع أحد الباعة يرفع صوته للإعلان عن بضاعته أو كان في الشارع أطفال يلعبون ويحدثون ضجة ولو يسيرة، وهو لا يستطيع مواصلة حديثه أيضاً ما دام الراديو مفتوحاً حتى لو كان صوته منخفضاً جداً.

أما الغناء فإنه لا يسمع إلا الغناء العراقي، وهو مفتون به، وله قصيدة في هذا الصدد، أما الغناء غير العراقي فهو لا يسمعه بتاتاً، فإذا فتح الراديو على غير الإذاعة العراقية فإنه يبحث عن حديث أدبي أو أخبار فقط.

زواجه:

تزوج في حياته ثلاث مرات، ولم يفلح في الحصول على زوجة تلائمه، وأطول مدة بقيت فيها زوجة في ذمته لم تتجاوز ثلاثة أشهر، ثم يتطرق إليه السأم من وجودها بجانبه فيطلقها، ويعزو أسباب الطلاق إلى مضايقتها له في كثير من الأحيان.

صلاته بأصدقائه:

له أصدقاء، ولكنهم لا يتجاوزون عدد أصابع اليد، هؤلاء الأصدقاء وهب لهم كل قلبه، فلا يكاد يغيب أحدهم عنه في سفر أو يتأخر عن عادته في زيارته إلا بعث إليه برسالة أو أبيات يستفسر فيها عن صحته إن كان غائباً، أو عن سبب تأخره إن كان حاضراً.

فمن هؤلاء عبد اللطيف إبراهيم النصف، وكان يزوره بعد العشاء من كل يوم، فتغيب أربعة أيام على التوالي، فأرسل له أبياتاً أذكر منها:

مغيبك عنا في الليالي يسوؤنا
لأنك يا عبد اللطيف بها بدر
يجوب ظلام الهم عنا طلوعه
فأشرق علينا في الدجى ولك الشكر
ولا تعتذر إما تأخرت ليلة
فليس يرى عندي مكاناً له العذر

فأجابه عبد اللطيف بهذه المقطوعة:

لقد هيج الأشجان شعرك يا صقر
وزدت همومي بالعتاب وهم كثر
فأقسم ما همت بما قد ظننت بي
من الهجر نفسي والحفيضة والصدر
لئن بُعد الجثمان فالقلب لم يزل
لديك أسيراً حبذا ذلك الأسر
فديتك من خل صفا صدق ودّه
على حين قلّ الصدق أو كثر الخثر
وشبهتني بالبدر لطفاً وإنني
كذاك وأنت الشمس من نورها البدر

وأنت لوردي إن أمضنيَ الظما
نميرُ زكا عن أن يمازجه مُرٌ
وأنت لروحي إن تمادى ظلامها
سراجُ أضاعته خلائقه الغُرُ
وأنت أخي حقًا وصارميَ الذي
أذود به عني إذا نابني أمر
لعمرك إن الشعر حين تصوغه
يدب بأعضائي كما دبت الخمر

ومنهم المرحوم خالد الفرج، وقد انقطعت رسائله عن شاعرنا يوم كان المرحوم خالد الفرج في البحرين، فأملى عليّ الشاعر أبياتاً لم يشأ القدر أن أسجلها آنذاك، فأجابه المرحوم خالد الفرج بقصيدة غراء نشرت بتاريخ الكويت، ومطلعها:

مَعْرِي الكُوَيْتِ وبِشَارِهَا
هَزَزْتَ مِنَ النَفْسِ أوتَارَهَا
وَأَمْسَتْهَا مِنْ دَقِيقِ الْخِيَا
لِ مَا كَانَ يُعْجِزُ أَفْكَارَهَا
بِأَيَاتِ سِحْرِ هَتَكُنِ الْقُلُوبِ
أَزْحَنَ عَنِ النَفْسِ أَسْتَارَهَا
وَلَوْ كَانَ (رُبْتُجْنُ) مِنْ قَبْلِ ذَا
كَ رَأَى هَذِهِ الرُّوحَ لاختَارَهَا
هِيَ السَّهْلُ لِلْسَّامِعِ الْمُسْتَصِيخِ
وَلَكِنْ مِنَ الصَّعْبِ إِحْضَارَهَا^(١)
هِيَ الشَّمْسُ تَسْطَعُ فَوْقَ الْجَبَا
لِ وَتَرْمِي إِلَى الْقَوْسِ أَنْوَارَهَا

(١) هكذا وردت في ديوانه، وهو ما يسمى في العروض: الإقواء.

ومنها:

أَتَانِي شَعْرُكَ مِثْلَ الْحَيَاةِ
فَجَدَدَ لِنَفْسٍ تَذَكَّرَهَا
وَمَا كُنْتُ سَالٍ وَلَكِنْ مَا
أَلِفْتُ الْخَطُوبَ وَأَكْدَارَهَا

الخ...

ومن أطرف ما حدث بينه وبين المرحوم خالد الفرج يوم كان الأخير في القطيف، وقد اقتنى له هناك أرضاً زراعية، وحدث خلاف على حدودها بينه وبين جاره الذي رفع دعوى ضده لدى قاضي المنطقة، ففسر الجار الدعوى، فراح يطعن في الحكم، متهماً القاضي بالتحيز في حكمه لخالد الفرج، فذهب هذا الخصم إلى الرياض ليشكو القاضي عند المرحوم الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن السعود، فدخل على الملك، وكانت القاعة التي يجلس فيها الملك مكتظة بالزائرين من جميع أطراف الجزيرة العربية، فوقف يشرح قضيته أمام الملك، ويتهم القاضي بالتحيز، فرأى الملك أن يتخلص منه بطريقة مناسبة فقال له: «وصلتنا برقية قبل ساعة تفيد أن خالد الفرج مات، رحمه الله، وترك أطفالاً بدون معيل فمن الدين والرحمة في هذه الحالة أن تتنازل عن دعواك» سمع الحاضرون من الملك ما قاله، وانفض المجلس، وفي اليوم الثاني وصل الكويت بعض من حضر ذلك المجلس، فأشاعوا وفاة خالد الفرج، وعلم الخبر صديقه، فرثاه بقصيدة غراء.

ومرت الأيام وإذا خالد الفرج يصل الكويت، والتقيتُ به في السوق صدفة وأخبرته بمرثيته، واتفقت معه على زيارة شاعرنا في بيته قبل أن يعلم، وفعلنا دخلنا عليه، فإذا به يبته ويتلثم في كلامه، ويقص خالد الفرج على الشاعر سبب إشاعة وفاته.

وفي اليوم الثاني أملى عليّ هذه القصيدة:

يَا خَالِدَ الْفَضْلِ فِي أَشْعَارِهِ الْغُرَرِ
رَغْمَ الْأَوَاتِي مِنَ الْأَحْدَاثِ وَالْغَيْرِ
وَبَاقِي الذُّكْرَةِ الْمِثْلَى بِكُلِّ فَمٍ
إِذَا التَّقَادُمُ أَبْلَى جِدَّةَ الذِّكْرِ

لما سمعت بمنعاك الذي كرّبتُ
تأتي مرارته مني على العمُر
طفقت بين زفيرٍ لا تنهينهُ
قوى اصطباري ودمعٍ غير منزجر
أصوغ فيك رثاءً كل ضامنةٍ
إشجاء أفئدة الأفراد والزُمَر

ومنها:

وقد لقيتك حيًّا والحياة لما
قد صغته فيك موتٌ غيرٌ منتظر
ففرحتي منك بالمحيا يساورها
حزني لموت اللواتي أنجبت فيكري

ومنها:

مصيبة طاردها نعمة عظمتُ
ونعمة لو نجت من صولة الكدر
وليس يمكن في العيش اشتراككما
فهل تخلي لشعري ظلمة الحُفر
والرأي عندك فاختر ما يلائمني
وإن تبرقع وجه الحزم فاستشر

ومن أعز أصدقائه أحمد المشاري، وكان في بمباي، وذلك عام ١٣٣٩هـ فأرسل إليه
شاعرنا قصيدة في بمباي يعاتبه فيها، ويشكو جفاه، فأجابه أحمد المشاري:

سلام كوصل الحب للواله الصبَّ
وإلا كرشف من لمى ثغره العذب
تحية مشتاق إلى خير صاحب
خلائقه تذكو على المنديل الرطب
أيا صقر أشجيت الفؤاد وزدت في
تباريح شوقٍ أذكت النار في قلبي

فما أنا من يجفو على البعد خله
ويومقه إن كان منه على قرب

الخ....

صلاته بالخارج:

كانت له صلة بالسيد الأستاذ محمد الهاشمي محرر مجلة اليقين التي كانت تصدر ببغداد، وكان يرأسله، وقد نشر عدداً من قصائده بمجلته اليقين.

وكانت له صلة بالأستاذ أحمد حامد الصراف، وقد اتصل بالشاعر يوم زار الكويت.

وكانت له صلة بالشاعر العراقي عبدالرحمن البناء، وقد زار الشاعر في بيته عند قدومه إلى الكويت، وأذكر أن الشاعر حياه بيتين هما:

تفضلُ ببناء القوافي بزورة
عليّ فلن أنسى عليها له الشكرا
أتاني وصدري من سروري مقفر
وعاد ومنه الأنس قد ملأ الصدر

فأجابه الشاعر عبدالرحمن البناء:

نعم زرتُ صقر الشعر يوماً بداره
فألفيتُ منه الشعر طال على الشعري
فزاد سروري عند لقياً سروره
فطرنا وأنى لي بأن ألحق الصقرا

ومن أصدقائه المرحوم طه الفياض العاني محرر جريدة السجل، التي كان شاعرنا ينشر بها أكثر قصائده.

وفاته:

في السنوات السبع الأخيرة من حياته ملأ الدنيا، وسئم تكاليف الحياة، وأصبح وجوده عبئاً عليه لا يطيق حمله، وكان فصل الصيف من كل سنة من السنوات السبع

يخيفه أشد الخوف - هذا مع وجود مكيف في غرفته - وكان ينبه على من اعتادوا زيارته أن ينقطعوا عن زيارته في الأشهر الثلاثة التي تبتدئ بشهر يوليو إلا عند الضرورة القصوى، فإذا مرت هذه الأشهر الثلاثة تنفس الصعداء، ومن الغريب أنه حتى لو ارتفعت درجة الحرارة بعد هذه الأشهر الثلاثة فإنها لا تهمه.

وفي مطلع عام ١٩٦٣م وما تلاه من أشهر لاحظت أن الهزال باد عليه فنبهته إلى ذلك، غير أنه قال: إن مصدر ذلك الشيخوخة.

وكان يتلف على الموت ويتمناه، ويردد دائماً قول المعري:

موت يسير معه رحمة

خير من اليسر وطول البقاء

وهو لا يرى أن في الحياة متعة من المتع، ويتطلع إلى ما ورائها، ويستعجل الرحيل عنها، ومن قوله في هذا الصدد من قصيدة:

يا قدرةً سجننت بجسمي روحه

ضاق الخناق على السجين المضطهد

إن لم تفكي الروح من جثمانه

فتداركي منزور صبري بالمدد

أرجوك لا أرجو سواك فأنعمي

عجلى عليّ بما ترين من الرشد

ثقل الحياة ضعفت عن حملي له

ضعفًا به لي الشيب أعدل من شهد

مات ولكن كيف مات؟

حاولت زيارته بتاريخ ١٤/٧/١٩٦٣ فقرعت عليه الباب فلم يجبني، فعزوت عدم إجابته لي أنني بالأشهر الممنوع زيارته فيها، وفي مساء ٢٤/٧/١٩٦٣ تقرر سفري إلى اليمن، فذهبت صباح ذلك اليوم إلى بيته لوداعه، غير أنه لم يجبني عندما قرعت بابه، وفي المساء سافرت إلى القاهرة ومنها إلى صنعاء عن طريق عدن، وعدت من اليمن إلى القاهرة

يوم الأحد ١٨/٨/١٩٦٣ وذهبت فوراً إلى سفارة الكويت، فإذا بالمعزين يستقبلونني بالتعزية بوفاته، وكان أول من تلقاني المرحوم سعود الزيد، ولا تسل عما أصابني من الدهول حتى أنني لم أستطع النوم ثلاث ليال حزناً عليه.

أما كيف مات فإنه مرض خمسة أيام، ولم يستعن بطبيب، وفي اليوم السابق لوفاته طلب من الخادم أن يستدعيني، ولما علم أنني غير موجود في الكويت سكت، ولما طلب منه الخادم أن يستدعي له أحداً من الإخوان أو الأصدقاء قال ليس هناك من داع لذلك، ولم يكن الخادم معه في البيت، بل كان يمر عليه ساعة واحدة في اليوم، ولما أراد الخادم أن يخرج من عنده، وذلك صباح يوم الثلاثاء ١٩٦٣/٨/٦ طلب منه أن يضع بقربه إناء الماء، وكان على سريره، وأوصاه وشدد عليه في أن لا يخبر أحداً بمرضه، وأن يقفل عليه باب البيت ويأخذ المفتاح معه، فخرج الخادم من عنده، وفي صباح يوم الأربعاء ١٩٦٣/٨/٧ فتح الخادم الباب، ودخل عليه فوجده على الأرض نائماً على ظهره، وإحدى رجليه مثنية إلى أعلى، وقد فارق الحياة، وفي الحال أخبر الإخوان، فشيعت جنازته من قبل أهل المحلة، ولم يتجاوز عدد مشيعيه العشرين، وهكذا انتهت حياة الشاعر.

فرحمك الله يا صقر، فقد قنعت بما تيسر لك من شظف العيش في دنيا تعج بالترف، والرفاهية، خادمك يدك، ومطيتك رجلاك، تركت لهم النعيم والنعم، والراحة في شقاء الخدم، جمعوا باسم الدين الدنانير، وأكلوا باسم الحق حق البائس الفقير، سرقوا وطالبوا بقطع يد السارق، وشتمو باسم الدين من ليس بالسارق، فلا غيرهم سرق، ولا غيرهم فجر ومرق.

اعتمدت على الله باري النسم لا على إنسان، وكفروا بالله واعتمدوا على الشيطان، جعلوا من الله جلت قدرته غافلاً لا يفقه ما يصنعون، فأكبرت الله عما يدعون، فأنت المؤمن وهم الكافرون، لك من نفسك عالم، ومن انفرادك دنيا، ومن عزلتك دين، ولهم في عالمهم وحشة، ومن اجتماعهم موت، ومن ضجيجهم كفر.

فأنت الناطق وهم الخرس، وأنت العاقل وهم المجانين، وأنت المحق وهم المبطلون، سماؤهم الأرض وأرضك السماء، وأموالهم الفقر، وفقرك الثراء، سموت وانحطوا، واهتديت وشطوا، لم تأبه بمن تركتهم فلم يتركوك.

الكويت ٢٣/٣/١٩٦٨

الفرع الثاني

كتبه: الدكتور يعقوب يوسف الغنيم

الشعر والشاعر

هذا خيال امرئ قد شب ما اشتملت
على المسرة حتى شاب أضلعه
ما إن تناول من أماله سبباً
إلا رأى مدية الأيام تقطعه
وأي صادٍ من الأحرار ما وقفت
دنياه عن كل ما يُرويه تدفعه

هذه أبيات قالها صقر الشبيب حين قيل له هذه صورتك فماذا يمكنك أن تكتب تحتها من شعر، ولقد اختزل كل ما مر به من معاناةٍ في حياته لكي يصوغه في هذه الأبيات الثلاثة. فهي تدل على أن حياته كلها لم تشتمل على المسرة في يوم من الأيام، وأنه كلما أحس بقرب تحقيق أمل من أماله قطعت مدية الأيام هذا الأمل، وهو يرى أن شأنه هو شأن الأحرار الذين تمنع عنهم ديناهم كل ما يرويه ويبيل عطشهم.

وهو شاعر غزير الشعر، تطرق في نظمه إلى أغراض عدة، وبدت في كل قصيدة من قصائده ملامح تدل عليه، أولها أسلوبه الجزل، وثانيها شكواه المستمرة لما يلاقي من بؤسٍ في حياته، إضافة إلى ضيقه بما حل به حين كف بصره فانقطع عن الناس. وقد تكالبت عليه الأمور السيئة حتى أدخلته إلى داره، فظل فيها حبساً لا يرى أحداً ولا يراه أحد إلا أقرب الناس إلى قلبه وهم لا يزيدون على ثلاثة بمن فيهم الخادم وأولهم أحمد البشر الرومي الذي رعاه طيلة فترة محبسه.

وكان قبل هذه الفترة متصلاً بالناس له علاقات طيبة مع عدد من الأدباء والشعراء في الكويت وما جاورها، منهم الشيخ عبدالعزيز الرشيد صاحب كتاب تاريخ الكويت، وكان هذا الرجل مهتماً جداً بشاعر الكويت، يسعى إلى نشر شعره في كل مكان،

وبخاصة في مجلته (الكويت) وفي كتابه (تاريخ الكويت). وقد دلت على العلاقة بين الرجلين دعوة الشاعر للشيخ الرشيد لتناول الشاي في بيته، وتقديم قصيدة له بهذه المناسبة مطلعها:

أقدم لابن أحمد كأس شاي
وودّي أن أمدّ له خُوانا
يضم من المأكّل كل صنّف
به الطاهي قد افتنّ افتنانا

ومنها:

فأهلاً يا ابن أحمد ثم أهلاً
وسهلاً يا أعزّ أغّ غشانا

ومن ذوي العلاقة بالشاعر الأستاذ عبدالمكّ الصالح وهو رجل عالم أديب محبوب من الناس لما يتميز به من أخلاق عالية. وكانت له صلة متينة بصقر الشبيب حتى كانت له زيارة أسبوعية كل يوم خميس، وكان المرحوم صالح عبدالمكّ الصالح يذهب مع أبيه إلى هذه الزيارة في موعدها المقرر، وكان الشاعر في البداية هو الذي يذهب إلى منزل الأستاذ عبدالمكّ الصالح، ولكنه فيما بعد صار لا يستطيع الذهاب إلى صاحبه فأصبح الأستاذ هو الذي يأتيه في بيته مصطحباً ابنه.

ومما يدل على حسن العلاقة بينهما أن الأستاذ تأخر في أحد أيام الخميس عن زيارة صديقه، فكتب هذا إليه قصيدة طويلة خاطب في مطلعها يوم الخميس قائلاً:

يوم الخميس لبست ثوب خدوع
حتى حسبتك غرة الأسبوع
ما زلت يكسوك التواصل بيننا
ثوب المسرة رائق التوشيع
إذ تلبس الأيام - غيرك - حلة
من نسجها يد شملنا المصدوع

ومن الذين ارتبط بهم صقر الشبيب الشيخ عبدالله الخلف الدحيان الذي كان يقوم بتعليمه والعناية به، وللشاعر قصائد كثيرة في هذا الرجل في أغراض عدة، وله بكائيات نظمها بعد وفاة الشيخ تدل على محبته له، وعلى التقدير الذي يحمله في قلبه له. ومنهم الشيخ يوسف بن عيسى القناعي، وله فيه قصائد متنوعة.

ومن الشعراء فهد العسكر وخالد الفرج اللذان ذكرهما في شعره كما سوف نرى في هذه الأعمال الشعرية التي يضمها هذا الكتاب.

ومن علاقاته ذلك الرباط الودي الذي ارتبط به مع الزعيم التونسي الأستاذ عبدالعزيز الثعالبي، وهو عالم قدير ومجاهد مخلص لوطنه ولدينه. جاء إلى الكويت في شهر أغسطس لسنة ١٩٢٤م، وقد استقبل من الهيئات الشعبية استقبلاً باهراً، وأقيمت على شرفه احتفالات كثيرة أقيمت فيها الخطب والأشعار ترحيباً بمقدمه، وألقى هو عدداً من الأحاديث وحضر شيئاً من الأنشطة الثقافية التي أقيمت آنذاك.

وفي سنة لاحقة زار الثعالبي الكويت مرة أخرى وأقيمت له حفلة في مدرسة السعادة ألقى فيها الشاعر عبداللطيف إبراهيم النصف قصيدة كتبها صقر الشبيب، وفي مطلعها:

بالرغم مني كنت أمس مقصراً

في واجبي نحو الزعيم التونسي

وهي قصيدة طويلة اعتذر فيها له عن عدم مبادرته إليه في الزيارة الأولى، وقد أعجب الثعالبي بشاعر الكويت وزاره في منزله. كما أعجب الشبيب بتواضع الزعيم التونسي وقال فيه قصيدة بهذه المناسبة مطلعها:

أكذا يكون تواضع الكبراء

وتلطف العلماء بالشعراء

وقد تعانقا عند اللقاء، فهم الشاعر بتقبيل يد الزعيم لكنه لم يمكنه من ذلك، وهذا هو ما أشار إليه صقر الشبيب بقوله:

إنني هممت بأن أقبل أنملاً

رُكّبت في يمني الزعيم التونسي

واستمرت العلاقة بين الرجلين حتى بعد أن سافر الثعالبي فكان يكتب لشاعر الكويت، وقد وردت في شعره قصيدة يرد بها على رسالة تضمنت تهنئة بعيد الفطر كان قد أرسل بها الزعيم التونسي من بلاده.



ألمحنا فيما سبق إلى بعض دواعي اعتزال صقر الشبيب للناس، وإقامته الدائمة في منزله لا يبرحه حتى شبّه البعض بالمعريّ رهين الحبسين، ولكن ما ذكرناه يحتاج إلى مزيد من الإيضاح لأن المشكلات تكالبت على هذا الرجل حتى ألجأته إلى الموضوع الذي وضع نفسه فيه ومن ذلك:

١ - الفقر، ومن المعروف أن هذا الشاعر الكبير الذي أطلق عليه المعجبون بشعره لقب شاعر الكويت، لم يكن له مورد يقتات منه. وقد حاول مراراً الحصول على عمل يناسبه فلم يتمكن من ذلك إلا بشق النفس ولفترة محدودة، ولذلك كتب إلى أعضاء مجلس دائرة معارف الكويت قصيدة يطلب بها زيادة المرتب الذي حدد له وهو ٥٠ روبية شهرياً، وكانت قصيدته هذه تحت عنوان: «حق شيخوختي على وطني» ومطلعها:

لا يدفع الجوعَ والعريَ اللذين هما
شرُّ النوائب إيلاماً وإيجاعاً
خمسون في الشهر عن مثلي فهل لكم
في رد هذين إلباساً وإشباعاً

ومنها:

قد كان فيما مضى الخمسون ترضعني
درّاً به مُسكة الحوباء إرضاعاً
ومن غلا القوتِ والملبوس لم أرَ لي
فيها لما يمस्क الحوباء إقناعاً

وعندما رد على تهنئة الثعالبي بالعيد قال:

أزعيمُ تونسَ والكويتُ فسيحةٌ
قد ضاق بي منها الفسيحُ الأرحب

إن يُردني بؤسي فلوموا موطني
بَعدي على تفريطه بي واعتَبوا
حاولت إدراك الوظيفة جاهداً
بالقوت من قومي فعز المطلب

٢ - العمى، وصقر الشبيب شديد الإحساس بهذه العاهة التي ألت به وهو ابن التاسعة، وإحساسه بهذا الوضع نجده بارزاً في شعره، وهو يرى أن هذه العاهة هي التي حرمته من العمل.

في قصيدة له بعنوان «من أعمى إلى عميان» تخيل أن العميان يتساءلون، وأنه يرد على تساؤلهم وهذا مطلعها:

اللاءمى بمحياء سرور
وهل يا صقر فيه له حبور
فقلت لهم عمى العميان أسر
وهل في الأسر يبتهج الأسير

ثم يستنهض هم العميان قائلاً:

عليكم معشر العميان ألا
يمسَّكم عن العليا فتور
فقد يبني ضرير القوم مجداً
يقصّر أن يفوز به البصير

وهذه القصيدة من القصائد التي تدل على سعة اطلاع هذا الشاعر وفيها حث على إدراك العلوم لما فيها من تمهيد السبل إلى رقي الأمم وسعادة الأفراد.

ثم يستطرد في وصف الحال إلى أن يقول إن العميان قد تخلفوا عن غيرهم بسبب بعدهم عن العلم، وإن هذا التخلف الذي يشعر به عند أمثاله يمزقه حزناً، وبخاصة وهو

يعلم أنهم قادرون على الوصول إلى العليا، ويضرب المثل بعدد من العميان الذين بلغوا مراتب عالية في الآداب مثل هوميروس وطله حسين.

وفي قصيدته «في بيتي الراحة» إشارة إلى انزعاجه من أصواتٍ حول بيته، وعدم تمكنه من السير إذ لا يجد من يعتمد عليه، كما أن العصا لا تفيدته في ذلك شيئاً. وهذا كله رمز منه لحالته مع العمى الذي أوصد أمامه الأبواب.



لقد كان هذان الأمران من أهم أسباب عزلته، وقد يظن البعض أنه كان يشقى بهذه العزلة، ولكن الواقع الذي يدل عليه شعره غير ذلك، فهو يقول موجهاً حديثه إلى أحد لائميته:

فإن تسعدُ بمجتمع البرايا
فإني بانفرادي قد سعدتُ

وعلى الرغم من بؤسه وحاجته، واعتقاده بأن الدنيا تناصبه العداء، ولا تتيح له شيئاً مما تتيحه لغيره فإنه كان شديد الاعتزاز بنفسه، وكان صريحاً في توجيه حديثه إلى الناس جريئاً في قول الحق، وقد اكتسب شيئاً من عداء بعض الناس لهذه الأسباب، ولكنه لا يبالي بذلك، بل هو يدعو المنون إلى زيارته بعد أن نبذ الناس وراء ظهره، وعبر عن ذلك بقوله:

أخاف إذا بقيت تذلُّ نفسي
على طمعٍ لذي مال كثير
فتمنحه مدائحها اللواتي
تعز على الفرزدق أو جرير
ولكني - كما سُميتُ - صقراً
وهل أبصرت ذلاً في الصقور

هذه هي عزة النفس التي أبعدته عن الكثيرين.

أسلوبه الشعري

لصقر الشبيب أسلوب متميز في شعره، حتى لتكاد تعرف قصيدته منذ بداية قراءتها، فشعره ذو صفات واضحة، له لغة خاصة يُعرف بها، وهي نتيجة دراسته التي واصل من خلالها التحصيل اللغوي والنحوي بخاصة، وكان قد أكب على الدراسة واغترف من عدة منابع، ومن أهمها ما حصل عليه من الشيخ عبدالله الخلف الدحيان الذي كان يهتم به كثيراً، وتعلم على يده النحو مبتدئاً بحفظ ألفية ابن مالك المشهورة بين النحاة، ثم دراسة شرحها لابن عقيل، وكان ينتهز الفرصة للترزود من علم من يزور الكويت من العلماء مما مكنه من فهم هذه المادة وحفظها.

وضمن مطالعته اهتم بقراءة الشعر وحفظه، وقد مر بنا قول الأستاذ أحمد البشر الرومي عنه في هذا المجال حين قال: «وكان حريصاً على تتبع ما ينتجه المؤلفون في هذا العصر، من كتب في الأدب أو في الفلسفة أو في الاجتماع أو في العلوم الأخرى، لكنه لم يكن يميل إلى قراءة المسرحيات.

أفاده حفظه لهذه الكمية من الشعر علماً باللغة العربية وأسرارها، فلا أذكر أنني سألته في يوم من الأيام عن معنى لفظة من ألفاظ اللغة العربية إلا وجدت الشاهد على شفتيه سواء أكان ذلك الشاهد نظماً أم نثراً».

وكان محباً للغة الفصحى حريصاً عليها، وله في ذلك قصيدة طويلة جداً نظمها عندما زار المدرسة المباركية واستمع إلى أحد المدرسين وهو يلحن في أثناء إلقائه للدرس. وقد عبر صقر الشبيب عن حبه للغة بقوله:

يا أيها اللغة الجميلة إنني

مُغرى الفؤاد بحسبك الفتان

وقوله:

ألقى جَنَانِي حب غيرك مذ رأت
سر الجمال لديك عينُ جَنَانِي
ما كان مني القلب لولا خوفه
من أن تُسائي دائم الخفقان

وهذه الدراية باللغة والحب الشديد لها قد انطبعا في شعره إتقاناً وجودةً وجزالةً،
وتمكنه من ناصية اللغة لا يخفى على قارئ شعره دون شك.



وكان يملأ قصائده بالغريب من الألفاظ، ويستطيع القارئ أن يستخلص من هذه
القصائد عدداً كبيراً من الألفاظ الغريبة التي يصعب الوصول إلى معناها إلا عن
طريق المعاجم. ولا تكاد تمر بك قصيدة إلا وجاء فيها شيءٌ من ذلك. كاستعماله كلمة
(السَّبُّ) للقماش الرقيق من الكتان، و(الشوب) للعسل، و(الانقباع) لإدخال الرأس في
التراب، و(الهناث) للمصائب، و(الروابث) للموانع، و(ماغث) بمعنى يخاصم، و(لحز)
بمعنى شحيح، وهكذا.. وهو في شعره كثير الاستطراد، ويكفي الاطلاع على إحدى
قصائده لكي يرى القارئ ما يلي:

يعتذر في قصيدته التي وجهها إلى الشيخ عبدالله السالم الصباح عن عدم تمكنه
من القيام بزيارة الشيخ كما تعود من قبل. وقد بدأ قصيدته بذكر ذلك، ثم بين السبب الذي
دفعه إلى عدم القيام بالزيارة وقد استغرق ذلك ما يقرب من ثمانية أبيات ولكنه استطرده
كثيراً - بعد ذلك - في وصف ما يحدث له في أثناء سيره، وما يتعرض له من مصاعب،
وصعوبة الحصول على قائد يقوده إلى حيث يريد، لأن طبائع الناس مختلفة، وبعد أن أنهى
ما يقرب من سبعين بيتاً على هذا المنوال عاد إلى حديثه إلى الشيخ قائلاً:

لهاتيكم الأسباب قلّت زيارتي
وإن كنت من شوقي إليكم على جمر

فلم يستغرق الاعتذار أكثر من سبعة عشر بيتاً بينما كان الاستطراد كبيراً، ولم يكن
له داعٍ أبداً، بل إن المعاني نفسها مكررة في عدد من قصائده.

ومن الجمل المعترضة ما جاء في قوله:

سأبقى - مثل ما أُنِّي قديمًا

بحبل الصبر معتصم - حديثًا

وتكثر في أبيات شعره الجمل المعترضة، حتى لتؤثر على صياغته، وتجعل قارئه يعيد النظر مرات في تلك الأبيات رغبة في الوصول إلى ما يعنيه الشاعر فيها. وذلك مثل قوله:

فمن حربٍ تَبْرَحُ - عن فنونٍ

من الإفناء بينهم - الخفاء

ففصل بين قوله تبرح الخفاء بجملته طويلة معترضة وقوله:

قدومك سرُّنا حتى أقلُّنا

- به مما جنى قبلُ - الزمانا

يريد أقلنا الزمان ففصل بين الكلمتين بجملته معترضة، كما يكثر في أبياته التداخل مثل قوله:

كم قلتُ إن السيف ليس بغمدِه

بل إنما هو حِدُّهُ والمضربُ

لكن إلى البابهم ما قلته

ما كان من أسماعهم يتسرب

يريد أن يقول إن الذي أقوله لهم يتسرب من أسماعهم دون أن يستفيدوا منه، إنما قصد توجيهه إلى قلوبهم.

كما يكثر من التقديم والتأخير مثل قوله:

وخصُّ بالتحطيم أقلامَ الألى

عقولهم حبُّ الصراحات سبًا

ومما دخله الاختلاط من أبياته قوله:

بني يعربٍ من فاته أمس سلَّه

حسامًا به من قوته يُحسن الذبًا

وهو من مطلع قصيدة له عن فلسطين، ومن غرائبه قوله للشيخ عبدالعزيز الرشيد:

فأصبحنا نقول وقد رأينا
جَنَى غرسِ المتاعبِ إذ سَرَيْتَا
لَوَائًا، لَيْتَنَا، لَوْلَا، وَهَاتَا
نقول هوازئًا هيهات هَيْتَا

ومن ذلك قوله:

وكيف تخيِّروا نفرًا تُنافي
سياسَتَهُم لجنسَهُم البقاءَ
رجاءَ زيادةِ الأملِ حتى
لأشبهَ سائسِيهِ الكُلُّ داءَ

فانظر الشطر الأخير من البيت الثاني وما فيه من صعوبة السبك.



وصقر الشبيب يعرف كل ذلك في شعره، ولذا فهو يأبى أن يقترح عليه أحد قصيدةً
في موضوع معيّن، وهو يرى أن الشعر ليس طوع يديه، على الرغم من أنه يجد سلوته
الوحيدة في نظمه لما فيه من تعبير عن دخيلة نفسه، ثم هو يقول:

أرى الشعر نجوى النفس والنفس حُرّة
تخيّرُ ما تهوى من الوقت للنجوى
أناديهِ أحيانًا فيأبى إجابتي
وما لي من مُعَدٍ عليه ولا عدوى



أغراض شعره

المطلع على ديوان صقر الشبيب يعرف مقدرته الشعرية من تنوع الأغراض التي تطرّق إليها في شعره ومن إسهابه في عدد كبير من قصائده حتى لنرى أنه يلم بموضوعات متعددة في القصيدة الواحدة.

وكان الناس يطلقون على شاعرنا صقر الشبيب لقب رهين المحبسين أسوة بالمعري. وذلك لأنه كان كفيفاً مثله، وكان في أواخر حياته قابلاً في بيته لا يتعداه. ولأنه كان ضليعاً في اللغة أكثر من شعر الحكمة. ولكنني حين قرأت قصيدة الشاعر محمد مهدي الجواهري عن أبي العلاء، وجدت صفة جديدة تصل صاحبنا بذلك الشاعر الكبير، ألا وهي الاهتمام بالحيوان، والحرص على رعايته، والنهي عن تعذيب الطيور، فالجواهري يقول من تلك القصيدة:

إن الذي ألْهَثَ الْأَفْلاكَ مَقْوُلُهُ
والدهر، لا رغباً يرجو ولا رهْباً
لم ينس أن تشمل الأنعامَ رحمته
ولا الطيور.. ولا أفراخها الرُّعْباً

وفي مثل هذا يقول معري الكويت من قصيدة له طويلة تحت عنوان «انقذوا الحيوان من أذى الصبيان» يدعو أولياء الأمور إلى منع أبنائهم من إيذاء الطيور التي يقومون باصطيادها وقت الربيع وهو الوقت التي تتكاثر فيه، حيث تحط وهي في مهاجرها إلى الأماكن البعيدة لترتاح في الكويت، ولكنها تجد التعب بعد ذلك لترصد الأولاد لها:

كل طفل بكفه عصفور
من أذاها يكاد فيها يبور

وفيها يقول:

أيها الطفل أنت عندي على ما
سُمِّتَه الطيرَ من أذى معذور
ما لأمرٍ تمرُّ عقباه أو تح
لو لى ذي طفولة تقدير
لستَ أنت الذي جنيتَ على الطير
ر ولكن جنى أبوك الكبير
أنت لولا وليُّ أمرك لم تَفُ
رُبَّ إلى الطير من يديك سُرور

وتطرقُ في قصيدةٍ له من الطوال إلى الحديث عن عنزٍ أكلت بعض كتب أحد
أصدقائه، وقد كان في البداية شديداً على العنز، ولكنه عاد بحكم طبعه إلى الاعتذار لها
والدفاع عنها إلى أن قال في آخر القصيدة:

فلا تهملوا حق البهائم واسلكوا
بهن سهول السُّبُل والمرتع الخصب

ولا حاجة هنا إلى عرض كافة الأغراض التي تناولها في شعره فهي واضحة في
الديوان ولكننا نشير إلى بعضها مما تنبغي الإشارة إليه لخروجه عن الأغراض التي اعتاد
الشعراء صياغة أشعارهم حولها، بل سنختار أموراً مثل الذي قدمناه هنا عن لقبه. ومثل
الذي نشير إليه هنا:

كان صقر الشبيب محبا للخير، ولكنه يسير في تعبيره عنه وفي تقديمه للمحتاجين
على طريقته الخاصة، فهو لا يملك من المال ما يمكن أن يدفعه لمحتاج، ولكنه لا يتأخر عن
عمل يجد فيه مصلحة للناس:

لكم بالذي أخفيه وجهي ينطقُ
صريحا ووجهي ما ترون فحدقوا

أَجِيلُوا بِهِ الْأَنْظَارَ بَضْعَ دَقَائِقَ
لَكُمْ يَنْفَتَحُ مِنْ سِرِّ نَفْسِي مُغْلَقَ
فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ فِي التَّفَرُّسِ حَازِقًا
فَوَجَّهِي لَهُ عَنْ طَبْعِ نَفْسِي يَصْدُقُ
فَإِنْ كَانَ حُبُّ الْخَيْرِ فِيَّ سَجِيَّةً
فَقُولُوا لَيْسَ لِمَا الضَّرِيرُ وَصَفَّقُوا
وَإِنْ كَانَ حُبُّ الشَّرِّ فِيَّ غَرِيْزَةً
فَصَبُّوا عَلَى وَجْهِي الشَّتَائِمَ وَابْصُقُوا

ومن أعمال الخير حرصه على عدم إيذاء الحيوان، كما بيّنا قبل قليل، وقصيدته التي قدمها إلى بلدية الكويت شاكيًا أصوات باعة الكيروسين الذين يمرون بين البيوت فيزعجون الناس بنداءاتهم، وبأصوات أجراسهم، بينما يكون ذلك في وقت الظهيرة حين يهجع الناس في قيلولتهم، فيندُّ عنهم النوم بسبب هذا الإزعاج المتواتر.

ولما علم بالمخاطر التي تحدث بالناس بسبب تناولهم بعض أنواع من المعلبات تكون قد تلفت أو انتهت مدة صلاحيتها كتب قصيدة في هذا المعنى داعيًا إلى الاهتمام بغذاء الناس، والحذر من المعلبات الفاسدة.

وعن الغلاء كتب قصيدته التي مطلعها:
غَلَاءٌ أَهْلَكَ الْفُقَرَاءَ جَوْعًا
وَعُزْرِيًّا، أَهْلَكَ اللَّهُ الْغَلَاءُ

وقد دعا إلى مراعاة المحتاجين، والحد من موجة الغلاء التي يبدو أنها كانت قد داهمت الناس في وقت إنشاده لهذه القصيدة.

هكذا نراه يقدم الخير للناس بحسب إمكانه ويسعى إلى التخفيف عن المحتاجين، ويدعو إلى إزالة كل ما يتسبب في الأذى للناس، وهذا كله من أعمال الخير المطلوبة.



يحبس قارئ شعر صقر الشبيب بمدى حرص هذا الشاعر على تقديم النصح لقومه، فهو ينصح بالاهتمام بطلب العلم، وينصح بالقناعة التي يراها هي الغنى الحقيقي، وهو - أيضاً - ينصح قومه بالحرص على التكاتف، وينصح أمته العربية بالحرص على وحدة الصف وعلى دحر المعتدين، وينوه في شعره كثيراً بمأساة فلسطين وبثورة الجزائر وبأحداث مصر في سنة ١٩٥٦م بخاصة. وهكذا فهو لا يدع مجالاً فيه فائدة للأمة إلا طرقه منادياً حاثاً مخبراً بشعوره الحقيقي تجاه ما يراه من أمور.

الشكوى

أمضى صقر الشبيب حياته شاكياً متذمراً لما مر به من مآسي منذ نشأ إلى أن انتهى به العمر. كان كثير الحديث في شعره عن فقدته لبصره، والإعلان عما يتحمله من أجل هذه العاهة التي أملت به منذ صغره، وقد ذكر ذلك في قصيدة وجهها إلى الشيخ عبدالله السالم الصباح يعتذر له فيها عن عدم تمكنه من زيارته، فيؤكد له أن عماه هو السبب في ذلك، وبين أنه عرضة للإصابة إذا خرج من بيته بمفرده:

ولو أنني أسطيعُ وحدي ازدياره
لكنت إليه الدهر متصل السير
ولكنني ما سرت وحدي مرة
فعدت ولم تجرح جبيني يد الجدر
كأن لجدران الكويت جميعها
عليّ تراتٍ غير منسيّة الذكر

وشكى فقره، وقلة موارده المالية التي لم تزد على خمسين ربية في الشهر، فقال:

لا يدفع الجوع والعري اللذين هما
شرّ النوائب إيلاً وإيجاعاً
خمسون في الشهر عن مثلي فهل لكم
في ردّ هذين إليّ إلباساً وإشباعاً

وهو من أجل ذلك يهاجم البخلاء من الأغنياء ويكثر في شعره من ذمهم، وينعى عليهم عدم اهتمامهم بالمحتاجين الذين يحس هو بحاجتهم أكثر من غيره لطول معاناته فرط الحاجة والفاقة.

سبحان مُغني الألى تأبى غرائزهم
أن يذخروا نفعاً ما أوتوه سبحانا
كأنما استودعوا أموالهم فغدوا
على الودائع حراساً وخزاناً

ولا يكتفي بشكواه العامة، بل هو يبسط شكواه في القصائد التي يوجهها لزواره أو مراسليه من غير الكويتيين، ويتحدث عن الكويت وكأنه يتحدث عن وطن غير وطنه، وذلك بسبب معاناته وعدم وجود من ينتبه إليه، وحين زاره الأديب عبدالهادي الجواهري في بيته قدم له أبياتاً جاء فيها:

إن الكويت أديبها في شقوة
ممتدة ليست بذات نفاذ

وفي قصيدة وجهها إلى حافظ وهبة يقول:
كأنني في الكويت على رواها
سكنتُ مفازة حُفَّتْ ببيدٍ
ولو أنني حصلت على بلاغي
لما أعملتُ بالشكوى قصيدي

أما قصيدته التي وجهها إلى الزعيم التونسي عبدالعزيز الثعالبي، فقد تحدث فيها عن نفسه وعن الكويت قائلاً:

أنتى يرى وجه المسرّة بارزاً
من لم يزل من أبأس البؤساء
يشكو طواه معلناً لكن إلى
أذنٍ - عن الشاكي الطوى - صماء
قلب الكويت من الشراسة مفعم
لكن على مثلي من الأدباء

وهكذا نراه لا يتوقف عن الشكوى في جميع الحالات إلى أن قال:

جَهَّدْتُني صرُوفَ دَهْرِي حتَّى
غَيْرَ شكوى صرُوفه لا أَجيدُ

بل بلغ به الأمر أن تمنى أن يغادر الكويت إلى بلد آخر لعله يجد فيه ما يزيل عنه بعض ما يجد من بلاء، فهذا هو ذا يوجه قصيدة إلى الشيخ عبدالعزيز الرشيد وهو - آنذاك - في البحرين، فيقول له فيها:

فَلَيْسَتْكَ إِذْ رَحَلْتَ إِلَى «أَوَالٍ»
جَذَبَتْ إِلَيْكَ مِنْ صَقَرٍ زِمَامَةٌ
فَمُنِّيَتْهُ التَّرْحُلُ عَنْ بِلَادٍ
بِهَا مَشَقَّاهُ لَمْ يُغْمِدْ حُسَامَةٌ

ومع كل ذلك فإننا نجد له العذر كله في كل ما قال لأنه كابد ما فيه الكفاية، لقد عانى الفقر والإهمال، ولقي تهجماً شديداً من كثيرين ناصبوه العداء دون وجه حق، وما كان أمامه إلا أن يعبر عن أحاسيسه بما أنشده من أشعار كانت كلها صورة صادقة لما كان يتحملة من شقاء طوال حياته.

ومن أدلّ أشعاره على رغبته في مغادرة وطنه قوله:
لَمْ يَحُلْ فِي قَوْمِي مَقَامِي سَاعَةً
لَوْ أَنَّني أُسْطِيعُ مِنْهُمْ هَرَبًا
فَإِنْ أَقَمْتُ فِي الْكُوَيْتِ مَرْغَمًا
مَضْطَهَدًا مِنْ أَهْلِهَا مَكْتَنَّبًا

وقوله:

فَإِنْ تَضَيَّقَ الْكُوَيْتُ الْيَوْمَ عَنِّي
وَمَا ضَاقَتْ بِأَمْثَالِي الدِّيَارُ
فَكَمْ بِلَدٍ لِقَوْمِي الْعُرْبِ فِيهِ
سَيَحْلُو لِي مِنَ السَّعَةِ الْقَرَارُ

الهجوم عليه

تعرض الشاعر صقر الشبيب لما يتعرض له المتنورون عادةً، فأولئك الذين نشؤوا على طريق التعصب دون أن يحصلوا على قسط وافر من العلم تتفتح به أذهانهم، لا يمتنعون عن التهجم على كل من يظنون - مجرد ظن - أنه مخالف لما يرونه من آراء، وبخاصة فيما يتعلق بالدين. لقد فهم هذا الشخص أن صقر الشبيب قد اتخذ مبدأً لا يرى فيه أي فرق بين المسلم والكافر حين قال:

وخلّوا في الديانات افتراءً

يؤول بكم إلى الحرب العوان

ومن ثمّ أفتى بمقاطعة الشاعر مقاطعة تامة، وكما يقول الشيخ: عبدالعزيز الرشيد «ثم تمالأ هو وأسافلة مثله على قتله، ولكن الشاعر وقد علم بما يببّيت له حاول مغادرة الحي الذي كان مقيماً فيه».

وهذا نموذج من معاناة شاعرنا الذي لم يقل في هذا البيت غير النهي عن التفرق في الدين، والأمر بالتكاتف معه.

ومن هنا نمضي في حديث عن موقف الشاعر الديني الذي لا يشك من يقرأ شعره في إيمانه بالله ويقينه بربوبيته، ومن ذلك قوله:

فيا من به أمنت غير مقلدٍ

أدّم بك إيماني بعيداً عن الخطر

فكم شبهة دكّاء جُبّت ظلامها

فكدت أضل الخرق فيه إذ اعتكر

ولو لم تنر سُرجَ العناية ليلها
لأفْنيتُ فيه العمرَ أسري على غَرَرٍ

ويعبر عن حزنه للهجوم الذي لقيه من الذين يناصبونه العداء دون سبب جوهري، بل دون أن يفهموا مقاصده في كثير من شعره فيقول:

ومما يزيد الحزنَ في القلبِ ضِعْفُهُ
ويُلْهَبُهُ بين الضلوعِ فيلتهبُ
صدود بني قومي إذا قام مرشداً
يذكّرهم بالشعر طوراً وبالخُطْبِ
وفي الصّدِّ ما يثني عزيمة من غدا
لنصحهم تقريبه الدهر والخببُ
فكيف إذا ما زندقوه وأسبَلت
على رأسه من مزن غيظهم سَحْبُ

وهذا الذي (يُزندق) على حد قوله هو الذي يقول:

تأملت أديان البرية كلها
فما ركنت إلا لإسلامها نفسي

وعلى الرغم مما تعرض له فإنه كان يتفادى الهجاء، أو الإقذاع على الرد على من أساء إليه. بل إن له من الهجاء موقفاً عرضه في قصيدة كاملة تحت عنوان «التمويه جبن» تحدث فيها عن الذين يتجهمون على الناس باسم النقد فقال في مطلعها:

إذا ما كاتبٌ أضنّاه حقداً
على قُرنائه بين الأنعام
هجاهم ثم سمّى الهجو نقداً
ليبقى خافياً سوء المرام

ولا نستطيع أن نشك في عقيدة الشبيب بسبب ما نراه في شعره من تأكيد صدق عاطفته الدينية فهو يحتفل مع الناس بذكرى المولد النبوي الشريف يشاركهم شعراً غزيراً معبراً، وهو يتضرع إلى الله في عدة قصائد منها قصيدته «أمع الحياة سعادة؟».

يا رب فاعفُ فليس لي إلا إلى
تأميل عفوك عن ذنوبي من مردٍ
يا من يؤمِّلُ عفوه الجاني وإن
فاتت لكثرتها الجناياتُ العدَّةُ
خوف الحساب على ذنوبي هدني
وعليك في التأمين منه المعتمد

وهو يحب مادة الفلسفة، ويتأمل الأفكار الفلسفية التي يتبادلها مع الأستاذ عبد الملك الصالح الذي يشهد الجميع له بالاستقامة وصحة العقيدة، ولكن حبه للفلسفة لا يعني ما يفهمه البعيدون عنها من أنها السبيل إلى الخروج عن الدين، وفي قصيدة طويلة عنوانها «يوم الخميس» تحدث عن لقائه مع صاحبه، وهو موعد متفق عليه بينهما يتدارسان فيه الكثير من الأمور، يأتي الأستاذ عبد الملك وقد حضرٌ لصاحبه ما يعتقد أن الشاعر يجب أن يستمع إليه ولا سيما في موضوع الفلسفة الذي يُمضيان وقتاً في تدارسها. وقد ضمت هذه القصيدة الكثير من الأمور التي كان تداولها يتم بين الصديقين في أمسية يوم الخميس. وفيها نرى تمكن صقر الشبيب من هذه المادة، ويقينه من أن الأستاذ قد أسدى إليه جميلاً لا ينسى حين فتح له هذا الباب. ولكن ما يتدارسانه - بالتأكيد - ليس له أثر سلبي على معتقدهما الديني فالفلسفة أداة لشحن الفكر لا لتغيبه.

ومن أبرز نظراته الفلسفية ما جاء في قصيدة له بعنوان «نظرة في السر الإلهي» تحدث فيها عن حكمة الله سبحانه وتعالى في إدارته لشؤون الخلق جميعاً، دون أن يعلموا شيئاً عن هذه الحكمة الإلهية، وهم يرون أن الناس أمثالهم على نوعين، أحدهما يعوم في بحر الرزق، والآخر يشكو الفاقة والجوع، فهناك من هو متنعم في جنان اليسر ومن هو يصطلي بنار العُسر. ومع ذلك فهم راضون في عيشتهم هذه، ولا يبحثون في هذا الأمر، ولو دخل الحسد إلى نفوس المحتاجين في مواجهة الأغنياء لكانوا كما قال:

وإلا جرّدوا حسداً وغيظاً
على المثرين للحرب الحساما

فلم يدعوا براحتة غنيًّا
ولم يذرّوا على أرضٍ سلاماً
ولكن جَلَّ من أجرى فأرضى
براياه بحكمته النظاما

هذا النظام الذي عجز الحكماء عن معرفة أقصاه، وعن كشف لثامه، بل إن كل ما يقولون عنه لا يخرج عن دائرة الظن:

يقول بكنهها الحكماء ظناً
وعلم الكنه عنهم قد تَرامى
إن النُّظْمَ قد استعصت على الدراية.

ثم يتأمل في حكمة الحياة في قصيدته «لحكمة أتينا الدنيا» يبدوها بنعي السعادة قائلاً:

ليس في الأرض من طريقٍ يؤدي
سالكيه أو بعضهم للسعادة
فلها اسمُ بين الأنام شهيدٌ
ومسمّاهُ مستحيلُ الشهادة

يعلن في هذه القصيدة أننا لا نحس في هذه الدنيا إلا بالشقاء، ومع ذلك فإننا حريصون على زيادة نسلنا وكأن الواحد منا يقبل على أولاده بالشقاء الذي يتلقاه في دنياه. إنه يشبه في ذلك الحاقد الذي يريد أن يحل بهؤلاء ما حل به، على الرغم من أنهم لم يكونوا ضداً له، بل كانوا في عالم الغيب لم يسؤهم منه شيء... إذاً فإن هذا التدفق البشري إنما جاء لحكمة أرادها الله سبحانه فهو الذي:

أوجَدَ الوالدَ القديمَ لأمرٍ
سابعِ الكُثمِ يقتضي إيجادَه
فأتى الوالدُ القديمُ إلى الدُّنْ
يا اضطراراً كما أُنْتها الجِرادَه

ثم ينتنني إلى موضوع آخر يبينه على ما تقدم، مؤكداً أن كل إنسان يسير في حياته وفق الطباع المركبة فيه.

وفي قصيدته «يا عقل» نداءً إلى عقله الذي وجد أنه لا يتعارض مع صحيح النقل، وهو لا يرى أن النقل فيه مخالفة للعقل إذا عُرِضَ عليه، فالله سبحانه وتعالى هو خالق العقول:

قالوا انصرفت إلى المعقول متُّركاً
ما لم يكن وفَّقَهُ من كل منقولٍ
فقلت لو لم يُردِّ هذا مكوِّننا
مني ومن كل معروفٍ ومجهولٍ
لما حشا الهام بالآلِباب قائمةً
بالفرق ما بين مسمومٍ ومعسولٍ

ثم يقول:

يا عقل أنت سماوي الهدى فابنُ
ما غاب من وجهٍ تحريمٍ وتحليلٍ
وسُدَّ أذني عَمَّا القوم قد أخذوا
فيه يخوضون من قالٍ ومن قيلٍ

والاعتماد على العقل بالصورة التي طرحها هنا لا يؤثر على عقيدته بل هو بحسب ما يرى يُمَحِّصُ المعقول ويعرضه على المنقول فيأخذ بما توصل إليه، ولا شك في أنه إنما يقصد بالمنقول هنا أقوال العلماء الذين يدلون برأيهم في بعض المسائل التي لم يرد بها نص صريح في الكتاب والسنة، وهؤلاء هم الذين قيل فيهم «كل يؤخذ من كلامه ويُرد» ما لم يعتمد على أصلي التشريع الإسلامي، وإذا كان هذا جائزاً للسابقين فلا غرابة أن يجوز لصقر الشبيب الذي لم يكن شاعراً فحسب بل كان عالماً قرأ الشريعة بكل فروعها واطلع على العربية وأجادها وحفظ غريبها وأشعارها وأحاديث ماضيها.

ثم انظر في أبيات قصيدته «ظن جميلاً بالله» وتأمل كيف صاغ مبدأه في النظر إلى حكمة الله في الكون، وقد راقته هذه الأبيات للأستاذ عبدالله زكريا الأنصاري فأوردها في صدر كتابه «صقر الشبيب» وفلسفته في الحياة الذي نشره في سنة ١٩٧٥م، وفيها يرى

صقر أن أهداف القدر كثيرة ولكن المرء لا يستطيع الوصول إلى معرفة أي منها، حيث إن من رفع رأسه بتعليل ما صنع الله في خلقه سرعان ما يطأطئ رأسه عجزاً.

وهو يرى أن هاتيك مفاوز يصعب على المرء ارتيادها مهما أوتي من عقل، وفي مطلع الأبيات:

ولله فيما يفعل الله حكمة
يفوت بها كتمانها العقل والحس
فمن حكمة فوق العقول سما بها
أطاف بنا خُشْنُ الحوادثِ والمُلْسِ
يُطيف بنا سَعْدُ الخطوب ونحسها
ويمنعنا تعليلنا السُّعْدَ والنحسا

أما كتاب الأستاذ عبدالله زكريا الأنصاري الذي أشرنا إليه فهو كتاب يضم ٣٣٠ صفحة من الحجم المتوسط. يستعرض فيها الكاتب ديوان الشاعر، ويحدد النقاط التي تدل على فلسفته في الحياة، ممثلاً لكل ذلك بما ورد من شعر ضمه الديوان الضخم الذي جمعه واعتنى به الأستاذ أحمد البشر الرومي، وقد كانت دراسة الأنصاري واسعة، تقي بالغرض، وتقرب الكثير من الأشعار إلى فهم القارئ وبخاصة تلك القصائد ذات النزعة الفلسفية ومنها القصيدة التي عنوانها «ماذا اعتقد» فقد شرحها شرحاً وافياً، وقرب معانيها إلى القارئ بحيث تنجلي دلالاتها دون أي لبس.



هذا وسوف يجد قارئ ديوان هذا الشاعر الكثير مما يتعلق بحرصه على دينه على الرغم مما أرجف به المرجفون، وسوف يجد الكثير من فلسفته التي لا تخرج عن مجرى الدين ولا تسيء إلى العقيدة الصادقة بأي حال من الأحوال، وفيما تقدم عن كل ذلك الكفاية.



هذا ولا يفوتنا في ختام ما ذكرناه عن الهجوم عليه، وعن ديانته وحرصه عليها، الإشارة إلى هذه القصيدة التي صرح فيها بكمال اليقين والإيمان بالله تعالى أتم تصريح.

كان الشيخ عبدالعزيز الرشيد قد بعث إلى صقر الشبيب بقصيدة من قصائده، ويبدو أن صقراً قد أعجب بها غاية الإعجاب، وأنها أثارت في نفسه الكثير من الإحساسات التي

كان يكتهما، فلما جاءت قصيدة الرشيد وجد أنها قد فتحت له مجال التعبير.

عنوان القصيدة هو: «أفي الصحيفة در؟» ومطلعها:
إن شجاكم مني الأنينُ المديدُ
فعذابي بالفقر جداً شديدُ
كلما قلتُ ذات يومٍ سيمضي
منه عني اشتدادهُ أو يبيدُ
عَنْ خُطْبٍ يَقُولُ إِنِّي كَفِيلُ
أَنْ سَتَبْلَى يَا صَقْرُ وَهُوَ جَدِيدُ

والقصيدة طويلة جداً كعادته حين يتحدث في مثل هذا الموضوع، أو يخاطب شخصاً عزيزاً عليه، وقد فعل ذلك في كثير من قصائده. وفي القصيدة التي نتحدث عنها أبيات مهمةٌ عبّرتْ أصدق تعبير عن إحساسه الشديد بالظلم والفقر والعزلة في وقت واحد:

أنا ما زلت في الكويت أغني
كل صوتٍ يَشْجِي به الجُلُودُ
وهي تزداد قسوةً فغنائي
لشِقَائِي تَمَمَّةٌ وَمَزِيدُ
فكان الكويت ما دمتُ فيها
قفصٌ فيه بلبلٌ غَرِيْدُ

وهو يرى أنه بين كيد مناوئيه وقوتهم يقع في مواجهة الثعالب والأسود الذين يتربصون به الدوائر ويريدون تشويه سمعته ثم الإيقاع به، ثم إنه يرى أن زمرة أعاديه قد وصفتها بما ليس فيه:

وَصَمَمَتْنِي حَتَّى بِجَحْدِ إِلَهٍ
مَا تَمْشَى لَهُ بِبَالِي الْجُحُودُ
ويَقِينِي بَأَنْ رَبِّي - مُدِيلِي
مَنْ ذُوِي الظُّلْم - عُدَّتِي وَالْعَدِيدُ^(١)

وفيما ذكر نجد أصدق الرد على أولئك المناوئين، فلا قول أوضح من ذلك يؤكد إيمانه العميق.

(١) مديلي: ناصري.

القسم الأول

ما ورد في الديوان الذي أصدره

الإهداء

إلى روح سمو حاكم الكويت المعظم المرحوم الشيخ سالم بن الشيخ مبارك الصباح.
نماذجٌ هذي من قريضي أنفُها
هديةً من لم يَفَنَ شيئاً سوى الشُّعرِ
ومن لم يجد غير القوافي هديّةً
فأهدى القوافي كان من بالغي العُذر
إلى روح من لو عاش ما بتُ شاكيّاً
من العسر ما قد كاد يأتِي على عمري
إلى سالم الأخلاق والعذر كاسمه
ومسلم ما تحوي يداه من الوفّر
فلم نَشْكُ في أخلاقه قَطُّ علّةً
سوى فتكه في المال بالنائل الغمّر
فما زال حتى مات يُحيي عُفاته
بإرداء صنفَي ماله البيض والصُّفر^(١)
فأمّواله تشكو تسلُّط كفه
وسؤاله تقفو الشكيّة بالشكر
فما فرّقت ما بين جزل نواله
وقُصّاده شكوى اللُّجَيْنِ ولا التُّبرِ^(٢)
وما كان عن شكوى سوى المال وحده
إذا ما شكا الشاكي إليه بذِي وقر^(٣)

(١) العفاة: طلاب المعروف، جمع العافي، والبيض والصفر: كناية عن الذهب والفضة.

(٢) اللجين: الفضة. والتبر: الذهب. وقيل هو من الذهب والفضة وجميع جواهر الأرض.

(٣) الوقر: ثقل في الأذن.

كَأَن قَدْ حَمَتِ سَمْعِيهِ شَكْوَى ثَرَاءِ
عُفَاةٍ أَيْادِيهِ بِشُكْرِهِمُ الْكُثْرِ
فَذَاكَ الَّذِي لَوْلَمْ يَغْيِبْهُ قَبْرُهُ
لَمَا عَدْتُ مِنْ بؤْسِي أَحِنُّ إِلَى قَبْرِي
فَقَدْ خُبْتُ مِنْ دَاءِ عَسْرِي بَعْدَهُ
حَيَاتِي الَّتِي طَابَتْ بِأَيَّامِهِ الْغُرِّ
وَلَوْلَمْ يَزَلْ حَيًّا لَأَتَّبَعَ عَأَّتِي
مِنْ الْعَسْرِ يَشْفِيهَا دَوَاءً مِنَ الْيُسْرِ

الإيمان عون لتخفيف الأعباء^(١)

عطفتُ عليَّ البصرةُ الفيحاءُ
والساكنون ربوعَها الكُرماءُ
من كلِّ ذي كرمٍ يحلُّ بنفسه
قممَ الثناءَ المجدَّ والعلياء
جُبلوا على حبِّ المكارمِ والورى
- لولا المكارمُ - والوحوشُ سواء
وجلائلُ الأفعالِ ألسنةُ لها
عن حسن ما جُبلوا عليه جلاء
تلك التي لولا إبانثها استوت
في قدرها الكُرماءُ واللُّؤماءُ
والدُرُّ لولم يبدُ سرُّ جماله
ما كان دون مقامه الحَصباءُ
الكل يهوى أن يكون لباسه
مما يحوِّك الحمْدُ والإطراء
وببيت يشغل مدحه السُّمراءُ ما
باتت تُسامر بعضها السُّمراءُ
ومن الصعوبة في مكانٍ نيل ما
مالت إليه بأهلها الأهواءُ

(١) قالها بمناسبة مقال كتبه صديقه محمد طه الفياض العاني صاحب مجلة الشبان المسلمين التي كانت تصدر بالبصرة، ناصرته فيه على ما كان يشكو منه.

والصعبُ مهما شاقَ دونَ مناله
يمنى اللئيم من الورى شلاءً
أننى يفوز به لئيمٌ عرضُهُ
لحطامه من سائلٍ فيه فداء
يهوى اقتناء الحمد ثم يعوقُهُ
عنه من البخلِ الذميمة إباء
فالمقتنون جمال ما نسجَ الثنا
قومٌ لهم بالمنفسات سخاء^(١)
لهم على فقر الفقير إذا غدا
مستعدياً جدواهم إعداء^(٢)
يجد الرجاء من المقلِّ حياته
بهم إذا ألوت به البخل^(٣)
لهم إذا سُرَّ الشحيح بمنعه
حاجَ الفقير ببذلهم سراء
متسابقى بذل المعونة ما أتت
ترجو المعونة منهم الفقراء
ومتى يضيق ميسور وجدهم بما
منها لأملٍ رفدهم قد شاءوا^(٤)
عمدوا إلى استخدام جاههم له
حتى يرى ما ضاق وهو فضاء
هذا هو الفضل الذي بسلوكه
منهاجُهُ تتنافس النبلاء

(١) المنفسات: الأشياء النفيسة.

(٢) استعداد: استنصره واستعان به، والمستعدى الطالب النصرة، وأعداء أعداء نصره. والجدوى: العطية.

(٣) الوى بالشئ: ذهب به.

(كمحمد طه) الذي بلغت به
خير الأنام النسبة الغراء
من لو شككنا أنه ممن جلا
من دينه ظلم الضلال ضياء
عنت تبدل شكنا بيقيننا
في ذاك منه السيرة الحسناء^(١)
والسحب توقن أن مصدرها إذا
غمرك منها بالحيا الدماء^(٢)
لله (طه) من طبيب طبه
للعقل والجثمان فيه شفاء
إرشاده يشفي النهي ويعرفه
تلقى شفاء جسمها البؤساء
داوى بخير النصع عقلي وانبرى
منه لجسمي بالجميل دواء
هذا هو الطب المفيد لمن به
من فقره أو جهله أدواء
ما كان للدائين في أهليهما
- لو شاع - ذاك الفتك والإبلاء
لكنه طب يعز وجوده
في بيئة ندرت بها الفضلاء
ويقل أهل الفضل في الوسط الذي
للجهل والإمساك فيه ثواء^(٣)

(١) عنك الشئ: ظهر أمامك.

(٢) الحيا: المطر. والدماء: البحر.

(٣) ثواء: طول إقامة.

فالجَهِلُ والإِمْسَاكُ إن عَكُفا على
وسطٍ فما للفضل فيه بقاء
وأرى محيطي منها لَمَّا يَزَلُ
ففيه بلاءٌ فإدحُ ووباء
فإذا على قومي جرى من مقلتي
- طوعَ الشجون الجريات - الماء
فلأن ذلك كُلُّ ما أسطِيعه
جهد المقصّر في الخطوب بكاء
من لي بكالفياض يشهرُ فيهم
قلمًا جناه حكمةٌ وحِجاء^(١)
فعساه يَبْلُغُ منهم الأسماع ما
في العالمين لهم به إحياء
فَلَذَاكَ أحرى أن تعود قلوبهم
منه لغالي النصيح وهي وعاء
حُرٌّ يَخْفُ عليه من إرشاده
ما لا تُقِلُّ الهَضْبَةُ الشَّمَاءَ^(٢)
وإذا تَوَلَّى المرء من إيمانه
عونٌ عليه خَفَّتْ الأعباء
ما انفكَّ يَتَّبِعُ بالنصيحة مثَلَهَا
كأجل ما تأتي به النُّصَحَاءُ
إقرأ «صدي الشبان» تعرفَ فضلَهُ
فلفضله إضمارها إبداء
والزُّهرُ لا تخفى حقيقة طبعه
ما مَرَّ بالأناف منه شَذَاءُ

(١) الحجا: العقل.

في كل أسبوعٍ تُعيد رنينها
بالخير من ذاك الصّدى أصداء
إني لأصغي نحوها فيزيدني
مِقَّةً (لطفه) ذلك الإصغاء^(١)
ولحسبنا منه نصائحُ التي
للخير منها في النفوس نماء
لكن «طه» ما أكتفى حتى انتثني
ولعُرفه مع نصحه إسداء
منه تداركني ومن إخوانه
في الفضل سعيٌ نافع وجِبَاء^(٢)
حين الممضُ من الخصاصة أهدقتُ
بي منه - أو قد كادت - الأسواء^(٣)
فلهم على معروفهم شكري وهل
للعُرف من شكر الشُّكُور كِفَاء
كلّا ولكن من حقوق جميلهم
أن لا يكون لشكرهم إلغاء
فلذا سَأَبْقَى شاكرًا ما لم يَعُوقُ
بالصمت جائلٌ مِقُولِي الأرداء

(١) المقة: الحب.

(٢) الجبَاء: العطاء.

(٣) الخصاصة: الفقر وسوء الحال.

دموع على عبد الله الخلف الدحيان^(١)

ما بعد فقدك للكويت عزاءً
أُنِّي وأنت بجسمها الحوباء^(٢)
ما مِتُّ أنت وإن حوتك حفيرةً
لفظتكَ فيها الآلةُ الحدياء
كلًّا ولكن الكويت هي التي
ماتت وماتت ضمنها الأحياء
ما كان موتك غير سُلمِ جنةٍ
فيها تدوم لمثلِكَ النعماء
عَجِلْتُ فمدَّتْهُ ليفضيَّ مسرعًا
بك نَحْوَهَا من ربك الآلاء
أصبحت للفردوس عنا راحلاً
عجلان مذن منها أتاكَ نداء
فغدا رحيلك للكويت وأهلها
موتًا زؤامًا ما به إبقاء
كنتَ القِوامَ المعنويَّ لموطنٍ
فدحت عليه ببيـنكَ الأرزاء^(٣)
إن فزت بالمحيا المؤبد بعده
فالبُعدُ منك أتاه وهو فناء

(١) كان المرحوم الشيخ عبد الله الخلف الدحيان من أخلص أصدقاء الشاعر وصادف أنه هطلت أمطار

غزيرة يوم وفاة الشيخ عبد الله. وقد قيلت هذه القصيدة بعد مرور أربعين يوماً على الوفاة.

(٢) الحوباء: النفس.

وإقامة العلماء محيا شعبيهم
وحمامه أن ترحل العلماء
فإذا عن الأقوام من علمائهم
غربت بجنات الخلود ذكاء^(١)
فأبسط إلى الأقوام كف مودع
فلقد تنبّه فيهم الإرداء
غادرت أمواه العيون جواريا
أسفا عليك تُمِدُّهُنَّ دماء
فاعجب لأموات أسال دموعهم
حي أتاه من الإله دعاء
ولقد بكتك وقد أحست قبلنا
منك الفراق الديمة الوطفاء
قد غاض ماء جفونها حتى إذا
أزف الترحل منك فاض الماء
أحشاؤها ذابت بنار تنهد
تدعى البروق فسالت الأحشاء
حتى لخفنا أن يعم بسيلها
دور الكويت الهدم والإبلاء
وغدا يرى الغيث الذي هو رحمة
كل من السكان وهو بلاء
وكذا لفرط مزيدها أو نقصها
عن حالها تتحول الأشياء
لبثت تنوح وتكتم السر الذي
ناحت له من فوقنا الأنواء

(١) ذكاء: اسم الشمس.

حتى رحلتَ فعادَ سِرُّ نواحيها
يوم الرحيل وما عليه خفاء
فثنى رحيْلُك كل مقلّة مسلمٍ
بالدمع وهي سحابة غراء
حتى انتنت طوع الشجون عيوننا
هي والسحاب في البكاء سواء
إن كان وصفي أمس عندك شاعراً
فاليوم وصفي النائح البكاء
أو كنتُ قبل نواك بُلبُلَ معشرٍ
فيهم قريضي سار وهو غناء
فالبعد منك أعادني بنياحتي
وأنا حمامة أيكة ورقاء
لو كان شعبي بالتناسخ مؤمناً
يا (صخر) أيقن أنني (الخنساء)^(١)
ما عن أبي خلفٍ لنفسه سلوةٌ
ما لم يتح لي من علاه لقاء
ما زلت أخشى من صروف منيَّتي
أيام أدنو منك حين أشاء
واليوم قد أصبحتُ أستشفى الردى
والموت في بعض الظروف شفاء
إن كان داء الخلّ نهجٌ لحاقه
بالخل فالداء المميت دواء
شقيت بك الغبراء يوم هجرتها
ولطالما سعدت بك الغبراء

(١) الخنساء الشاعرة الصحابية المشهورة كانت دائمة البكاء على أخيها صخر.

جَنَّتْ عَلَيْهَا بَعْدُ بَعْدُ لَيْلَةٌ
مُرَبَّدَةٌ أَرْجَاؤُهَا لَيْلَاءٌ^(١)
ضَلَّتْ بِحِنْدِسِهَا سَبِيلَ عَزَائِهَا
إِنْ كَانَ بَعْدَكَ لِلْعِزَاءِ بَقَاءٌ^(٢)
لَمَّا نَعَوَّكَ إِلَيَّ أَحْيَا قَوْلُهُمْ
فِي الشَّجَوْنَ فَمَاتَتِ الْأَعْضَاءُ
وَإِذَا بِرُحْبِ الْأَرْضِ دَائِرَةٌ عَلَى
جَسَدِي تَضُمُ إِطَارَهَا الْأَسَاءُ
فَسَجَدْتُ فَوْقَ التُّرْبِ لَا لِتَعْبُدٍ
لَكِنْ لِأَمْرِ شَاءَهُ الْإِغْمَاءُ
فَلَبِثْتُ فِي الْإِغْمَاءِ بَضْعَ دَقَائِقٍ
فِيهِنَّ مِنْ حَسِيٍّ أُسْتَتَبَّ جَفَاءُ
ثُمَّ انْتَبَهْتُ بِحَالَةٍ مَرْهُوبَةٍ
مِنْهَا غَدَتِ تَرْتِي لِي الْأَعْدَاءُ
مَتَمَنِّيًّا أَنْ لَمْ أَفُقْ مِنْ صَعْقَةٍ
مَرَّتْ وَزَعَزَعَهَا عَلَيَّ رِخَاءٌ^(٣)
نَبَأُ أَمَاتِ الصَّبْرِ إِذْ أَحْيَا الْأَسَى
فَاعْجَبْ لِمَوْتِ طِيَّةٍ إَحْيَاءُ
فَكَأَنَّهُ دَمْعُ الْغَمَائِمِ إِذْ أَتَتْ
وَلَهَا عَلَيْكَ تَلَهُفٌ وَبِكَاءُ
شَقَّ الثَّرَى عَنْ كُلِّ رَوْضٍ مَيِّتٍ
مِنْهُ بِجَوْفِ التُّرْبِ طَالَ ثَوَاءُ

(١) جَنَّتْ: أَظْلَمَتْ. مُرَبَّدَةٌ: مَظْلَمَةٌ.

(٢) الْحِنْدِسُ: الظِّلْمَةُ.

(٣) رِيحُ زَعَزَعٍ: شَدِيدَةٌ. وَرِيحُ رِخَاءٍ: لَيِّنَةٌ.

وثنى المباني وهي صرعى لم تكد
من جُلّها تَتماسك الأجزاء
حتى كأن قُوى مَشِيدِ بِنائنا
سأَمُ عَراها منه أو بَغضاء
فَتَجَرَّدتْ منه لِسكنى غيرهِ
فإِذا النّبات يدبُّ فيه ذَماء^(١)
فأتته أويّةٌ إليه فانتثني
نشأً بسكناها له ونَماء^(٢)
فالنبت يعلو والمباني تنحني
بِنَواكُ فهي الخَفْضُ والإِعلاء
فمن المباني في البلاء شَكِيّةٌ
ومن المنابت في النماء ثناء
فهما لفقدك ينظّمان مراثياً
فالشكو يصبّه الثناء رثاء
ما إن رأينا قبل فقدك عالماً
ترثيه قط منابتٌ وبناء
وإذا غدت ترثي المنابت والبُنى
عادت كأخرسٍ ما ترى الشُّعراء
وإذا عييتُ عن الرثاء ولم تكن
بالعِيِّ تَعْرِفُ مَقُولِي اللأواء^(٣)
فكذا غريب الفضل يأتي نأيه
وبه لكل غريبةٍ إدناء

(١) الذماء: الحركة وبقية النفس.

(٢) النشأ: الصغير الذي ينشأ.

(٣) اللأواء: الشدة وضيق المعيشة.

إِيَّاهُ أَعْبَدُ إِلَهُ قَل لِي هَلْ أَتَتْ
عَنَّا تَصَافَحَ سَمْعَكَ الْأَنْبَاءُ^(١)
فَعَلِمْتَ أَنِّي مِنْ نَوَاكٍ بِحَالَةٍ
مِنْ مِثْلِهَا تَتَمَثَّلُ الْأَسْوَاءُ
مَا بَيْنَ أَحْزَانٍ إِذَا أَخْفَيْتُهَا
أَضْحَى لَنَا بِدُمُوعِنَا إِبْدَاءُ
تَبْدُو وَتَخْفَى بِالدَّمُوعِ وَبِالْأَسَى
هَذَا لَنَا سَتْرٌ وَتِلْكَ جَلَاءُ
فَكَأَنَّنَا سَفْنٌ لَنَا مِنْ حَالِنَا
مَوْجٌ مَضَتْ بِسُكُونِهِ نَكْبَاءُ^(٢)
جَزَعٌ تَمْشِيٌّ مَوْغَلًا بِنَفُوسِنَا
وَبِهَا تَمْهَدُ سُبُلُهَا الْبُرَحَاءُ^(٣)
حَتَّى غَدَا وَلَهُ عَلَى أَعْمَاقِهَا
بُوطَانُهَا وَغَطَائُهَا اسْتِيْلَاءُ
مَهْمَا أَرَادَتْ كَبَّتَهُ أَوْ طَرَدَهُ
عَنْ الْأَسَى وَأَعَانَهُنَّ حِجَاءُ
غَضِبِ الْوَفَاءِ عَلَيْهِمَا مُسْتَبْقِيًّا
جَزَعًا لَهُ بِصَوَابِنَا إِلْوَاءُ^(٤)
إِنْ كَانَ حِظُّكَ مِنْ نَوَاكٍ سَعَادَةٌ
فَنَصِيبُ قَوْمِكَ مِنْ نَوَاكٍ شِقَاءُ
فَاهِنًا أَبَا خَلْفٍ بِمَنْزِلِكَ الَّذِي
أَبَدًا يُجَلِّلُ جَانِبِيهِ صَفَاءُ

(١) إِيَّاهُ: كلمة استزادة واستنطاق أي زدني وأخبرني.

(٢) النكباء: كل ريح انحرفت ووقعت بين ريحين وهي تهلك المال وتحبس القطر.

(٣) البرحاء: الشدة والمشقة. وخص بها بعضهم شدة الحمى.

(٤) ألوى بالشئ إِلْوَاءً: ذهب به.

فهناك لا حسدٌ ولا حقدٌ ولا
 مكرٌ ولا غدرٌ ولا شحنا
 وهناك لا كذبٌ ولا غشٌ ولا
 زورٌ ولا كِبَرٌ ولا خُيلاء
 وهناك لا شحٌ ولا ذو نعمةٍ
 عنها تُذاد بجوعها البؤساء
 وهناك لا تلقى وداً صَحبَةً
 يتلونون فكلهم حرياء
 وهناك لا كيدٌ ولا ذو حيلةٍ
 بشباكها بُلَّةُ الوري أسراء^(١)
 وهناك لا جبنٌ ولا ذو صولةٍ
 وجلاً تُحاسبُ رأيه الآراء
 وهناك لا ظلمٌ ولا ذو قوةٍ
 منه تخاف السطوة الضعفاء
 وهناك لا طمعٌ ولا ذو ثروةٍ
 تعنوا لوجه ثرائه البسطاء
 وهناك لا أغراضَ تمنعُ أهلها
 أن ينصروا حقاً ولا أهواء
 وهناك لا نسبٌ به يعلو الفتى
 إن خانته حسب ولا أزياء
 وهناك لا استهزاء ينسج ثوبه
 المدام حادثةٍ ولا إزراء
 وهناك لا بؤسٌ تثير رياحه
 تُهمًا على العافي ولا ضرًا^(٢)

(١) البُلَّة: جمع الأبله، وهو الذي لا عقل له.

(٢) العافي: طالب المعروف.

وهناك لا حشرات في صور الورى
 منهن يؤذى منطقُ ورواء^(١)
 وهناك لا تقضي الخيانة أن ترى
 ذممًا تداس كأنهن حذاء
 وهناك لا ملق ولا مذق ولا
 أشر ولا بطر ولا فحشاء^(٢)
 تلك التي قد كنت تمقتها ومن
 مرأى ذويها في الأنعام تُساء
 أصبحت تأمن أن تراها مرة
 أخرى فمنهن الخلود خلاء
 ما ثم من كدر ولا عكر ولا
 عيش تمر بصفوه الأقداء^(٣)
 فاهداً وطب نفساً فقد نلت التي
 فيها يحف الساكنين هناء
 مضت الليالي الأربعون وكلها
 منها الدقيقة حجة شهباء^(٤)
 طالت فما ندري أضلت قصدها
 فغدت تدور كأنها أرحاء
 أم أنها افتقدت علاك فعاقها
 عن سيرها في بحثها استقصاء
 أم أنها علمت ببينك فاعتري
 أعضائها من حزنها استرخاء



(١) الرواء: المنظر الحسن.

(٢) المذق: عدم الإخلاص وهو المداهنة. والأشر: البطر أو أشد البطر.

(٣) ثم: هناك. والأقداء جمع قذى وهو ما يرمى به.

(٤) الحجة: السنة.

يا من على جزعي أتاني لائماً
إن شئت بي أن تجدي اللؤماء
فمُر الشجون يدعن قلبي إن يكن
منها إلى قول امرئٍ إصغاء
فلقد غدا ما بينها وكأنه
كُرّة تناوب قذفها اللُعباء
أو لا فدعني جازعاً متلهفاً
واذهب فما للؤم بي إجداء
فلقلّما انتفعت بكحلٍ - ذرّه
فيها الطبيب - المقلّة العمياء
يا من إلى الجنات سارع إننا
مذ سرت في نار الأسى حلفاء
أغرّت بنا نار الأسى منك النوى
فلها بنا طوع النوى إبراء^(١)
خُطباً وأشعاراً يخال كلامنا
في مثل هذي الحفلة الجهلاء
وكلامنا هذا لعمرُ فقيدنا
من حرّ نار شجوننا ضوضاء
يا من بمناءه التظّت أشجاننا
أيتاح يوماً ما لها إطفاء
أم هكذا نبقى فتبقى تشتكي
لفحاتها الشعراء والخطباء
إني عهدتك لا تجيء بغير ما
منه لمثلي في الورى سراء

(١) أورت إبراء: اتقدت.

فعلام جئت من الرحيل بما به
 عمّ القلوب من الغليل عفاء
 ماذا أراك والقلوب جميعها
 لوداك المحض الصريح وعاء
 فرميت عن قوس الفراق صميمها
 بسهام حزن شأنها الإصماء
 ما كنت أحسب أن تحول لحادث
 فتحول منك الغادة الحسناء
 هذي الكويت بمن بها قد أصبحت
 نشوى تميد وما بها الصهباء^(١)
 عكست بنا العاد الجميل يد النوى
 فمن الدواء بها أتنا الدواء^(٢)
 لو لم تثر شمس الضحى سبل الورى
 لم تشكهم بأفولها الظلماء^(٣)
 لو لم تك الدماء محيا حوتها
 ما ضارته أن تنضب الدماء^(٤)
 فاذهب عليك تحية من راحل
 بكّت الكويت رحيله جمعاء
 فبكاك مصلحها ابن عيسى عالماً
 أن البكاء على علاك وفاء^(٥)
 وبكاك مبكى يوسف أهل النهى
 فغدت تعيد صداهم الدهماء

(١) الصهباء: الخمر.

(٢) العاد: جمع العادة.

(٣) لم تشكهم: لم تزل شكواهم ولم تعتبهم.

(٤) الدماء: البحر.

(٥) ابن عيسى يريد به الشيخ يوسف بن عيسى القناعي.

فالقوم عن تقليدهم أو علمهم
مما به يَبْكُونُ حُلٌّ وكاء^(١)
فالدمعُ تنثر نظمهُ أجفانهم
والشعرُ تنظم نثرهُ الفصحاء
فكانك استودعتَ ألسنةَ الورى
وعيونهم دُرّاً فحان أداء

(١) الوكاء: كل سير أو خيط يشدّ به فم السقاء أو الوعاء.

الحر من يأبى الهوان

أُتِجِبْ أَنْ تُلْقَى الْإِهَانَةَ مَرَّةً
أُخْرَى كَمَا حَقُّهُ الْمَدِيرُ يَشَاءُ
لَا خَيْرَ فِي رِزْقٍ تُصَادَفُ دُونَهُ
مَا لَا تَطِيقُ مِنَ الْأَذَى وَتُسَاءُ
حَتَّى الْحَيَاةِ إِذَا خَلَّتْ مِنْ عِزَّةٍ
دَاءٌ لِمِثْلِكَ وَالْحِمَامُ دَوَاءُ
مَا الْحُرُّ إِلَّا مَنْ تَأَبَّتْ نَفْسُهُ
سَوَمَ الْهَوَانَ فَهَلْ لَدَيْكَ إِبَاءُ
وَلَا عَذْرَ الْعِقْلَاءِ يَوْسُفُهُمْ إِذَا
وَأَفَاهُ عَذْرَكَ وَالْتَرَدُّ دَاءٌ^(١)
أَتَخَافُ غَيْرَ قَبُولِ عَذْرِكَ إِنْ قَضَى
بِقَبُولِهِ مِنْهُ عَلَيْهِ حِجَابُ
أَيُّرِدُ عَذْرَكَ عَاتِبًا أَوْ لَائِمًا
وَكَمَا عَلِمْتَ تُقَاهُ وَالْآرَاءُ

(١) يوسف بن عيسى القناعي.

إلى الزعيم عبدالعزيز الثعالبي^(١)

أكذا يكون تواضعُ الكُبراءِ
وتلطُّفُ العلماءِ بالشعراءِ
كلّا ولكنّ التواضعَ شيمَةٌ
لزعيم تونس نُدرّةُ الزعماءِ
وافيتَ بالتبريك في العيد امرأاً
خلعَ القضاءُ عليه ثوبَ شقاء
فأريته وجهَ السُّرورِ وطالما
سَتَرْتُهُ عنه سواترُ اللأواءِ^(٢)
أنّى يرى وجهَ المَسْرَةِ بارزاً
من لم يزل من أبأسِ البؤساءِ^(٣)
يشكو طواه معلناً لكن إلى
أُنْ - عن الشاكي الطُّوى - صَمَاءِ^(٤)
قلبُ الكويت من الشراسة مفعمٌ
لكن على مثلي من الأدباءِ
الناصحين المخلصين بنصحهم
النايذين خداعها الصُّرحاءِ

(١) قيلت في صفر سنة ١٣٤٧ عندما زار الزعيم التونسي المرحوم عبدالعزيز الثعالبي ورأى من تواضعه ما أعجبه.

(٢) اللأواء: الشدة وضيق المعيشة.

(٣) أنى يرى: كيف يرى.

(٤) الطوى: الجوع.

كم أرسلُ الصيحاتِ فيها منذراً
 من قسوة طالت على النُصحاء
 فتعيرُ سَمْعَها صياحي عُلَّها
 تُلفي بذاك مبرراً إقصائي
 أما الألى اتخذوا الدهانَ شعارهمُ
 فيها فما زالوا من السُّعداء^(١)
 تحنوُّ حُنُوَّ الأمَّهاتِ عليهمُ
 وهمُ إليها طُرُقُ كلِّ بلاء
 وترى تقدُّمَها - وهذا شأنها
 مع أهلها - من ممكن الأشياء
 فأظُلُّ فيها ضاحكاً من رأيها
 ضحكاً يقطُّعه مريُّ بكائي
 قد عزَّني فيها البلاغُ لأنني
 ما شِبتُ إخلاصي لها برياء^(٢)
 من لي بها بلداً إذا استوطنتُ
 أحرزتُ فيه مُسَكَّةَ الحُوباء^(٣)
 ما الرأيُ يا «عبدالعزیز» ففاقتي
 في ليلها عني اختفت أرائي
 أرني طريقاً للتخلص مفضيًّا
 من حالةٍ في موطني نكراء
 ماذا ترى غيرَ الرِّحيلِ فقد أبى
 هذا عليَّ ثَقيلٌ قييدِ عَمائي

(١) الدهان: بمعنى المداينة وقد ورد داهنني مداينة وهي اظهار خلاف ما يضمن، هذا ومصدر فاعل الفاعل والمفاعلة.

(٢) عزني: غلبني وقهرني.

(٣) المسكة: ما يمسك الأبدان من الطعام والشراب. والحباء: النفس.

كن لي برأيك منقذاً فالرأي قد
يكفي لتخليص من البرحاء^(١)
أو لا فسَلْ وعَزْ مني أرملاً
فجعته شِقْوَتُهُ بكلِّ عزاء
فلقد تكونُ التعزياتُ مريحةً
من لم يجدْ في العيش غيرَ عناء
لا سيَّما وزعيمٌ تونسَ ناظمٌ
منها النثيرَ بحكمةٍ ودهاء

(١) البرحاء: الشدة والمشقة أو شدة الحمى.

العلم أصل الخير

الجهلُ داءٌ الشُّعْرُ عندي وحده
والعلمُ في رأيي أجلُّ دوائهِ
فالشعب من مالٍ وعقلٍ لم يكن
خلواً ولا من حزمِهِ وذكائه
لكن من العلم الذي هو نوره
في سُبُلِ مَحْيَاهُ إلى عليائه
وإذا البصير عداه نورٌ في الدجى
حاكى البصيرُ العُميَ في ظلماته
فأهْبُ بشعبك للعلوم فإنه
يحظى على ما أرتئي بشفائه
الشعبُ علتهُ افتراقُ مهلك
والإتحادُ لديَّ خيرُ دوائهِ
لكن إذا بَنَتِ الوئامُ يَدُ الحِجَا
وبنى الحِجاءُ العلمَ من علمائه
فالعلم عند اللُّبِّ يزكو والنهى
كلُّ اتِّحادٍ راقٍ من إنشائه^(١)
فالعلم أصلُ الخير في أصحابه
والجهل أصلُ الشر في أسرائهِ

(١) النهي: العقول، جمع نهية.

ألجؤوني إلى نظمه دفاعاً لا هجوماً

ليأمنَ لَذْعَ هجوي كلِّ قاصٍ
ودانٍ في الورى مهما أساءَ
فإني قد رأيت أحقَّ شيءٍ
بإلغاء من الشعر الهجاء
لعقلي راضٍ طبعي الشيبُ حتى
إلى إذعانهِ رَدَّ الإبراء
فطبعي طوع عقلي منذ أبدتْ
بظهري بسطة العمر انحناء
وشيبك نعمة إن فيه لبى
لعقلك جامع الطبع النداء
فمنذ كبرتُ داعي الهجو ألقى
سراع قصائدي عنه بطاء
وكان العقل ينهى عنه قبلاً
وليس يرى من الطبع انتهاء
فهل قوَى المشيبُ العقل أم هل
به لبست قوَى الطبع انحناء



وأما ما نطقت به قديماً
لأجزي من تمنى لي الشقاء

فَمِنْهُ أَمْتُ مَا مَحْيَاهُ يُثْنِي
مَنْ الْمَهْجُو لَكَدِرِ الصَّفَاءِ
فَأَبْقَيْتَ الَّذِي لَا بَأْسَ فِيهِ
عَلَيْهِ حَسْبُ مَالِي قَدْ تَرَاءَى
وَأِنْ يَوْجَعُ فَايْجَاعُ خَفِيفٌ
كَمَا اسْتَذَكَّرْتَ بَعْدَ الْبُرِّ دَاءِ
وَإِتْلَافِ الْجَمِيعِ عَلَيَّ أَشْهَى
فَلَيْتَ جَمِيعَهُ وَلَّى جُفَاءً^(١)
فَلَسْتُ أَحِبُّ ذَكَرَاهُ وَلَكِنْ
سِوَى مَا شِئْتُهُ التَّارِيخُ شَاءَ
وَلَمْ أَنْظِمْهُ حَتَّى الْجُؤُونِي
إِلَى نَظْمِيهِ ظَلَمًا وَاعْتِدَاءَ
وَسُقْمِ الْمَرءِ يُلْزِمُهُ أَنْيُنَا
عَلَى حَسْبِ التَّأْذِي وَاشْتِكَاءِ
وَقَدْ يَهْذِي الْمَرِيضُ وَأَيُّ حُرٍّ
تَرَاهُ مَنْكَرًا مِنْهُ الْهُذَاءُ
أَسَاءُوا فِي مَعَامِلَتِي إِلَى أَنْ
عَصَيْتَ بِهِ ضَمِيرِي وَالْحِجَاءَ
وَلَمْ أَنْطَقْهُ مَفْتَرِيًّا وَلَكِنْ
هُمَا كَرِهَاهُ صَدَقًا وَافْتِرَاءَ
وَلَمْ أَفْحَشْ عَلَى أَحَدٍ بِهِجْوِي
وَلَوْ أَدْنَتْ يَدَاهُ لِي الْثَوَاءَ^(٢)
فَهُجْرُ الْقَوْلِ يَنْكَرُهُ وَيُولِي
إِلَيْهِ الْهَجْرَ طَبْعِي وَالصَّفَاءَ

(١) جفاء: السيل ما يقذفه من الزبد والوسخ ونحوهما.

(٢) الثواء: طول الإقامة ويريد به هنا الموت.

أينسج منطقي منه غشاءً
لمهجو الأعادي أو رداء
ونفسي منه تآلم ما أحست
لأيسره إلى سمعي ارتقاء
ولم تُولِ التفاتتَها احتقاراً
فتى يهذي بفحشٍ وازدراء
أنطق ما أضيق بناطقيه
كمن جمع الجهالة والغباء
يعدُّ سماعه سمعي بغيضاً
لما يلقي إذا سمع الغناء
فلو خيَّرتُ في صممي وفيه
رأيت عليه للصمم اصطفاء
فشعري منذ قلتُ الشعر طفلاً
بريئاً كان من فحشي خلاء
ويوجع من هجوت على اجتنابي
به الإفحاش صوناً واعتلاء
ولم أصدِّم به يوماً سوى من
أَبَوْا إلا مصادمتي التواء
دفاعاً لا هجومًا كان كي ما
أعيدُ به التواءهم استواء
أبت لي غير قول الهجو فيها
أناسٌ أوسعوا نفسي عناء
ومن تُحرِّجُه تُخرِّجُه ولو لم
يَرُقُّه أن يनावبك العداء
لزمت رجاء كفَّ الشرِّ حتى
تَنَوَّأ مني إلى اليأس الرجاء

فليت الكل منهم من مُثيري
عليه من مساعيه ثناء
فكان الكل منا مستريحاً
مدى الحيا ختاماً وابتداء
بلاءً حياتنا يكفي فما لي
أرى المؤذين زادوها بلاء
صواب الرأي في أن لا يضيفوا
لنار بلائها إلا انطفاء
وقد خفي الصواب على نهاهم
فبَرَّحْ عنه يا ربي الخفاء
وصيِّرْ عفوك المرجو عنهم
على ماضي أذيتهم جزاء
فأكْرَهُ ما كرهتُ عذاب غيري
لأجلي ما أتى ضدي وجاء



عجبتُ لعاشقٍ تنغيصَ عيشي
ولم أعشّق له إلا الهناء
فكم رجلٍ - ولم أذنب - أرتني
مساعيه مساءاتي ولاء
كأنهم رأوا في مُسخِطاتي
إذا كثُرَتْ لأنفسهم رضاء
وأعرف سِرَّ ما يأتيه مؤذٍ
فيأبى عنصري عنه انتماء
فخُلفُ العنصرين اليوم داءٌ
تخيب إذا طالت له دواء

وأَجْهَلُ سِرٍّ مَقْتٍ، عَنْهُ كَانَتْ
أَذَاةٌ لَا أَطِيقُ لَهَا لِقَاءَ
رَمْتٍ عَنْ قَوْسِهَا قَلْبِي بِنَبِيلٍ
جُرُوحٍ شَبِيهَهَا تَأْبَى الشِّفَاءَ
مَسَاعِي مَعْشَرٍ وَالْكَلِّ مَنَا
بِنَسَبِيَّتِهِ إِلَى قَحْطَانِ فَاءَ
وَأَقْتُلُ مَنْ رَمَاكَ أَخٌ تَمَنَّى
لَهُ أَنْتَ السَّعَادَةَ وَالْبَقَاءَ
فَلَمْ أَرِ كَالْأَذْيَةِ مِنْ قَرِيبٍ
رَعِيَتْ لَهُ قَرَابَتَهُ وَفَاءَ
فَمَزْدُوجٌ بِقَلْبِي كُلِّ جَرْحٍ
بِهِ مَنْ يَمُوتُ عَرَبِيٍّ الْأَصْلُ بَاءَ
لَأَنَّ السَّهْمَ مِنْهُ إِلَيَّ فَيَهْ
لَهُ شِرْكٌ فَيَقْتُلُنَا سَوَاءَ
فَإِنْ أَبْكَى أَذَاهُ عَلَيَّ عَيْنِي
رَأَيْتُ لَهَا عَلَيْهِ مَعِيَ بَكَاءَ

الكويت وبغداد^(١)

حَسَدَتْ بِكَ الزُّورَاءَ غَيْرَ مَلُومَةٍ
أَرْضٌ بَثَّتْ الْعِلْمَ فِي أَبْنَائِهَا^(٢)
عَجَلٌ مَأَبِكَ لِلْكُوَيْتِ مَبَادِرًا
أَنْ يَفْتِكَ التَّحْسِيدُ فِي أَحْشَائِهَا
حَسَدَتْ وَقَدْ عَلِمْتَ بِأَنَّكَ زَائِرٌ
دَارَ السَّلَامِ الْيَوْمَ مِنْ جَرَائِهَا
وَتَحَاسُدُ الْبِلْدَانُ دَاءً مُعْضِلٌ
مَذْكَانَتِ الدُّنْيَا عَلَى عِلْمَائِهَا
يَا مَنْ بِهِ ارْتَفَعَتِ الْكُوَيْتُ إِلَى الْعُلَا
حَتَّى أَمَّ أَنْتَ تَكْدُ فِي إِعْلَائِهَا
اسْتَبَقَ مَهْجَتَكَ الْكَرِيمَةَ إِنَّنَا
فِي حَاجَةٍ كَبِيرَى إِلَى اسْتَبْقَائِهَا
إِنْ كُنْتَ تَكْدَحُ لِلْمَعَالِي فَاتَّئِدْ
فَلَقَدْ سَكَنْتَ الْيَوْمَ فِي حُوبَائِهَا^(٣)
أَبْرَزْتَ تَارِيخَ الْكُوَيْتِ يَمِيسَ فِي
حُلِّ الصَّرَاحَةِ حَالِيًّا بِحُلَائِهَا
لَمْ تَخْشَ لُومَةَ لَأْتَمِيكَ مَصْرُحًا
فَظْفَرْتَ مِنْ أَحْرَارِهَا بِثَنَائِهَا
أَبْدَيْتَ كُلَّ حَقِيقَةٍ فِيهِ كَمَا
كَانَتْ وَمَا دَلَّسْتَ فِي إِبْدَائِهَا

(١) سافر المرحوم الشيخ عبدالعزيز الرشيد إلى العراق في زيارة له واطلع الشاعر على نموذج من الجزء الأول من كتاب تاريخ الكويت فأرسل هذه القصيدة إلى الشيخ عبدالعزيز الرشيد ببغداد.

(٢) الزوراء: اسم لعدة أماكن، وهنا يراد بها بغداد.

فأُتِبْتُ على نشر الحقائق عالماً
أنَّ الحقائق أنت من أَمَنائها



أما نَوَاكَ فأشعلت في أضلعي
ناراً إليك الرأي في إطفائها
أشَوْتُ نجيثَ البين أسهمُ سلوةٍ
لولا نَوَاكَ عَجِبْتُ من إشوائها^(١)
مذ أسهمُ الجَزَعِ المميتاتُ انثنت
مفترةً بحشاي من إصمائها
إحياءُ نفسي عن لقائك ناشيءُ
قل لي أتسلو النفسُ عن إحيائها
تُصِبي إليك النفسَ فيك خلأقُ
لم تنجُ حتى العمي من إصبائها
فالشمس تسبح في السماء مضيئةً
رأد الضحى بالتمُّ من أضوائها^(٢)
كلًّا ولا تصفو قريحه شاعرٍ
هَبْ أنه «حسان» مثل صفائها^(٣)
عشْ وأبقَ محمود الخلائق آمناً
أن تنثُرَ الأيامُ نظمَ بهائها^(٤)



(١) الشوى: اليدان والرجلان وجماعة الأطراف مما ليس بمقتل، ورماء فأشواء، إشواء: أصاب شواء ولم يصب مقتله. والنجيث: الأمر والسر.

(٢) رأد الضحى: رونق الضحى أو ارتفاعه حين يعلو النهار.

(٣) حسان: هو حسان بن ثابت شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم. وفي تاريخ الكويت روي عجز البيت هكذا: هبه أبا تمام مثل صفائها.

(٤) نشر الرشيد هذه القصيدة ناقصة البيت الأخير.. ولكنه وضع مكانه كلمة الخ.. الخ.. ثلاث مرات مما يدل على أن للقصيدة بقية لم يثبتها ولم تات في الديوان.

دنيانا سراب

يَجِدُ خَصَامُهُمْ فِيهَا سَفَاهًا
وتسمع كالذئاب لهم عواء
وما أنفكت لياليهم تريهم
مكاره صُنْعِهَا بِهِمْ ولاء
فما جفت جفون الحي منهم
على موتى أحببته بكاء
وينسى أنه لا بُدَّ ماضٍ
على الآثار صبحًا أو مساء
فتلقى صُنْعَهُ فِيهَا نَهَارًا
وليلًا صَنَعَ مِنْ أَمِنَ الْفَنَاءِ
يواصل للتكثير من جناها
توارث من نوى فيها التواء
فينعكس المرام عليه حتى
يرى مُنْسَاغَ أَنْعُمِهَا شَجَاءِ
ويقتل نفسه من حيث يبغي
زيادتها من الحياء عناء
ولم تبرح مطامع كل نفسٍ
تزيد بلاءَ محياها بلاء
وهل غير المطامع للبرايا
مناهلُ وِردِهَا يُرْدِي الظَّمَاءِ

فلو هجروا المطامع لم تُشاهدْ
لبعضهم على البعض اعتداء
ولم يعرف بنو الإنسان هزاً
لرمحٍ أو لصارمٍ انتِضاء
فلا طعنٌ ولا ضربٌ عليهم
يجرّان الإبادة والعفاء
وعاشوا إخوةً لا سعي إلا
إلى محضِ المبرّةِ أصدقاء
مُجافين الخيانة والتعادي
مُصافين المودة والوفاء
ولو كانوا كذلك لاستطابوا
ضُحى المحيا ولا ذمّوا العِشاء
فلم تُفجّع براحتها نفوسُ
تمنت من متاعبها الثواء
ولا أخذت مأخذها شجونُ
وأكدارُ طوت عنها الصفاء
ولكن لم تدع لهم صواباً
مطامع قد أبت إلا النماء
قويهم على ذي الضعف يرجو
لحيالته المدمرة انطلاء
فإن تمت فذلك ما رجاه
وإن فشلت يكاشفه العدا
فتذكرو نار حربهم لتلقى
بها أنوار عيشهم انطفاء

يدوس الناسُ هامَ الناسِ سعيًا
وراء فضول دنياهم غيباء
أحِرْصُهُمْ عَلَى الدنْيا لِيَمْضُوا
بِه عَنْهَا سِرَاعًا لَا يَظْأَرُ
يَخِيلُ حِرْصُهُمْ إِنْ لَمْ يُجَنَّبُوا
لَهَا حَبًّا شَدِيدًا بَلْ قِلَاء
كَأَنَّ النَّاسَ مِنْهَا قَدْ أَرَادُوا
تَخْلُصَهُمْ مَلَالًا وَاجْتِوَاء
أَمَّا عَلِمُوا بِأَنَّ الْحِرْصَ دَاءٌ
وَلَيْسَ سِوَى الْقَنْزِ لَه دَوَاء
فَمَالِي لَا أَرَى لَهُمْ إِلَيَّ
- وَقَدْ وَضَحْتُ مَعَالِمَهُ - اهْتِدَاء
وَلَوْ قَنَعُوا اسْتِرَاحَ الْكُلِّ مِنْهُمْ
وَفَاتُوا مَا يَسْوُوهُمْ وَسَاءَ
تَخَاصُّهُمْ عَلَى الدنْيا شَدِيدٌ
مَدِيدٌ لَا أَظُنُّ لَهُ انْتِهَاء
إِلَى أَنْ تُنْهِيَ الْحَيَا وَغَاهُمْ
كَمَا مِنْهُمْ لِعَيْنِ الْحِرْصِ شَاءَ
قَدْ افْتَتَنُوا بِهَا إِذْ لَمْ يَشِيْمُوا
لَهَا كُنْهًا كَمَا شَامُوا الرُّوَاءَ^(١)
وَلَوْ سَأَلُوا الْحِجَابَ عَنْهَا وَأَجَلَى
لَهُمْ عَنْ كُنْهَهَا الْخَافِي الْغِشَاءُ
لَعَزَّكَ أَنْ تَرَى أَحَدًا يَبَالِي
لَهَا هَدْمًا يُتَاحَ وَلَا بِنَاءَ

(١) الرواء: المنظر الحسن.

فلم تسمع خصاماً قطُ فيما
يراه العقلُ ألا أو هباء^(١)
وأصبح زهدُهم فيها بديلاً
لعشقِ بينهم يُجري الدماء



ترى زيداً كعمروٍ عن غرامٍ
بها يبدي احتفالاً واحتفاءً
يودُّ بها انفراداً عنك حتى
أخوك الشَّقُّ ناسياً الإخاء
يظل الكل منها مستزيداً
ولو فات الثرى عدداً ثراءً
ويمضي صَبُّها عنها ولما
يُصبِ إلا كسَاءً أو غداءً
ويترك كل ما منها تائياً
لديه سواهما قسراً وراء
ولو بهما اكتفى كل لأضحى
وأمسى الكلُّ يحمداً الاكتفاء
فليس إلى السلام سواه دربٌ
به السُّلَاكُ يلقون الإواء^(٢)



جحيم الحرب، لوعم البرايا
قُنوعٌ ما شكوا منها التظاء
ونال الكل ما يحتاج مما
عليه تشكر الأرض السماء

(١) الال: السراب أو هو الذي يكون ضحى كالماء.

(٢) أوى: يأوي، أويًا، وأواء، عاذ ولجأ.

فخير الأرض يكفيهم ويثني
إذا قنعوا تَعَادِيهِمْ وَلَا
ولكن أَغْرَتِ الْأَطْمَاعُ بَعْضًا
تُجَاهَ الْبَعْضِ فَاحْتَكَرُوا الرُّخَاءَ
وكانت منذ أزمانٍ كما قد
علمناه يقينًا لا افتراء
تصيحُ - أن اقنعوا بهم - فهاهم
لتستبِقُوا مع الحيا الحياء
فما غير القُنُوعِ به تلاقي
حروبُكُمْ - إذا عَمَّ - انقضاء
وتدعوهم ضمائرهم إليه
فما سمعوا الصياحَ ولا الدعاء
فمن حربٍ تُبْرِحُ - عن فنونٍ
من الإفناء بينهم - الخفاء
إلى أخرى أشدُّ كما اقتضاه
لهم حرصٌ أضلَّهُمْ سواء
أمن حيث السقام يُمِيتُ تغدو
مِراضُ الحرصِ تلتمس الشقاء
هُمُ من دهرهم أبداً بحربٍ
تعذر أن يروا منها احتماء
فَلِمَ زادوا عليها كلَّ مفنٍ
نفوسهم اختياراً واشتقاء
تأملُ ساسة الدنيا أَرْضَتُ
سياستهم ضميراً أو حياء
وغيرَ النفي لا يُلقي جواباً
لسانك حسب ما لي قد تراءى

فَمِلْ عَنْهُمْ وَخَبِّرْ عَنْ شُعُوبٍ
أَنَالُوا السَّاسَةَ الْحُمُقَ احْتِفَاءً
وَكَيْفَ تَخَيَّرُوا نَفَرًا تَنَافِي
سِيَّاسَتِهِمْ لَجَنَسِهِمُ الْبَقَاءُ
رَجَاءُ زِيَادَةِ الْأَمْلَاقِ حَتَّى
لَأَشْبَهَ سَائِسِيهِ الْكُلُّ دَاءُ
وَهَلْ يَسْوَى ازْدِيَادُ الْمَلِكِ بِشَرِّ
بَصَرَعَى تَمَلُّ الْأَرْضُ الْفَضَاءُ
أَعْنِهِمْ تَفْتَدِي الْأَسْلَابُ مَهْمَا
عَلَتْ ثَمَنًا لِسَالِبِهَا عِزَاءُ
وَتَطْمَعُ نَفْسُهُ فِي أَنْ تَلَاقِي
- وَقَدْ ذَهَبَتْ أَعِزَّتُهُ - هِنَاءُ
تَسْوَمُهُمُ الْمَطَامِعُ كُلُّ شَرٍّ
وَلَمْ يَرِ مَطْمَعٌ مِنْهُمْ إِبَاءُ
بَنِي الدُّنْيَا الْقِنَاعَةُ لَا سَوَاهَا
لَعَيْنَ حَيَاتِكُمْ تَغْدُو جَلَاءُ
وَأَقْذَارُ الْمَطَامِعِ مَعْمِيَّاتُ
وَكَمْ مِنْهُنَّ قَدْ لَقِيَتْ قَذَاءُ
وَأِنْ لَمْ تَقْنَعُوا طُرًّا أَعْدْتُمْ
عَلَيْكُمْ ظُلْمَةً مِنْهَا الضِّيَاءُ



سَرَابٌ مَا عَلَيْهِ غَدَا التَّفَانِي
يَزِيدُ سَيُوفَهُ فَيَكُمُ مَضَاءُ
كَذَاكَ رَأَتْ حَقِيقَتَهَا أَنْاسُ
لَهُمْ عَنْهَا الْحَجَا كَشَفَ الْغَطَاءُ

أجل والله دنيانا سرابٌ
ومخدعون من حسبوه ماء
محالٌ أن تَرى منه الصوادي
- وإن خالته يُرويهها - ارتواء
سواءٌ من به غاصوا ومن هم
على أطرافه وقفوا اجتزاء

إنها الدنيا^(١)

أبا عيسى أراك أجلاً من أن
يسسوقَ إليك أمثالِي العزاءِ
وكيف أسوقُ تعزيتي إلى من
لأدواءِ العقولِ غدا شفاءُ
يُرينا أوجهَ الحِكمِ اللواتي
سناها قد هدى القومَ السناء
متى استعرضتُ سيرتهُ أجدها
كتاباً يجمع الحِكمَ الوضاء
ولم أبرح أراه خيرَ حرٍّ
يرى الدنيا ويزجرُها هباء
لذا لم تلقه إلا مُجداً
لما لله فيه يرى رضاء
وهل يغترُّ شرواهُ بدنيا
أبت إلا مع الكدرِ الصفاء^(٢)
ولم تُضحكُ بنيتها قطُّ إلا
أعادت بعد ضحكهمُ البكاء
يفتُشُّ عن سعادتها ذوها
وقد خبأت لهم فيها الشقاء
كما خبأت للامسها الأفاعي
خلال ليلانها الداءِ العياء

(١) قالها معزياً الشيخ يوسف بن عيسى القناعي بوفاة أخيه أحمد بن عيسى.

(٢) شروى الشيء: مقله.

نُهَرِّولُ خَلْفَ رَاحَتِهَا وَنَجْرِي
وَرَاحَتُهَا لَنَا تَلِدُ الْعَنَاءَ
وَمَنْ يَنْظُرُ بَعَيْنَ الْعَقْلِ مَنَا
حَقِيقَتَهَا وَيَجْتَنِبُ الظَّلَاءَ
فَيَبْصُرُ مَا طَلَتْهُ لَهُ جَلِيًّا
بِهَا يَرُدُّ إِلَى الرُّخْصِ الْغَلَاءِ
وَلَمْ يَعْمَلْ بِهَا عَمَلًا سِوَى مَا
بِهِ يَرْجُو لَدَى اللَّهِ الْجَزَاءَ
فَإِنْ يَكُ أَحْمَدُ الْمُحْمُودِ أَوْدَى
فَمُودٍ كُلُّ مَنْ فِيهَا سَوَاءٌ
فِيَا رَحِمَاتِ خَالِقِنَا سَعِيهِ
وَزَيْدِي يَوْسُفًا فِينَا بَقَاءَ
فَإِنْ بَقَاءَهُ فِينَا بَقَاءَ
لَمَّا يُرْضَى الْمُهَيْمَنَ وَالْحِجَاءَ
مِثَالُ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ فِينَا
وَهَادِينَا إِلَيْهِنَّ احْتِذَاءَ
مُؤَسَّسُ كُلِّ مَا تَأْوِي إِلَيْهِ
مَعَارِفُنَا وَرَافِعُهُ بِنَاءَ
وَعَارِسُ كُلِّ مَا يَجْنِي نُهَانَا
مِنَ الثَّمَرَاتِ أَنْفَعُهَا غِذَاءَ
وَرُبَّ خَصُومَةٍ خَشُنَتْ مَجَسًّا
ثَنَاهَا لَطْفُ حَكَمَتِهِ إِخَاءَ
مَزَايَا بَعْضُهَا تِلْكَ اللُّوَاتِي
تَحُلُّ بِذَاتِ صَاحِبِهَا السَّمَاءَ
إِذَا ذُكِرَتْ عَلَيْهِ الْكُلُّ أَثْنَى
وَإِنْ هُوَ لَمْ يُرَدِّ مَنَا الثَّنَاءَ



أيوسفُ إنها الدنيا وإنني
 كغيري قد شَغِفْتُ بها ابتداء
 فلما أن سبِرتُ الغورَ منها
 وبَرَحَ لي تَأْمُلُها الخفاء^(١)
 رجعتُ وكل ما شاهدتُ يُثني
 إلى النقصان من شغفي النماء
 إلى أن مَحَ في قلبي هواها
 ولاقت نارُ فتنتها انطفاء^(٢)
 وصرتُ ككلِّ حُرٍّ لا يبالي
 تَقَلُّبُها صدوداً أو لقاء
 ولم يُفرِّحْهُ أو يُحزِّنْهُ فيها
 مُلِمُ الخَطْبِ أحسنَ أو أساء
 وأنتَ بِكُنْهِ ما أَخَفْتُ وأبْدْتُ
 أتمُّ القومِ خُبْرًا واجتلاء
 لذا في وصفها أوجَزْتُ قولاً
 إلى سمعَيْكَ قد رامَ ارتقاء
 ولولا جارياتُ العادِ عُدَّتْ
 مخاطبتي لشَرَّوكَ اجتراء
 وكيف يزيد شمس الظهر مثلي
 ضياءً أو يزيد البحرُ ماء

(١) سبره: استخرج كنهه: وسبر الجرح نظر مقداره وقاسه ليعرف غوره.
 (٢) مح: أخلق وبلي. وفي أحد الدفاتر روي صدر البيت (إلى أن مات في قلبي هواها).

غلاء وعلاجه^(١)

غَلَاءُ أَهْلَكَ الْفَقْرَاءَ جَوْعًا
وَعُرْيًا، أَهْلَكَ اللَّهُ الْغَلَاءَ
وزاد الأغنياءُ غِنًى وَيُبْسًا
كما زدتِ الحصى المنقوعَ ماءً
فلستَ ترى غنيًّا عن فقيرٍ
يخفُّ محسنًا هذا البلاء
وكان الحظُّ للمُثرين في أن
يُواسوا اليوم من حُرِّموا الثَّراء
ولكن الطباعَ دَعَتْ فَأَصْغَوْا
إليها مستجيبين الدعاء
وطبعُ المرءِ يدعوه إلى ما
يزيد عماءَ المُردى عماء
ونادتهم إلى ما الخير فيه
عقولهم فما لبَّوا نداء
ولو لبَّوا عقولهم لفازوا
وحازوا - كل ما يجني - الهناء
أَبَوْا إِلَّا اقْتِفَاءَ الطَّبِيعِ حَبًّا
لفاني المال واجتنبوا الحِجَاءَ
وقلبُ المرءِ إن يتبعَ هواه
يصيرُ الهوى قلبًا هواء

(١) قالها سنة ١٣٦٢ هجرية بمناسبة ارتفاع الأسعار.

ولو تبعوا العقولَ أزلنَّ عَمَّنْ
لَوَاهُ هَوَاهُ ذَاكَ الالْتِواءُ
فَمَا خَلَقَ العقولَ اللهُ إِلَّا
ليَهْدِينَ الأُلَى شَاءُوا اهْتَدَاءً
فَمَنْ جَعَلَ الحِجَاءَ لَهُ دَلِيلًا
فَذَاكَ هُوَ الَّذِي فَاتَ الشَّقَاءَ
فَقُلْ لِلْأَغْنِيَاءِ إِلَى نُهَاكُم
عَنِ الْأَهْوَاءِ وَادْكُرُوا النَّوَاءَ
فَكُلُّكُمْ عَمَّا قَلِيلٌ
سَيَتْرَكُ مَالَهُ مَيِّتًا وَرَاءَ
وَلَيْسَ بِمَفْلَحٍ مَنْ لَمْ يَقْدَمْ
مِنَ الْأَعْمَالِ أَحْسَنَهَا جَزَاءً
وَمَا كَالْبِرِّ مِنْ عَمَلٍ فَطَوْبَى
لِمَنْ لَمْ يَصْبِحْهُ عَنْهُ بِطَاءُ
وَهَلْ غَرَسَ الْفَتَى أَجْدَى وَأَزْكَى
وَأَطْيَبَ مِنْ مَبْرُتِهِ اجْتِنَاءُ
جَمَالُ الْبِرِّ إِنْ أَخْفَاهُ طَبْعُ
فَعَنْهُ بَرَحَ الْعَقْلُ الْخَفَاءُ
فَمَالَهُمْ بِشَحٍّ قَدْ تَوَاصَوْا
وَقَدْ مَدَحَتْ عَقُولُهُمُ السَّخَاءُ
وَأَبْدَيْنَ الْمَزَايَا مِنْهُ حَتَّى
لَفَاتَ جَمَالُهَا الْبَادِي الْمِرَاءُ
أَيَقْضِي الْبَائِسُونَ طَوًى وَعَرِيًّا
وَيَأْبَى الْبِرُّ مُثْرُوهُمْ إِبَاءً^(١)

(١) الطوى: الجوع.

وَلَمْ يَتَفَشْ دَاءُ الْبُؤْسِ لَوْ لَمْ
يَكُ الْمُثْرُونَ قَدْ مَنَعُوا الدَّوَاءَ
وَلَمْ يَصْعُبْ شِفَاءُ الدَّاءِ لَكِنْ
أَرَى الْمُثْرِينَ قَدْ كَرِهُوا الشِّفَاءَ
وَلَيْسَ بِنَقْصِ الْأَمْوَالِ لَا بَلْ
يَجْرُ لَهَا الزِّيَادَةُ وَالنِّمَاءُ
وَكَمْ أَقْصَى الْأَسَى عَنْ بَاذِلِيهِ
وَأَدْنَى مِنْ قُلُوبِهِمُ الصِّفَاءُ
فَيُؤْمِنُ الْبِرَّ مُحْسِسٌ جَلِيٌّ
لَعَيْنِي مُتَبِعُ الْبِرِّ اجْتِلَاءُ
وَإِنْ تَصْعَبُ نَوَافِلُهُ عَلَيْهِمْ
فَبِذَلِكَ الْفَرَضُ يَكْفِيهِمْ حِبَاءُ
زَكَاةِ الْمَالِ كَافِيَةٌ فَهَلَاءُ
رَأَى الْمُتَمَوِّلُونَ لَهَا أَدَاءُ
فَمَا فُرِضَتْ عَلَى ذِي الْمَالِ إِلَّا
لِتُلْحَقَ بؤْسَ ذِي الْبؤْسِ انْتِفَاءُ
وَتُؤْنِّي مِنْ مَعِيشَتِهِ سَهْوَلَاءُ
مَصَاعِبُهَا، وَزَعَزَعُهَا رُخَاءُ
فَفَارِضُهَا أَرَادَ بِكُلِّ شَخْصٍ
مِنَ الْفُقَرَاءِ رَفَقًا وَاحْتِفَاءً
فَلَوْ بُذِلَتْ لَهَا أَلْفَيْتَ فَيُنَا
مَطِيلاً مِنْ خِصَاصَتِهِ اشْتِكَاءُ
وَأَصْبَحَ كُلُّ عَارِي الْجِسْمِ طَاوٍ
يُنَالُ بِهَا الْمَلَابِسُ وَالْغِذَاءُ
وَكَانَ أَنْ يَنْبَأَ سَنَاءُ دَعَاءُ
لِثَرِينَا وَشُكْرَاهُ ثَنَاءُ

كما مَنَعُ الزكاةَ أعاد كُلاً
من البؤساء فائضاً استياء
فأشجاناً صَبَّورَهُمْ زفيراً
وأوجعنا جَزوعَهُمْ بكاء
فمن لي بالفرار اليوم من لي
فإن الأرضَ أسخَطَتِ السماء
فصبراً أيها الفقراء صبراً
فإن الأمر حائلٌ انتهاء
فغِبُّ الأمرِ حَسْبَ الظنِ يأتِي
مُغايِر ما أتى منه ابتداء
أظُنُّ اللهَ عكسَ الحالِ عَمَّا
قليلٍ من جميع القوم شاء
فممتلئُ اليمينِ اليوم مالاً
غداً من ماله يشكو الجفاء
ويُثري بعدُ من قد كان قبلاً
ثراءُ المالِ عن يدهِ تَناءى
وإن تَضَيَّقِ الدُّنْيا عن كونِ هذا
لسرعة رَدِّها المَحْيا فناء
فما الأخرى بضيقاً لأنَّنا
متى ما نأتِها نَنَلِ البقاء
فلا يستبطيءُ البؤساءُ يوماً
يرون به انعكاسَ الحالِ جاء
فَعَدَلُ اللهِ يَبْقَى بعدَ هذا
ويكفيهم توقُّعُهُ عَزاء

صن قوافي القريض^(١)

كسَوْتُ أَخَاكَ ثِيَابَ الثُّنَا
فَجَازَ فَخَارًا بِهِنَّ السَّمَاءِ
وَأَصْبَحَ يَسْحَبُ أَذْيَالَ هُنَّ
عَلَى ذِرْوَتِي نَسْرَهَا وَالسُّهَاءِ^(٢)
وَلَكِنْ أَطْلَتَ ذِيُولَ الْمَدِيحِ
وَالْبَسْتَهُنَّ فَتَى ذَا عَمَى
وَطَوَّلَ الذِّيُولَ عِثَارُ لَهُ
وَأَنْتَ بِسَطَطْتَ لَهُ فِي الْكِسَاءِ
فَإِنْ لَمْ يَصِلْ لِلْمَدَى فِي الْجَزَاءِ
فَأَوْضَحْ عِذْرَ لَهُ قَدْ بَدَأَ
نَظَمْتَ الْقَوَافِي بِمَدْحِ امْرِئٍ
كَسَاهُ الزَّمَانُ كِسَاءِي هَجَا
فَلَيْتَكَ جَارَيْتَ فِيهِ الزَّمَانَ
فَإِنْ الزَّمَانَ عَلَيْهِ افْتَرَى
وَنَهَجُ سَبِيلِ الْهَجَا وَاضِحٌ
إِلَيْهِ وَإِنْ كَانَ عَنْكَ اخْتَفَى
فَحُبُّ الْفَتَى لِلْفَتَى مَسْبِلٌ
عَلَى مَا بِهِ مِنْ عَيُوبٍ غَطَا

(١) بعث بها إلى صديقه الأديب حجي بن قاسم جواباً لقصيدة بعث بها إليه.

(٢) نسر والسها: من نجوم السماء.

فلا تَنْسِجَنَّ مِنْ خِيوطِ التُّنُنَا
كَسَاءً لِمِثْلِي فِي ذَا الْوَرَى
وَصُنْ مَا اسْتَطَعْتَ قَوَافِي الْقَرِيضِ
فَفِي صَوْنِهِنَّ لِهِنَّ اَعْتِلَا

لا راحة بلا تعب^(١)

يقولون لي يا «صقر» مالك عاطلاً
وقد وظّفوا من لم يقاربك في الأدب
فقلت لهم في رتبة الثوب مانع
رقيي إلى تلك المناصب والرتب
يؤلى هنا المرء الوظيفة جاهلاً
على شرط أن تُلَفى ملابسه قُشِب^(٢)
ويُحرَم منها المرء والمرء عالم
إذا لم تكن منه الملابس بالنخب^(٣)
ولو عَقَلوا كان التقدّم عندهم
على حَسَب ما تقضي الفضيلة والحسب
فما كل ما راق العيون بريّقة
وأعجبها منه ملاحظته ذهب
فإن تنتبه من ذا السبات معاشري
تَنَلْ خَيْرَ دَارِيهَا وتَسَلِّمْ من العطب
وإن طال في ليل الجهالة نومهم
فما شئت فيهم فافعلي أيها النوب
فما نام في ليل الجهالة معشر
فأيقظهم منها قديماً سوى الشجب

(١) نشرت بمجلة (اليقين) التي كان يصدرها محمد الهاشمي ببغداد.

(٢) القشيب: الجديد وجمعه قشِب.

(٣) النخب: الخيال.

ومما يزيدُ الحزنَ في القلبِ ضعفُهُ
ويُلْهِبُهُ بينَ الضلوعِ فيلْتَهِبُ
صدودُ بني قومي إذا قامَ مرشدُ
يذكُرُهُمُ بالشَّعرِ طوراً وبِالْخُطْبِ
وفي الصَّدِّ ما يثني عزيمةً من غدا
لنصحهمُ تقريبهُ الدَّهرَ والخَبَبُ^(١)
فكيف إذا ما زُنْدَقُوهُ وَأَسْبَلَتْ
على رأسه من مُزْنٍ غيظهمُ سَحَبُ
تَسَنَّمَتِ العُليا معاشرُ لم تَزَلْ
تَجِدُ لها والجِدُّ من سُبُلِ الغَلَبِ
وحَلَّوْا من المجدِ المؤثَّلِ في ذُرَى
تكاد سواميها تنوف على الشُّهْبِ^(٢)
ونحن قعدنا قانعين بجهلنا
وجهل الورى فيه لهم شرُّ منقلبِ
ففي صَعْدِ ظُلُومٍ بفضلِ نشاطهم
وقد حَطَّنَا مُردي التَّكاسُلِ في صَبَبِ^(٣)
وَتَمَّ بفضلِ العلمِ فيهم وئامهم
ونحن كما شاءت جهالتُنَا شُعْبُ
ومن غرست يميناه يوماً فسيلاً
فبشُّرُهُ من بعد المشقَّةِ بالرُّطْبِ
فما لذةً نيلت بغير مشقَّةٍ
ولا راحةً يوماً تَأَنَّتْ بلا تعبِ

(١) التقريب والخَبَب: نوعان من السير.

(٢) تنوف: ترتفع. سواميها: أعاليها.

(٣) الصَّبَب: الطريق يكون في حدور.

وهل وهب الله الوهوب لأمة
 رقيياً ولم تَمُدُّ إلى ذاك من سَبَب
 وهل سَبَبُ كالعلم يوصلُ أمةً
 من المجد ما حَبَّتْ وفوق الذي يُحَب
 فإن سَرُّكُمْ أن تبلغوا أَوْجَ مجدكم
 وتعلوا ذرى العلياء فالأهب الأهب
 ألا وانزعوا ثوب التكاثر عنكم
 فما فاز كسلان البرية بالأرب
 ولا تجمدوا يا قوم إن جمودكم
 مؤديكم للويل إن دام والحرب^(١)
 ودونكم أهل الجمود وضدهم
 ويكفي بهذين اعتباراً لمن أرب
 نهوضاً إلى المجد الأثيل إلى العلا
 كما نهضت من قبل أباؤنا العرب
 فهم نهضوا بالعلم والعلم سُلَّم
 يؤدي إلى إدراك مستصعب الطَّلَب
 فأشرق في أفق التقدم بدرهم
 منيراً ولما لم نسِرْ سَيْرَهُمْ غَرَب
 وأثمر في أرض الأمان غرسهم
 وعاد إلينا بعد إثماره حَطَب
 وكان منال الحق بالسيف وحده
 فصار منال الحق بالسيف والكُتُب
 وفي وسعنا أن ننشر العلم بيننا
 إذا لم يكن في الوسع أن نُصَلِّتَ القُضْب^(٢)

(١) الحرب: فقدان الملك والحرب أيضاً الغضب وكلاهما بفتح الراء.

(٢) نصلت القضب: نجرد السيوف.

فما بالنّا عن نشره في تكاسلٍ
على أنه أمرٌ على الكلِّ قد وجب
أنكسلُ في عصر النشاط ونشتكي
إذا أنشبت فينا مخالِبها الكُرب
ونبرح في ليلٍ من الجهل دامسٍ
وقد عمَّ صبحُ العلم من شطٍّ أو قُرب^(١)
فوا عجيبي يا قوم إن نَبَقَ هكذا
ولم نُرمَ بالموت الزوام ولم نُصب
ومن يرم في غاب الهزير بنفسه
فيَفرسه فيه الهزيرُ فلا عَجَب^(٢)

(١) دامس شديد الظلام. وشطُّ: بعد.
(٢) الهزير: من أسماء الأسد. وفرسه: افترسه.

لِحَظِّي لَا لِحَظِّكَ^(١)

أراك لحبل الوصل أصبحت قاطعاً
بلا موجب يدعو إلى القطع أو سبب
وغادرتني من قطعه في تألم
فهل لك في تأليم خيلك من أرب
أبا صالح إن لم تسرك زورتني
ففيها سرور النفس مني والطرب
فزرتني لحظي لا لحظك حسبة
فبعض زيارات الأحبة تحتسب
وحافظ على ما بيننا من مودة
فإني أعدُّ الود ما بيننا نسب
وأنقذ بوصل منك معتلَّ عهداً
فطول النوى يرمي المودة بالشجب^(٢)
ولا شيء يخلو من سقام يبيده
وللود طول البين من أقتل الوصب^(٣)
فإن تك عن هلك المودة راضياً
فإني من مرضاك ممثلي الغضب^(٤)
وإن تك مثلوج الجوانح بالذي
أتيت فمنه اليوم في أضلعي لهب

(١) بعث بها إلى صديقه المرحوم الأستاذ الفاضل عبدالملك الصالح.

(٢) الشجب: الهلاك.

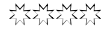
(٣) الوصب: الوجع والمرض.

(٤) مرضاك: هنا مصدر ميمي بمعنى رضاك.

وإن تَرَ عَنِّي وَجَهَ سَلَوَاك سَافِرًا
فَوَجْهُ سُلُوبِي عَنْ لِقَاكَ قَدْ احْتَجَبَ
وهذي ليالي الصوم إن لم تَزُرْ بها
فقل لي متى منك الزيارة تُرْتَقِبَ

شفاؤك يشفيني^(١)

قالوا سقامك كاد يذهب أو ذهب
فشعرتُ باستخذاء ما بي من وَصَبُ
الآن بُرئني أن وقتٌ مجيئه
أم جاعني قبل الأوان من الطُّرَب
لم أدِر إلا أن شَكُوِي راعه
قولُ البشير فكاد عَنِّي ينسحب
وإذا شفى سَقَمَ السَّقِيمِ سُورُهُ
بشفاء شِقِّ النفس منه فلا عَجَب
ما زلتُ مَذْزِئِلَتَنِي ذا عِلَّةٍ
كان اشتكاؤك في زيادتها السبب
وأنت تُجِدُّ مَزِيدَهَا منك النوى
حتى أرتني علتي وَجَهَ العَطَبِ
حتى إذا بُشِّرْتُ أنك أَخَذُ
تدنو إلى خير الشفاء وتقترب
عادت تَلَاشِي عِلَّةً قَدْ أَذْنَتْ
نفسي بما نفسي تخاف من الشُّجَبِ^(٢)



يا نجلَ صالحِ الذي لولاه لم
أعلم بأنَّ الوُدَّ يَرْجَحُ بالنُّسَبِ

(١) بعث بهذه الأبيات إلى صديقه الأستاذ الفاضل عبد الملك الصالح.

(٢) الشُّجَب: الهلاك أو الحزن.

لا يحرم الله الكويت وعلمها
من شخصك المحبوب، حسن المنقلب
فالعالم فيها لم يزل وفؤاده
منذ اشتكيت عليك خوفاً يضطرب
وأحق من يخشى عليه علمها
من غيره لم يكف عنه أو ينوب

قيمة الكلام

رُبَّ بَيْتٍ وَحَدَّ فِي أُمَّةٍ
قَلْبَ الْحَالَةِ رَأْسًا لِعَقِبٍ
وَلَكُمْ مِنْ خُطْبَةٍ قَدْ أَبْدَلَتْ
شَعْبَ مُلْقِيهَا حَيَاةً بِشَجَبٍ^(١)

(١) الشجب: الهلاك.

على العلم عولوا^(١)

أَسِئَّةُ أَعْوَامٍ تَدُومِينَ يَا حَرْبُ
وَأَكْلُكَ أَجْسَادُ الْبَرِيَّةِ وَالشُّرْبُ
وَفِي بَعْضِ عَامٍ مِنْكَ مَا يَوْرَثُ الْفَتَى
سَامَتَهُ مَا دَامَ فِي رَأْسِهِ لُبُ
وَلَسْتُ أَرَى أَنَّ الْوَرَى كُلَّهُمْ غَدَوْا
مَجَانِينَ لَكِنْ شَاءَ بَسْطَتِكَ الرَّبُّ
أَتَوْا مِنْ شَنْعِ الظُّلَمِ مَا مَدَّ بَيْنَهُمْ
مِنَ الْحَرْبِ مَا يَلْقَى بِهِ وَفَقَهُ الذَّنْبِ
إِذَا ظَلَمَ الْإِنْسَانُ يَوْمًا فَقُلْ لَهُ
تَوَقَّعْ جَزَاءً سَيَفُهِ عَنْكَ لَا يَنْبُو
وَلَمْ أَرْ مِثْلَ الظُّلَمِ سَاءَ مَغِيبَةً
فَحَرِبُهُمْ هَذَا لظَلَمَهُمْ غِبُّ^(٢)
بَنُو آدَمَ إِخْوَانُهُمْ، وَبَنَاتُهُ
لَهُمْ أَخَوَاتُ يَشْهَدُ الْمَاءُ وَالتُّرْبُ
فَلَمْ يَقْنَعُوا إِلَّا بِكَوْنِ جَمِيعِنَا
مَمَالِيكَ إِنْ يَدْعُوا إِلَى خِدْمَةِ لَبَّو^(٣)
وَكُلُّ ثَرَاءٍ عِنْدَنَا وَهُوَ حَسْبَمَا
يَشَاءُ تَعَدِّيهِمْ لِأَيْدِيهِمْ نَهَبُ

(١) قالها في الحرب العالمية الثانية.

(٢) المغيبة: العاقبة. والغيب: العقاب.

(٣) تصريحها لبَّو: أي أجابوا وضرورة القافية جعلته يقول لبَّو.

ولا ذنب إلا الضَّعْفُ والشَّاةُ لم تكن
 ليأكلها لو خاف سطوتها الذئب
 تسنَّى لهم من قوَّةٍ ما بمثله
 يُلمُّ بغير المؤمن التَّيَّةُ والعُجْبُ
 فأطغتهم قوَّاتهم فانثنت على
 طغاتهم منها جهنم تنصبُّ
 طغت حربهم طغيانهم فرمتهم
 بنارٍ أبادت جلَّهم وهي لا تخبو
 وأودت بما قد أثَّلوا من ثرائهم
 فلم يبق منه يابسٌ لا ولا رطبٌ^(١)
 كذلك يلقي مَنْ مِنَ النَّاسِ قَصْدَهُ
 بقوَّته استعباده النَّاسَ والسَّلبُ
 ويُسفر عدلُ الله في مثل هذه
 لذي اللَّبِّ أو عنه تَشِفُّ له الحُجْبُ
 مصائبُ هذي الحربِ للغربِ عِبْرَةٌ
 سماويةٌ إن كان يعتبر الغربُ
 لإحيائكم جننا يقول كذوبهم
 وليس له إلا إماتَتَنَا إِرْبُ
 فأفعالهم فينا يُنافين قولهم
 كما يتنافى البغضُ للشَّيْءِ والحبُّ
 عذابٌ لنا ما يصنعون وإن غدا
 يُمَوِّهُ ذاك الصَّنْعَ قولهم العَذْبُ
 لنا قولهم يُبدي الودادَ وفعلهم
 يُنَبِّئُ أن القولَ أجمعه كِذْبُ

(١) أثَّلوا: بنوا، واطَّلوا وهَيَّأوا.

وَيَأْبُونَ إِلَّا أَنْ نَصَدِّقَ أَنَّهُمْ
 أَصَادِقُ مَا إِنْ فِي صِدَاقَتِهِمْ رَيْبٌ
 يَجُوزُ عَلَيْنَا الْخَبُّ فِي ظَنِّكُمْ فَهَلْ
 يَجُوزُ عَلَى عَلَامِ سِرِّكُمْ الْخَبُّ
 وَهِيَ هَاتِ أَنْ يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مَبْتَلِي
 سِرَائِرِكُمْ شَخْتُ الْمَقَاصِدِ وَالْجَبَابِ^(١)
 وَهِيَ هِيَ هُوَ يَجْزِيكُمْ عَنِ الْأُمَمِ الَّتِي
 لَمَّا سُمِّتْ مَوَهَا مِنْ أَدَى عَزَّهَا الدَّأْبِ^(٢)
 فَإِنْ تَجَزَعُوا أَوْ تَصَبَّرُوا فَعَقَابُكُمْ
 شَهِدْنَاهُ فِي الْأُولَى وَأَخْرَاكُمْ غَيْبٌ
 وَإِنْ تَرْمِكُمْ أَخْرَاكُمْ بِمِثْلِهِ
 فَمَا كُلُّ صَدْعٍ عَنْهُ لَا يَبْعُدُ الرَّأْبِ^(٣)
 عَلَى الظَّالِمَاتِ الْجَائِرَاتِ نَفُوسِكُمْ
 إِذَا كَانَ عَتَبٌ فَلْيَقَعْ ذَلِكَ الْعَتَبُ
 فَلَمْ يَدْهَكُمْ إِلَّا نَتَاجُ صَنِيعِكُمْ
 فَهَذَا لَمَّا أَلْقَحْتُمُوهُ هُوَ الْعَقَبُ
 وَمَنْ أَسْعَرُوا نَارًا لَتُحْرِقَ غَيْرَهُمْ
 بِهَا أَحْرَقَ اللَّهُ الَّذِينَ لَهَا شَبُّوا
 وَثَبَّتُمْ عَلَيْنَا ظَالِمِينَ لَضَعُفْنَا
 فَمَاذَا عَلَيْكُمْ جَرَّةُ ذَلِكَ الْوَتْبِ
 لِمَنْ بَعْدَكُمْ يَأْتِي سَتَبَقُونَ عِبْرَةً
 تُجَدِّدُ ذِكْرَهَا الْأَحَادِيثُ وَالْكَتُبُ

(١) الشخت: الدقيق النحيف. والجباب: الغليظ.

(٢) عزها: غلبها.

(٣) الرأب: الإصلاح.

لئلا يناموا في ليالي غرورهم
كما نمتُم حتى رداكُم دعا: هُبُّوا
فقمتم ولكن بعدما أهدقت بكم
متالفٌ ما منها إلى موئلٍ درب



بني يعرب الغر الميامين دهرُكم
لجُهلِّه سَهْلُ الأمور به صَعْبُ
وكم مَسَّكُمْ كربٌ فكاد يُميتُكُم
ولولا فُشُوُ الجهلِّ ما مَسَّكُمْ كَرَبُ
لقد طال في ليل الجهالة نومُكم
ونومٌ هذا الليل أجمعُهم تَبَّوا^(١)
فلا تُلهكم أحلامُكم في منامكم
فتأويلها موتٌ يعمُّ به خَطْبُ
وهبُّوا سراعًا من عميق منامكم
فحسبُكُم ما مرَّ منه بكم حَسْبُ
فقد أخذت عن شُهْبِ علمٍ بليالِكُم
تَشِفُّ لمستهدي طريقِ العُلا السُّحْبُ
فقد طال ما كانت دليلاً لحائرٍ
إلى قصده في ليله المظلم الشُّهْبُ
وأفضلُ شيءٍ تقصدون هو الذي
لمظلم هذا الجهلِ عنكم به جَوْبُ^(٢)
فميلوا إلى إطلاع فجر معارفٍ
تَعْمُكُم أنوارُ طلعتِه واصْبُوا^(٣)

(١) تبوا: خسروا وهلكوا.

(٢) الجوب: القطع والخرق.

(٣) صبا: مال شوقًا.

ولا تبخلوا بالمال عند شرائكم
 من العلم ما خصباً يعود به الجذب
 فإنفاق هذا المال في السبل التي
 تؤدي إلى نشر العلوم هو الكسب
 على نشر أنوار المعارف بينكم
 وفي النشء منكم فليكن ذلك الدأب
 لتحيا حياة صفوها ما به قذى
 ويصبح أمناً من أعاديكم الرعب
 على العلم يا قومي على العلم عولوا
 فذاك هو الدرع الحصينة والعضب^(١)
 فلو صنتم بالعلم حوزة مجدكم
 لكف أكفأ نحوها امتدت الرهب^(٢)
 ولكنكم فرطتم زمناً به
 ومن لم يحد عن نهج تفريطه يكب
 فإن عوق استعدادكم ضيق ما مضى
 فمستقبل الأيام متسع رحب
 خذوا العدة المثلى من العلم تصبحوا
 وبعد العلاء عنكم بها منكم قرب
 وظننوا جميلاً بالعلوم وإن جنت
 على الغرب ما منه به انقصم الصلب
 فلم تنكب الغرب العلوم وإنما
 نواكبهُ الطغيان والتية والشغب^(٣)

(١) سيف عضب: قاطع.

(٢) الرهب: الخوف.

(٣) الشغب: التهيج.

حياةً له كانت فصارت بظلمه
له حيةً منها عليه قضى اللسب^(١)
ولا خير إلا وهو مُدرّكه إذا
طغى أهله العكس السماوي والقلب
فإن بالمني فُزتم فلا تظلموا الوري
كما ظلم الغرب الوري أيها العرب
فلا قيد مثل العدل للنعم التي
يواتين من شابوا من الناس أو شبّوا
وهل لبست أثوابَ نعماء أمّة
فدام لها منها إذا ظلمت ثوب
وما نزعها أخشى فحسب وإنما
أخاف انقلاباً كل أسيفه قُضِب^(٢)
كما نعمة الغرب انتنت وهي نقمة
بها منه هيل اللب وانخلع القلب

(١) اللسب: اللدغ.

(٢) قضب: جمع قضيب وهو السيف القاطع. يريد أن كل سيوفه قاطعة.

فلي في الصبر ما هو أرحب

لقد طال مني المكنث في مظلّم الأسي
إذا انجاب عني غيهبٌ جاء غيهبٌ
وما زالت الأيامُ ترمي صروفُها
فؤادي بما منه أخاف وأرهَبُ
إلى كم وقلبي للشوائب مسرَحُ
إلى كم وقلبي للنوائب ملعَبُ
إلى كم سروري وجهه متجهٌ
إلى كم مُحَيّا راحتي متقطَّبُ^(١)
إلى كم جهامٌ من رجائي سَحَابُه
وحتى متى برق الأمانِي خُلَّبُ^(٢)
لماذا يعادينني الزمان ويعتدي
عليّ بما منه التصبُّر يُسَلَبُ
كأنّ زمانِي عاشِقٌ وكانني
له عاذلٌ والعذلُ للصبِّ مُغْضِبُ
أقاسي من الأحزان ما لو أقلُّه
يمسُّ نجومَ الأفقِ ما لاح كوكبُ

(١) المحيا: الوجه.

(٢) الجهام: السحاب لا ماء فيه. والخلب: الخادع والذي لا مطر فيه.

ولو حَلَّ بِالْبَحْرِ المحيطِ أَقْلُ ما
 يعانيه قلبي ما جرى فيه مَرْكَبُ
 أُبَيْتُ إِذَا ما بَتُّ مِمَّا أُجِنُّهُ
 على مثل مشبوبِ الغَضَى أَثْقَلُ^(١)
 وتُصْبِحُ إِن أَصْبَحْتُ نشوى محاجري
 وليس لها إلا من السُّهْدِ مَشْرَبُ
 أما لليلي الصائلات بهدنة
 فقد أوشكت نفسي النفيسة تَعْطِبُ
 تحاربني حتى كَأَنِّي مجرمُ
 إليهن جرماً أو كَأَنِّي مُذنبُ
 ولم أجترم جرماً سوى أَنني فتى
 أريد الذي تَزْوِيهِ عني وأَطْلُبُ^(٢)
 تريد الليالي الجَرِّيَ مني كما جَرَّتْ
 وذلك ما عنه أَحْيَدُ وأَهْرَبُ
 تَجَنَّبْتُ ما ترضى الليالي وتشتهي
 ومثلي لما ترضاه قد يتجنَّبُ
 ظمئتُ وحاولت الورود فلم أجد
 من الورود ما يصفو فمن أين أشرب
 ألا ليت صَدَرَ الغيب ما زال كاتمي
 كما يكتُم الأسرار حُرٌّ مُهَذَّبُ
 فما لي إلا الله في الدهر مطمَعُ
 ولا لي إلا الله في الدهر مأْرَبُ

(١) أجنه: ستره. والغضا: نوع من النبات يوقد به.

(٢) تزويه: تقبضه وتطويه.

هو الدهرُ أمّا يومه فهو أرَقَمُ
يصول وأما ليله فهو عَقَرَبُ
وإني وإن ضاق الزمانُ بِوُسْعِهِ
عَلَيَّ فلي في الصبر ما هو أَرْحَبُ

لِلْحَقِّ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ^(١)

ما دمتَ في أبناءٍ يَعْرُبُ سَائِلًا
مما عليك من الحوادثِ نَرْهَبُ
فَالدَّهْرُ أَعْيَادُ لَهُمْ أَيَّامُهُ
طُرّاً وَجَدِّي جَدُّهُمْ إِذَا أَنْسَبُ
فَلِذَاكَ لَمَّا أَنْ بَعَثْتَ مَهْنُؤًا
بِالْفَطْرِ طِرْسَكَ ظَلَمْتُ مِنْهُ أَعْجَبُ^(٢)
الدَّهْرُ عِيْدِي كُلُّهُ مَا لَمْ يَزَلْ
يَفْتَرُّ عَنْ مَحْيَاكَ فَوَهُ الْأَشْنَبُ^(٣)
الْفَطْرُ وَالْأَضْحَى كِلَا عِيْدَيْهِمَا
إِنْ عُدَّ عِيْدُكَ لَيْسَ شَيْئًا يُحْسَبُ
إِنِّي لِأَصْدُقُ وَالْقَرِيضُ أَجَلُهُ
مَا كَانَ مِنْ أَخْلَافٍ صِدْقٍ يُحْلَبُ^(٤)
هَذِي مَسَاعِيكَ الْنَفِيسَةُ شُهْدُ
إِنْ قَامَ لِي فِيمَا أَقُولُ مَكْذَبُ
حَسْبِي بِهِنْ مَصْدَقًا وَبِكُلِّ مَنْ
يَنْمِيهِ فِي هَذِي الْبَرِيَّةِ يَعْرُبُ
مَا زِلْتَ تَمَحُّضُ كُلِّ قَوْمٍ مِنْهُمْ
نُصْحًا يَرُدُّ إِلَى الْهَدْيِ مَنْ نَكَّبُوا^(٥)

(١) قالها رداً على تهنئة بعيد الفطر بعث بها إليه الزعيم التونسي المرحوم عبدالعزيز الثعالبي.

(٢) الطرس: الصحيفة.

(٣) يفتن: يضحك ضحكاً حسناً.

(٤) الأخلاف: جمع خلف وهو الضرع لكل ذات خف وظلف.

تُغري بتَطلّابِ المعالي زاهداً
فيها فيُضحى وهو فيها أشعَبُ^(١)
وإلى أثيلِ المجد تُدني نائياً
عنه فيغدو طَوْعَ نُصحِكَ يَقْرُبُ
ولَكم حَويتَ فضائلاً لو جُسِّمَتْ
ألفيتَ شمسَ الظهر فيها تغربُ
ومناقباً أوتيتَها عن حصرها
بالعدِّ يَرجعُ خائباً من يطلبُ
وخلائِقاً كالروض إلا أنه
بسوى شهورِ ربيعِهِ لا يُخصِبُ
يزهو باذارٍ وخِدنِيهِ فإن
ولَّيْنِ جَفَّ وهذه لا تَشْسَبُ^(٢)



أزعيمَ توئسَ والكويتُ فسيحةُ
قد ضاق بي منها الفسيح الأرحب
إن يُردني بؤسى فلوموا موطني
بعدي على تفريطه بي واعتَبُوا
حاولتُ إدراكَ الوظيفةِ جاهداً
بالقوت من قومي فعَزَّ المطلب
منحوا الوظائف كل من ضاقت بهم
ذرعاً لجهلهم فباتت تَنُدُّبُ
وأنا وشكلي في بلادي معوزُ
أبدأ بكل وظيفةٍ مُتَجَنِّبُ

(١) أشعب بن جبیر اشتهر بالطمع وله في ذلك أخبار.

(٢) تشسب: تهزل وتخف.

ما كنت لو أني ارتديتُ ملابسًا
 حسُنْتُ على نَيْلِ الوظيفةِ أَغْلَبُ
 يَرْقى بِبِرِّزَتِهِ الْفَتَى لَا عِلْمَهُ
 أَسْمَى الْوظَائِفِ فِي الْكُوَيْتِ وَيَكْسِبُ
 وَأَجَلُ اثْنَوَابِي الْحَسَانَ يَفُوتُهُ
 ثَمَنًا لِعَسْرِي مَا يَحُوكُ الْعَنْكَبُ
 كَمْ قُلْتُ إِنَّ السَّيْفَ لَيْسَ بِغَمْدِهِ
 بَلْ إِنَّمَا هُوَ حَدُّهُ وَالْمَضْرِبُ
 لَكِنْ إِلَى الْبَابِ هُمْ مَا قُلْتُهُ
 مَا كَانَ مِنْ أَسْمَاعِهِمْ يَتَسَرَّبُ
 شَحَوًا عَلَيَّ بِنَزَرِهِمْ وَطَفِيفِهِمْ
 حَتَّى وَفَاتِي مِنْ حَيَاتِي أَطْيَبُ
 لَا تَتْرَكُوا بَعْدِي مَلَامَ مَعَاشِرِي
 فَعَسَى الْمَلَامُ يُقِيمُهُمْ وَيُهْدَبُ
 وَدَعُوا مَقَالَ: السَّيْفُ أَضْحَى سَابِقًا
 لِلْعَذْلِ إِذْ جَدَثِي لِشَخْصِي يَحْجُبُ^(١)
 إِنَّ فَاتَنِي تَمَرُّ الْمَلَامِ فَلَمْ يَفُتْ
 مَنْ قَدْ يَجِيءُ بِهِ الْقَضَاءُ الْأَغْلَبُ
 فَلَرُبَّمَا يَنْشَأُ أَدِيبٌ بَأْسُ
 فِيهِمْ فَيُعَوِّزُهُ الْبَلَغُ فَيَعْطِبُ
 وَكَذَا إِلَى أَنْ لَا يَظَلُّ بِمَوْطِنِي
 أَدَبٌ بِهِ يَسْمُو وَلَا مِتَّأَدَبُ
 فَيَشْقُ مَشَقَّاهُ عَلَى نَفْسِي وَإِنْ
 رَفَتَتْ عِظَامِي فِي التَّرَابِ وَيَصْنَعُ

(١) يشير إلى المثل القائل «سبق السيف العذل».

قلبي يهيمُ بكلِّ وادٍ من هوى
 وطني وفيه نارٌ بوُسي تَلْهَبُ
 من لي بماء اليُسْرِ يطفئُ ما ذكا
 منها فففيها ما برحتُ أَعَذُّبُ
 إن كان تخليدي بنارٍ مَفاقِري
 عدلاً فأين الفضلُ عني يَذهبُ
 أمنت بالقاضي عليٍّ بما به
 مني التبصُّرُ بعد صبري يُسَلِّبُ
 عن حكمةٍ لله فينا حكمه
 يمضي وعنا وجهها مُتَغَيِّبُ
 ليت اعتقادي أنها موجودةٌ
 لسُفور صفحتها الجميلةُ مُوجِبُ
 فلعل رؤيةَ ذي المَفاقِرِ وجهها
 لعزائِه من حيثُ ولى تَجْلُبُ
 عبدَ العزيز وأنتَ أعلمُ عالمُ
 وأجلُّ من خَبَرُوا الأمورَ وجَرَّبُوا
 هل لالقُنوطِ إذا تمكَّنَ داؤهُ
 فغدا بصاحبه يعيثُ ويلعبُ
 غيرُ المنيّةِ من دواءٍ ناجعِ
 فأشَمُّ الأذيالَ عنه أنْقَبُ
 أم أن داءَ اليأسِ لم يُخلَقْ له
 طبٌّ به يُلَوِي ولا متَطَبِّبُ
 إن يَدُوْ نَبْتُ قريحتي فلائِه
 من ماء دمعِي وهو مِلْحٌ يشربُ

مَنْ ذَا يُفَرِّقُ بَيْنَ عَيْنِي وَالْبُكَاءِ
وَصَدُوقُ مَخْمَصَتِي يَقُولُ سَتَشْجَبُ^(١)
يَا مَنْ بِهِ غَصَّتْ مَطَامِعُ مَنْ نَمَتْ
بَارِيسُ إِذْ جَاءَتْ لِتَوْنُسَ تَغْصِبُ
إِنْ غَرَّبُوكَ فَسَعِدْ مِصْرَ أَسْوَدَ
فِيهِ لِمَجْدِكَ وَالْمَهْيَبُ مُغَرَّبُ^(٢)
وَالْحَقُّ مَهْمَا تَخْطُطْ هَذِهِ قُوَّةُ
يَخْطُ هَرُوفِي يَمْنَاكَ مِنْهُ مُشْطَبُ^(٣)
فَاهِدًا فَحَقُّكَ غَالِبُ قُوَاتِهِمْ
إِنْ عَاجَلَا أَوْ أَجَلَا يُتَرَقَّبُ
لِلْحَقِّ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ وَإِنْ أَبَوَا
وَبَسِيفِهِ سَبَبُ الْقُوَى مُتَقَضَّبُ

(١) تشجب: تهلك.

(٢) سعد مصر يريد به سعد باشا زغلول كان زعيماً مجاهداً ضد الانجليز وقد نفاه الانجليز مدة.

(٣) المشطب: السيف.

مصيبة الحرمان وعظ

لقد كان الحبيب لنا إليه
طريقاً واضحاً سهل رحيب
ومذ أصبحت لا فلس ولا ما
دوین الفلّس ناكّرني الحبيب
فلست أرى إليه اليوم درباً
وكانت حسب ميسرتي الدروب
وأني اليسر في شروى بلادي
رأى استمراره حر أديب
فيا نفسي عن اللين اصطباراً
وإن أصباك منه إليه طيب^(١)
فإن أضحي ومدعاه بعيد
فكم أضحي ومدعاه قريب
وهاتا عادة الأيام فينا
تُردها الحوادث والخطوب
ولا تنسى زماناً كان فيه
يواتيك الحويل والحالوب
فكم لبن مزجنا الشاي منه
وباقية تركناه يروب
فأصبح بين إبريقي وبينني
يسير مسارعاً كوب رغب

(١) أصباك: شاكك.

وَإِذْ شَمْسُ الضُّحَىٰ أَذْكَتْ لُظَاهَا
وَصَارَ لُعَابُهَا فَوْقِي يَدُوبٍ
أَهْبَتُ بِرَائِبٍ مَا هَالِ إِلَّا
وَهَانَ لَدَى تَحَسُّيهِ الْهَيْبِ
فَكَانَتْ شَرِبَتَانِ بِكُلِّ يَوْمٍ
أُصِيبُهَا يَلْذُمُهَا الشَّرُوبُ



لَعَلَّ مَصِيبَةَ الْحَرَمَانِ وَعَظُ
بِهِ وَافَتْ تُنَبِّهُنَا الذُّنُوبُ
فَكَمْ شَاةٍ حَلَبْنَاهَا وَعَنْزٍ
وَلَمْ تُشْبِعْ صَغَارَهُمَا الشُّخُوبُ
حَلِيبِ الْأُمِّ لِلْمَوْلُودِ قَوْتُ
وَأُخْذِي مِنْهُ غَيْرَ الْفَضْلِ حُوبُ
وَإِنِّي الْيَوْمَ مِنْ مَاضِي صَنِيعِي
إِلَى رَبِّي لِيُغْفِرَهُ أَتُوبُ



لَوْ ائْتَعَكَسَتْ أُمُورُ الْخَلْقِ حِينًا
وَزَحَزَحَ نَائِبَ الْعَكْسِ الْمُئْنِبُ
لَرَقَّتْ لِلْبَهَائِمِ مِنْ ذَوِيهَا
وَلَانَتْ بَعْدَ قَسْوَتِهَا الْقُلُوبُ
وَطَالَ مِنَ الْقُسَاةِ لَمَّا جَنَوْهُ
عَلَى الْحَيَوَانِ مِنْ قَبْلِ النَحِيبِ
وَلَمْ نَسْمَعْ خَوَارًا أَوْ ثَغَاءً
يُرَدِّدُهُ كَمَا تَقْضِي الْكَرُوبُ^(١)

(١) الخوار للبقر. والثغاء للغنم.

فليس صياحه إلا دعاءً
به يمضي التائم أو يثوب^(١)
على من قلبه منا عليه
كما لا يشتهي قاسٍ صليب
فما الحيوان للإنسان إلا
شبيهة في مشاعره ضريب^(٢)
نحسُّ كما تُحسُّ الأمر يأتي
به العيش البغيض أو الحبيب
حقوقك أيها الحيوان عنها
أطال منامي المرعى الخصيب
وإذ زال انتبهت فنال شكري
على التنبيه مرعائي الجديد
وهاتا نعمة كبرى يراها
منافرها لو انجلت الغيوب
إحالة لين عيش المرء يُبَسِّأ
إذا وعظته حيّاها اللبيب
ففيض معين يُسرّ المرء مهما
به نُسيّ الحقوق هو النُضوب
لأن عليه من أعطاه يسراً
رقيب ليس يُهمله حسيب
تذكرياً أذا النسيان ربّاً
كما تأتي يُعاقب أو يُثيب
وطالع عدله في كل شيء
به تلقاك سِلْمٌ أو حُرُوب

(١) يثوب: يرجع.

(٢) الضريب: النضير والمثل.

بَعِينٍ مِنْ حِجَابِكَ فَهِيَ عَيْنٌ
إِذَا انْفَتَحَتْ تَكشِفُ مَا يُرِيبُ
فَإِنْ تَنْظُرُ بِهَا يَظْهَرُ جَلِيًّا
لَكَ الْمَأْمُولُ مِنْهُ وَالرَّهِيْبُ
فَلَمْ نُعْطِ الْحِجَابَ إِلَّا دَلِيلًا
إِلَى مَا الْخَيْرُ فِيهِ بِنَا يُهَيِّبُ
فَإِنْ تَسْتَهْدِرِ عَقْلَكَ فُزْتَ أَوْ لَا
فَأَنْتَ بِتَرْكِهِ مِنْ يَخِيبُ
عَلَى حَسَبِ اتِّبَاعِ الْعَقْلِ كُلِّ
غَدَا فِي الْأَمْرِ يَخْطِئُ أَوْ يُصِيبُ

الخطب هو الخطيب^(١)

يعاني الغربُ ما تنبؤ الجنوبُ
به ووليدهُ منه يشيبُ
حروبُ خاضها فسألوه ماذا
به تركت من الأثر الحروب
ولم يُلَفَّحْ مُحَيَّا الغربِ لو لمْ
يجئ من نار هيجاءٍ لهيب
فجور الغربِ جرَّ عليه ما قد
أبادت قلبه منه الندوب
ذوهُ اليوم بين مميت عري
وجوع ما شكوا شرواه ذيب^(٢)
وكانت أنعم الدنيا عليهم
كما شاءوا سحائبها تصوب^(٣)
فصارت كلُّها نَقَمًا شجاها
له بحلوقهم طرأ نُشوب^(٤)
تحولَ فيهم مَشَقَى وضنكاً
لبغيهم نعيمهم الرغيب
فأصبح مصدرَ البسمات فيهم
وصادره عويلٌ أو نَحيب

(١) قالها في الحرب العالمية الثانية.

(٢) شرواه: مثله.

(٣) تصوب: تمطر وتنصب.

(٤) الشجا: ما يعترض في الحلق من عظم أو عود أو غيرهما.

ومن لم يُوسِعِ النُّعْمَاءَ شُكْرًا
 فبَشَّرَهُ بِنَائِبَةٍ تَنْوِبُ
 إِذَا نِعَمُ الْمَعَاشِرِ أَبْطَرَتْهُمْ
 ففَيْضٌ مَعِينُهُنَّ هُوَ النُّضُوبُ
 أَسَالُوا أَمْسِ أَدْمَعَنَا اعْتِدَاءً
 فَسَالِ الْيَوْمَ دَمْعُهُمُ الصَّبِيبُ
 وَمَهْمَا جِئْتَ مِنْ عَدَلٍ وَشَرٍّ
 إِلَيْكَ يَرُدُّهُ الْعَدْلُ الْحَسِيبُ
 أَتَاهُمْ وَاعْظَمًا مَا حَلَّ فِيهِمْ
 وَهَلْ عِظَّةٌ كَمَا تُمْلِي الْخُطُوبُ
 خَطِيبُ النَّاسِ خَطْبُهُمْ فَمَهْمَا
 تَكَلَّمَ بَيْنَهُمْ سَكَتَ الْخَطِيبُ
 فَهَلْ مِنْ سَكْرَةِ الْبَطْرِ الْمَعْفَى
 صَحَّتْ مِنْهُمْ عَلَى الْوَعظِ الْقُلُوبُ^(١)
 فَتَابُوا خَوْفَ أَنْ تَأْتِيَ عَلَيْهِمْ
 عَوَاقِبُ ظُلْمِهِمْ أَمْ لَمْ يَتَوَبَّوْا
 فَثَالِثَةُ الْأَثَافِي - إِنْ أَصَرُّوا
 عَلَى مَاضِي صَنِيعِهِمْ - قَرِيبُ^(٢)
 فَإِنْ حَرَبَاهُمَا رَمَتَا مَضِيغًا
 أَدَقَّتْهُ النَّوَاجِذُ وَالنُّيُوبُ^(٣)
 فَمَا رَمَتَاهُ مَمْضُوعًا فَمَنْه
 دَنَتْ لِلْبَلْعِ أَكْلُهُ شَرُوبُ

(١) المعفي: المزيل للآثار.

(٢) الأثفية: ما يوضع عليها القدر، وكانوا يأتون إلى جوار الجبل فيجعلون بجواره اثفتين والثالثة هي الجبل ويقال رماه الله بثالثة الأثافي أي بالشر كله. كأنهم قالوا رماه الله بالجبل الذي هو ثالثة الأثافي.

(٣) المضيفة: كل لحم على عظم والجمع مضيف ومضائغ. والمضيف أيضاً الممضوغ فعيل بمعنى مفعول.

طويلاً أمهلوا حتى تأذت
من المستضعفين بهم شعوب
وأطفاهم نعيم العيش حتى
دهت لنا من شرورهم ضروب
وخلنا أنهم جنوا وأن لم
يظل بهم ليرقاهم أريب
إهمالاً بدا الإمهال فيما
أراهم - من ظنوناهم - الكذوب^(١)
فجاروا حسب ما ظنوا إلى أن
دهاهم غب جورهم العاصيب^(٢)
هو الإمهال لا الإهمال جاء
لتشرح متنه لهم الكروب
ذنوب أكثرها منها فوافت
تريهم كيف عقباها الذنوب
وما تفعله تلق الله يجزي
به وفقا يعاقب أو يثيب
عجبت لكل من في الله منا
يخامر قلبه شك مرب
ومن آثاره في كل أمر
لمعمل فكره عجب عجيب
عظمت بالغات كل يوم
توافي لا تغيب ولا تغيب^(٣)

(١) الكذوب: هنا يريد به الشيطان.

(٢) غب جورهم: عقى ظلمهم.

(٣) لا تغيب: لا تغيب ولا تصل إلى نهايتها.

بِأَفْئِدَةِ الْأَلَى ارْتَابُوا وَشَكُّوا
 إِلَى الْإِيمَانِ دَاعِيَهَا يُهَيِّبُ^(١)
 فَطَالَعَهَا بِعَيْنِ حِجَاكَ تُصْبِحُ
 وَدَاجِي الشَّكِّ عَنْكَ بِهَا مَجُوبُ^(٢)
 فَوَادُ الْمَرءِ إِنْ يُمَرِّضُهُ شَكُّ
 فَمِنْ هَذِي الْعِظَاتِ لَهُ طَبِيبُ
 تَأْمَلُ مَا تَرَى فِي كُلِّ خَطْبٍ
 بِهِ الْأَيَّامُ تَذْهَبُ أَوْ تَوُوبُ
 فَإِنْ خَطَوَيْهَا حَلَوْا وَمَرًّا
 بِهِنَّ لِرَبِّهِ يَصِلُ اللَّطِيبُ
 وَهَلْ وَهَبَ الْحَجَى الْإِنْسَانَ إِلَّا
 لِيَعْرِفَهُ بِهِ اللَّهُ الْوَهَّابُ
 أَرَى مَنْ يَقْتَفِي مِنَّا حِجَاةً
 إِلَى الْإِيمَانِ مِنْهُجَةً لَحُوبُ^(٣)
 وَلَمْ أَرِ مَا خَلَا الْإِيمَانَ شَيْئًا
 بِهِ لِلنَّاسِ عَيْشُهُمْ يَطِيبُ
 فَهَذَا الْعَيْشُ رَاحَتُهُ - لِمَنْ لَمْ
 يَعْشُهُ مُؤْمِنًا أَبَدًا - لُغُوبُ^(٤)
 مَتَى أَمَنْتَ لَا يَحْزَنُكَ أَمْرٌ
 بِهِ دُنْيَاكَ تَخْطِئُ أَوْ تَصِيبُ
 فَلَمْ يَجْزَعْ وَلَمْ يَهْلَعْ فَوَادُ
 مِنَ الْإِيمَانِ تَمُّ لَهُ نَصِيبُ

(١) يهيب: يدعو.

(٢) مجوب: مكتشف مأخوذ من جاب الشيء قطعه كما يجاب الجيب.

(٣) اللحوب: الوضوح. لحب الطريق لحوباً واضح، ومنه طريق لاحب ولحب وملحوب.

(٤) لغوب: تعب وإعياء.

وما قَلْتُ لمن يقفُ وحِجَاهُ
إلى إيمانه منّا الدُّرُوبُ
إليه كلُّها الأشياءُ طُرُقًا
لعين العقل إن نظرتْ تثوب
فما شيءٌ إذا فُكِّرَتْ فيه
لخالقه بفكرك لا يُنِيب
غَضَارَةٌ كل شيءٍ إن تَسَأَلُهَا
به تُخَبِّرُ ويخبرُكَ الشُّحُوبُ^(١)
فسل ما رمت من شيءٍ تَجِدُهُ
إليه هاديًا لك إذ يُجِيبُ

(١) الغضارة: النعمة والبهجة والخصب وسعة العيش.

بلا وحدة ضياع^(١)

ستبقى على الأحقاب حُقباً إلى حُقبٍ
خيالاً على رُغم المنى وحدة العُربِ
وأيُّ أمور الناس وحدَ بينهم
إذا لم توحّد بينهم شِدَّةُ الخُطبِ
ولا خُطْبَ يُبلي صبرَ كل أخِي نُهَى
كريمٍ ويطوي القلبَ منه على ندبٍ
كهذا الذي يُضحى ويمسي محوَّلاً
فلسطينَ من كربٍ شديدٍ إلى كُربٍ
وها نحن شَتَّى لم يحوّل مصابُها
تباعدَ ذات البين منا إلى قُربٍ
ولو أُلْفَت ما بيننا يدُ خُطْبِها
كتأليفٍ كفَّ مثلهُ الشعبُ ذو الإربِ
ورحنا جميعاً أو غدوْنَا لنصرها
لما طال منها المكثُ في الحادثِ الصَّعبِ
ولو تمَّ من قبلُ اتحادُ بني أبي
أخافَ العدا منها الحيّا الذي يُصبي
ولا حَلَّها أو حلَّ أرضاً سَوَاءها
لنا كاشعٌ مستشعرٌ نيّة الغصبِ
ونلنا احترام (الإنكليز) وغيرهم
على يدِ صِدقِ الخوفِ أو كَذِبِ الحُبِّ

(١) نشرت في مجلة «السجل» في ١٩ من ذي القعدة ١٣٥٦ الموافق ٢١ يناير (كانون الثاني) ١٩٣٨.

فليس لنا منهم صحيحٌ مودةٍ
 يكفكفُ عنا سَيْلُ شَرِّهِمُ المُرَبِّي^(١)
 ولكننا رغمَ الحوادثِ لم تكن
 لتُدرِكَ صدعَ الشملِ منا يدُ الرّأبِ^(٢)
 على علمنا أن ليس غيرَ اتحادنا
 لنا مَعْقِلٌ يَخْسي عيونَ بني الغُربِ^(٣)
 وقد ندَّعي قربَ الوئامِ فينْبري
 علينا لسانُ الحالِ يشهدُ بالكُذْبِ
 فلو لم يكن منا بعيداً لأبْصَرَتْ
 له آيةٌ عينا فلسطينَ في الذَّبِّ^(٤)
 إذا لم يَلُحْ في الذَّبِّ عنها فإنه
 سيبقى على الأيامِ في حُجْبِ الغيبِ
 عجبتُ لنا هل يلتقي عامٌ سلْمِنا
 إذا لم توحَّدَ بيننا سَنَةُ الحربِ
 وليس لأشتاتِ القوَى من مؤلَّفٍ
 كموجعةٍ من صاحبها كلُّ ذي قَلْبٍ
 فيا أمةَ العُربِ التي طال نومُّها
 على كلِّ ما يُفْضي إلى موتها هُبِّي
 فإن تَجِدِي أُولَى المنامِ لذيذَةً
 فإنني أرى عقباه قاصمةَ الصُّلْبِ
 أَظْلَكَ إِبَّانُ الهُبوبِ وأنتِ من
 أضاليلِ أحلامِ الكرى بعدُ في لَعْبِ

(١) المربي: الزائد.

(٢) الصدع: الشق. والرأب: الإصلاح.

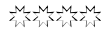
(٣) خساء، يخسئه: طرده وجعله يرتد، ويخسي مخففة من يخسي.

(٤) ذب عنه: دفع ومنع.

فقومي انظري شرقَ البلادِ وغربَها
 وما أدركاه اليوم من مرتعٍ خِصبٍ
 فقد أخصباً حَسْبَ التَّقِظِ منهما
 وألقاك بعد الخِصبِ نومُك في الجَدْبِ
 وما بعد جَدْبِ الشعبِ غيرُ حِمَامِهِ
 إذا لم تُزَلْ مَكْرُوهُهُ يَقْظُهُ الشعبُ
 وإن لم تَشْمِ منها تباشيرُ فجرِها
 فلسطينُ في التخليصِ من خَطْبِها الصُّلْبِ^(١)
 فيقْظُهُ أقوامي ستبقى دفينَةً
 بتُرْبِ الكرى حتى يعودوا إلى التُّرْبِ
 ومن لم يَنْبِهُهُمْ أَنْيُنْ ذَوِيهِمْ
 لدمعٍ يتامى بينهم دائمُ السُّكْبِ
 ونَوْحُ نَكَالِي الأمهاتِ يَمُدُّهُ
 على شَجْوِهِ ما للأيامِ من النَّدْبِ^(٢)
 فليس لهم حتى المماتِ تَنْبُهُ
 وإن لم تصدَّقْني فسلَّ كُلُّ ذِي لُبٍّ
 وهل قيمةٌ عندي لجسمي إذا اعتري
 يَدِي مرضٌ إن لم أكافحه بالطِبِّ
 وهَبْنَا انتَبَهْنَا بعدما تنتهي العدا
 وتَفَرُّغُ من قتلِ هُناك ومن سَلْبِ
 فماذا يُفيدُ الإنتباه سوى البُكا
 لإهمالنا في وقتها نجدة الصَّحْبِ
 لَعَمْرُ أبي ما (الإنكليزُ) بمنته
 لهم مطمعٌ إلا بناه من الرُّهْبِ

(١) شام: نظر.

فإن تصدّموهم كفّفوهم من شرورهم
ولا أتوا منكم على الشُّخْتِ والجَب
فليست فلسطينُ بآخرِ حَسوةٍ
تَبْلُ صدى الأعداءِ بل أولُ الشُّربِ
وإن لم تُغصّوهم بها وتروهم
مرارة ما ظنّوا من السائغِ العذبِ
ليلفظَ منها ما أراد ازدراده
فم عادّه بلعُ اللّذيذ من النّهبِ
تَحَسَّوكم حتى يروا أنّهم رُؤوا
ولا ريّ ما شاموا الثُّمالة في القعب^(١)



وددتُ بجَدعِ الأنفِ لو كنتُ مبصراً
قديراً على حمل القنّاة أو العَضْبِ
لأشركَ من باتت فلسطينُ همّهم
من القوم في طعنِ الطغاة أو الضُّربِ
فلست أرى القولَ المجردَ مقنعاً
وإن كان عذري غيرَ خافٍ على ربّي
فليس الفتى من يُغمدُ الجينَ سيفه
وينكصُ إن عنّ الجهادُ على العقْبِ^(٢)
ولكن فتى الفتیان عندي هو الذي
يُعدُّ من الإقدام في الأسدِ الغُلْبِ
تطايّرُ عنه في النّزالِ عُداتُه
تطايّرُ ريشٍ في زعازعه النُّكْبِ

(١) شاموا: أبصروا. الثُّمالة: البقية من الطعام والشراب. والقعب: القدر الضخم.

(٢) عن: ظهر.

كما جاء «فوزي» العلا و«سعيد»ها
من العمل المعطيهما رفعة الشُّهْب^(١)
وكلُّ كَمِيٍّ ضَمَّهُ عُلَمَاهُما
لإعلاء صوت الحق رغماً على الشُّغْب^(٢)
فقد أعربوا في جُرأةٍ عربيةٍ
إلى اليوم لم تُخَلِ الطغاة من الرُّعْبِ

(١) إشارة إلى رجلين من رجال المقاومة الفلسطينية في النصف الأول من القرن الماضي.

(٢) الكمي: الشجاع ولايس السلاح.

حققوا بثورتهم الآمال^(١)

لقد أنعشتُ مصرُ رجاءَ بني العُربِ
فأثنى عليها منهم كلُّ ذي لبٍّ
غدتُ من بني العُربِ الكرامِ جميعهم
مناطُ عرى الآمالِ في السِّلْمِ والحربِ
رأوا منذ ثارت كلُّ أمرٍ أتت به
ليُعرَّبَ فيه وجهُ منفعةٍ يُصبي
فمن كلِّ من ناميه يُعرَّبُ ما لها
محلُّ لُعرِبٍ منذ ثارت سوى القلبِ
كما عن قلوب الكلِّ أفواهُهم غدت
مترجمةً صدقَ المودَّةِ والحبِّ
عتبتُ عليها قبل ثورتها لما
رأيتُ لها إذ ذاك من موجبِ العتبِ
وهل يرتضي المحبوبُ حبَّ مُحِبِّه
إذا لم يعاتبه المحبُّ على الذنبِ
فردتُ إلى حمدٍ عتابي كلُّه
لمصرٍ مساعي أُسدِّ ثورتها الغلبِ
مساعٍ أقرتُ أعينَ العُربِ كلَّهم
فذو البعد منهم في اغتباطِ وذو القُربِ
ففي كل يومٍ نجتلي مُنيَّةً لنا
بسعيٍ لهم عن طيبِ عنصرهم يُنبى

(١) قالها في ثورة مصر.

وأحدث ما سرّوا النفوسَ بكونه
وإعلانه الدستورُ ذو الدفعِ والجلب
فلا برحتَ مصرُ بهم وهي مصدرُ
لفرحة أسلاف العروبة والعقب
فأيُّ كرام العربِ ما سرَّ قلبه
ودستورها الشعبيُّ يعلنُ للشعب
وما الشعبُ إلا بعضُ أمةٍ يعربُ
على حالتَي رهبِ الحوادثِ والرَّعبِ
تبسمُ عنهم ثائرينَ فحقَّقوا
بثورتهم آمالنا مبسمُ الغيب
وكم كنَّ صدرُ الغيبِ رفعاً بمثلهم
لمن كان مثلُ العربِ يشكو من النَّصبِ
وعند اشتدادِ الحاجِ ترفعُ عنهم
يد الله ما يضيفو عليهم من الحجب
فعَدلٌ وخصبٌ واتحادٌ بديلةُ
من الفُرقةِ النكداءِ والظلمِ والجَدْبِ
وإننا لنرجو أن يتوَجَّعَ سعيُّهم
بنزعهم من جنبنا شوكةَ الجَنبِ
فقد كُربتْ منا القلوبُ ولم يكن
سوى نزعها يشفي القلوبَ من الكربِ
تأدَّى بنو قومي فسَرَ أذاهمُ
أناساً أقاموها طريقاً إلى السُّلبِ
ولو لم يسرَّ الكلبُ بالعقرِ ربّه
لما زَفَّ بعدَ العقْرِ خيراً إلى الكلبِ
وها هي حتى اليومَ موضعُ عَيْنهمُ
بما تشتهي من جَزَلِ مالٍ ومن ذَبٍّ

جرائمُها اللاتي نَمَتْ وتعدَّدتْ
 يَراهُنَّ أَهلُ الغربِ بالعكسِ والقلبِ
 فما نشتكي من صنعها يشكرونها
 لها بلسانٍ من معونتهم رطبٌ
 ولو لم يريدوا رميَ قومي بكلِّ ما
 يُطِيبون من شَخْتِ الأذيةِ والجأبِ^(١)
 لما أسكنوا يوماً فلسطينَ عُصبةً
 على القتلِ غدراً قد رَبَّتْ وعلى النُهْبِ
 وشَدَّوا القُوى منها بتسليحهم لها
 إلى أن غدت تحكي به ذنْبَ الضَبِّ
 وسَدَّوا علينا طُرُقَ تسليحنا فلم
 نَنَلْ برضاهم من سِنانٍ ولا عَضْبِ
 سماءُهم كانت صواعقَ فوقنا
 وفوق بني صهيون ممطرة السُّحْبِ
 لَهُمُ أَبعدوا عن أرضنا أَهلَ أرضنا
 بأيدي قوَى تَنِيْنُها دائِبُ اللُّسْبِ^(٢)
 لتبقى رحي استعمارهم في ديارنا
 تدور من الغُدْرِ اليهودِ على قُطْبِ
 فكلُّ فؤادٍ يعرَبِيٌّ قد انطوى
 لصنعِهم الوحشيِّ هذا على نَدْبِ^(٣)
 على ظُلمنا من ساسة الغربِ لا أرى
 سوى مُقَدِّمِ طوع الهوى بطلِ نَدْبِ^(٤)

(١) الشخت: الدقيق والنفيف. والجأب: الغليظ.

(٢) اللسب: اللدغ.

(٣) الندب بفتح النون والذال: الجرح وسكنها للشعر.

(٤) الندب: الخفيف في الحاجة، السريع والظريف والنجيب.

وَيَأْبُونَ إِلَّا أَنْ نُصَدِّقَ أَنَّهُمْ
 لَنَا أَصْدِقَاءُ مُخْلِصُونَ بَلَا رَبِّبِ
 بِمَا أَسْمَعُونَا مِنْ كَلَامٍ مُودَةٍ
 تُكَذِّبُهُ الْأَفْعَالُ فِي الْوَهْدِ وَالْهَضْبِ^(١)
 لِيَانٍ مَقَالٍ قَدْ يَغُرُّ لَوْ أَنَّهُ
 يَجِيءُ بَلَا لِدَغٍ مِنَ الْعَمَلِ الصُّلْبِ
 نِفَاقٌ أَتَى اسْتَعْمَارَهُمْ دَارِعًا بِهِ
 وَخَبٌّ فَبِعَدًّا لِلنِّفَاقِ وَلِلْخَبِّ^(٢)
 أَبَالْسُهُمْ مَسْمُومًا تَرِيدُ إِصَابَةً
 لِمَا بَيْنَ أَضْلَاعِي مِنَ الْكِبْدِ وَالْخِلْبِ^(٣)
 وَتَزْعَمُ لِي مِنْ بَعْدُ أَنَّكَ وَامِيقِي
 وَهَلْ مِقَّةٌ تَدْنِي إِلَى مَنْقُضِي النَّحْبِ^(٤)
 بَنُو عَرَبٍ يَا غَرْبُ لَيْسُوا كَمَا تَرَى
 مَجَانِينَ حَتَّى يَأْخُذُوا مِنْكَ بِالْكَذْبِ
 وَإِنْ لَمْ تُغَيِّرْ فِي فَلَسْطِينَ مَا جَنَنْتَ
 يَدَاكَ بَرْدَ الصَّدْعِ مِنْهَا إِلَى رَأْبِ
 فَغَيْرُ مُحَالٍ أَنْ تَرَى مِنْ حَسَابِنَا
 عَسِيرًا مَتَى وَافَى تَقْلُ مَشْفَقًا حَسْبِي
 وَإِنْ تَرَهُ صَعْبًا عَلَيْنَا فَكَمْ ثَنَى
 إِلَى السَّهْلِ صَنَعُ اللَّهِ مَا كَانَ مِنْ صَعْبِ

٢٠٠٠

(١) الوهد: المطمئن من الأرض. والهضب: الجبل المنبسط.

(٢) الخب: الخداع.

(٣) الخلب: حجاب القلب.

(٤) وامق: محب، والمقة: الحب. منقضي النحب: الهالك المنتهي الأجل.

رَمَتْنا من الغربِ الرُّمَّةُ بِشَرِّ ما
به يَنْتَنِي الأَمْنُ العَمِيمُ إلى رَهْبٍ
بمجموعَةٍ من كُلِّ من نَبَذَتْهُمْ
ديارُ الورى نَبَذَ الشُّبَّاعُ نوى القَسَبِ^(١)
لكيما يَرَوْا منها أداةً خبيثَةً
ملازمةً نَشَرَ المَفسَدَ والرُّعبَ
فما مَرَّ يومٌ لم تَثِبَ فيه حَسَبَ ما
يَشَاءُ لها الطَّبَعُ الغَدُورُ من الوَبْ
وقد أَمِنَتْ منا لَطولِ احتِمالِنا
عواقِبَ ما تَأْتِيهِ من عَمَلِ الذُّبْ
ويا طالما غَرَّ التِّغاضِي مشاغِبًا
فأَوغلَ حُمقًا في التَّحَرُّشِ والشُّغْبِ
إلى أن تَلَقَّاهُ الخَصِيمُ مَجازِيًا
بمرغمةٍ منه المُعِيطَسُ في التُّرْبِ^(٢)
وفي حُمقِ إِسرائِيلَ لم أَرِ مَعِشَرًا
تَكشِفُ عنه العَصْرُ أو ورقُ الكُتُبِ
عِصا السُّبُلِ أَلقَتْها من الأرضِ حيثُ لا
أَمَانَ لِعادٍ من زَعازِعِها النُّكْبِ
وظنَّتُ جِوازَ العِيشِ بين ضِياغِمِ
صِحاغِ لَذُوبانٍ مَحَرَّشَةٍ جُرْبِ
كَأَنَّ أَسودَ الغابِ تُدركُ مِثلَها
من الغابِ في سَهْلِ المِرابِضِ والرُّحْبِ

(١) القسب: الثمر اليابس.

(٢) المعيطس: تصغير المعطس وهو الأنفس. وارغمة جعله في الرغام وهو التراب، ويراد بمرغمة المعيطس: المذلة والإذلال.

أطاعت من المغوين كلَّ مفرِّ
بها يبتغي منها وسائلَ للكسبِ
ولم يَعْنه من شأنها مثلُ ما به
يظلُّ من الشرقيين في المرتعِ الخصبِ
ولو فُكِّرتْ خافتَ تَبَوُّاً منزلِ
مميتٍ لها مما غدا حُسْنُهُ يَسْبِي
ولم يَغْوِها مغولُها بنزوله
ولو جاءها الإغراء من ساحرٍ طَبِّ
ولكن عسى استئصالُ شأفتِها دنا
فكم من عذابٍ قد تولَّدَ من عَذْبِ
وما طيران النملِ إلا علامةٌ
على أنه منه دنا قاسمُ الصُّلْبِ
وأكْبَرُ ظنِّي أنه حُمٌّ موْتُها
بأيدٍ شدادِ الطعنِ في الحربِ والضَرْبِ
طوالِ متيناتِ القوى يعربيةٍ
عليها يتوبُّ الغاصبون عن الغَصْبِ
بهنَّ سيرميهنَّ جمالٌ وصحبُهُ
فقل في جمالٍ ما تشاء وفي الصُّحْبِ
بنا سلِّكوا درباً إلى كلِّ ما به
يعود لنا المجدُّ المنيفُ على الشَّهْبِ
وغايةُ هذا الدربِ غيرُ بعيدةٍ
فأمثالُهم تدنو بهم غايةُ الدربِ
فَزِدْ من حياتي في حياةِ جمالِنا
وأصحابِ الغُرِّ الميامين يا ربِّي
فمحيائهم محياً لآمالِ يعربِ
وأبنائهم في الشرقِ كانوا أو الغربِ

أُحْيِيهِمْ طُرّاً وأرجو بقاءهم
نجوم هدى للعرب في مظلّم الخُطْب
أُطَلْتُ عتابي قبلُ واليوم أشتهي
من الحمد ما يحكيه في الطول أو يُربي^(١)
فيعتاقني عن ذاك ضعفُ به رمى
قوى جسدي رامٍ مميتٌ من الشَّيب
وهل ضعفُ جسم المرء يترك عزمه
قوياً يواتي للحصول على الإرب^(٢)

(١) يربي: يزيّد.

(٢) الإرب: الحاجة.

حبي يجذبني^(١)

يُخَيِّلُ لي أني ثَقِيلٌ عَلَى الأُلَى
أزور من الصَّيْدِ الأَلَى وَدَهْمُ قَلْبِي^(٢)
لذلك من شاقوا فؤادي يَرُونَنِي
قليلَ اللقا بالرغم من كثرةِ الحُبِ
ومن يتخَيَّلُ ثِقَلَ زورته يكن
لمنزله حِلْسًا حِذَارَ أذى الصَّحْبِ^(٣)
وما لي في دفع التَخَيُّلِ من يَدٍ
فأغدو منهم طوعَ ودِّي على قُرْبِ
إذا عَنَّتِ العاداتُ يوجِبْنَ وصلَهم
أبى أن أراه تاركًا نحوهم دَرْبِي
فلم ألقَ من صحبي الكرام مَهْنًا
بذا العيدِ من مَلَقاهُ لي شائقُ مُصْبِي
قعدتُ وحُبِّي أن أقوم مؤديًا
حقوق صحابي الغُرِّ يشتدُّ في جَدْبِي
فلم يَسْتَحِلْ كونُ التَخَيُّلِ صادقًا
كما جاز منه أن يوافي بالكِذْبِ
فإن كان ذا صدقٍ أرحتُ أحبَّتي
وإن كان ذا كذبٍ فإيا حَسْبَهُ رَبِّي

(١) كانت عادته أن يزور الشيخ يوسف بن عيسى القناعي في الأعياد للتهنئة. ولما لزم بيته أرسل هذه القصيدة للشيخ يوسف يعتذر فيها عن زيارته له للتهنئة بالعيد.

(٢) الصيد: جمع الأصيد وهو الذي يرفع رأسه كبراً ويراد بهم هنا الكبار العظماء.

(٣) يقال فلان جلس بيته: إذا لم يبرحه. وأصل الحلس ما يبسط تحت المتاع وما يوضع تحت لبد الدابة.

فهل في قعودي عن أدائي واجباً
 عليّ به العادات يحكّم من عتب
 أجبني يا فخر الكويت ومن به
 حوت رغم تصغير اسمها أعظم الشهب
 فما أنا عن فتوى ابن عيسى بمائل
 ولو جشمتني السير في مسلك صعب
 أرى طاعتي إياه مفخرة على
 مفاخري اللاني أدلّ بها تربّي^(١)
 فيوسف هاديننا وهادي هُداتنا
 إلى غايتي شخت المكارم والجأب^(٢)
 فلولا لم أعرف طريقي إلى العلا
 ولم أقض حتى اليوم من وصلها إربي
 سجاياه أعجبن النفوس نفاسة
 ولم نلقه يوماً بهنّ أخا عجب
 كأن لم يكن يدري محاسن نفسه
 وقد راح مسحوراً بها كل ذي لب
 ولو كان شعري كفاء وصفٍ خلاله
 لما كان إلا وصفه به دأبي
 فحسبي فخراً أن أكون مواظباً
 بشعري على وصفه خلائقه حسبي
 ولكن شعري لم يكن كفاء وصفها
 ولو كان منظوماً من اللؤلؤ الرطب

(١) أدل على أقرانه: تعاضم عليهم واجترأ. الترب: النديد الذي سنه مثل سنك.

(٢) الشخت: النحيف الدقيق. والجأب: الغليظ.

المرء حسب السجايا^(١)

أثنى عليك مُحِقّاً مَقُولُ الأَدَبِ
يا من نَمَاهُ لخيرِ الرُّسُلِ خَيْرُ أَبِ
فكم نظرتَ إلى الآدابِ تَنعِشُهَا
وأهلِهَا نَظَرَاتِ المَشْفِقِ الحَدِ
وكم عطفْتَ إلى الآدابِ مَنحَرُفاً
عنهنَّ عطفَ سديدِ الرأْيِ ذي الدَّرَبِ^(٢)
فصار يسكنُ لآدابٍ مَنجذِباً
لها انجذابَ أَخِي الأَطماعِ للذَّهَبِ
وكان قَبْلُ عن الآدابِ مَبْتَعِداً
ولا ابتعادَ صَحيحِ الجِلْدِ عن جَرَبِ
فلو حَبَّتْكَ الكُوَيْتُ الشُّكْرُ مَنصَفَةً
صاغتهُ مُحْكِمَةً من جَوهرِ الشُّهَبِ
فأنتَ أنتَ إذا آدابُهَا نَبَسَتْ
أَفْواهُنَّ بِشكوى نازلِ النُّوبِ^(٣)
عنايةً مِنْكَ بِالآدابِ دائِبَةً
ولا سَامَةً وإِسْأَمَ في الدَّأَبِ
سَجِيَّةً فيكَ حُبِ العِلْمِ راسِخَةً
رسوخَ حُبِّ ذَوِيهِ مِنْكَ في العَصَبِ

(١) بعث بها إلى صديقه الفاضل السيد عبدالرحمن بك بن السيد خلف باشا النقيب.

(٢) الدرب: التجارب.

(٣) نبست: نطقت.

أجبت في رفعك الآداب دعوتها
ومن سوى طبعه ناداه لم يجب
والمرء حسب السجايا فيه تنعته
بالحمد أو ذمها النعات في العصب
ما الطبع للجيد ميالاً بصاحبه
كالطبع في المرء ميالاً إلى اللعيب
فطبع ذي الجِدِّ يُولِيهِ وَيُتَحَفُّهُ
من حمد كل ألي الألباب بالنخب
وطبع ذي اللعيب الممقوت مرتسم
في عرضه ندب منه على ندب
كل يُريد معالي المجد يَكْسِبُهَا
والطبع يغلبه منه على الأرب
وإن تكن سبيل أهل الجهل متعبه
وليس في سبيل اللعاب من تعب
فالنبع ما نال إلا من صلابته
في كل غاشية فضلاً على الغرب^(١)
هل حاز قط أثيل المجد غير فتى
لم يكثر في طريق المجد بالنصب
من خاف من خطر الرجاف يهلكه
فكيف قل لي له باللؤلؤ الرطب^(٢)
ومن يخف من عوادي النحل عادية
فغير ظافرة كفاه بالضرب^(٣)

(١) النبع والغرب: نوعان من الأشجار.

(٢) الرجاف: البحر.

(٣) الضرب: العسل الأبيض.

يا من بحبّة قلبي اليوم قد سكنتُ
له المحبّة سُكنى غير مُنْقَلِبِ
لو لم تكن لأبَرُّ الرُّسُلِ منتمياً
لكنت من بَرِّكَ الموصول في عَجَبِ
لكن فرعَكَ من أزكى الجذور بدا
والطيب في الجذر يُبقي الطيب في الشُعَبِ
والفرعُ كالأصل في طيب الثمار أما
يأتي الفسيل كمثّل النّخل بالرُّطَبِ
وأصلُكَ الأصلُ إذ أضحت وشيجتهُ
موصولة السببِ الأقوى بخيرِ نبي^(١)
بخيرٍ من بهُدى إرشاده رَشَدَتْ
هذي البريةُ من عُجْمٍ ومن عَرَبِ
بخيرٍ من هتكت أنوارُ بعثتهِ
من كل ديجورٍ جهلٍ أَكثَفَ الحُجُبِ^(٢)
بخيرٍ من مدحتي علياءهُ قُرْبُ
تعتدّها مهجتي من أفضلِ القُرْبِ
وكيف أمدحُ من جاءت مدائحهُ
من بارئ الخلق في الأسمى من الكتُبِ
ما قَدَرُ مدحك يا «صقر» الذي وردت
في مدحه معجزاتُ المِقْوَلِ الذَّرِبِ^(٣)
أي من الحق ما جال البصير بها
بلحظِ نُهَيْتِهِ يوماً فلم يُنِبِ^(٤)

(١) الوشيجة: ما يشد به ويوصل.

(٢) الديجور: الظلمة.

(٣) المَقْوَل الذَّرِب: اللسان الفصيح.

(٤) النهية: العقل.

أتيتني يا أبا «نوري» بعارفةٍ
فقلت لا بدع غيثٌ جاء من سُحُبٍ
لكن بلوغُ مدى ما تقتضيه لكم
من واجب الشكرِ عنه العَجْزُ يَقْعُدُ بي

العلم العلم

نَشَاءُ الْكُوَيْتِ صَلُّوا بِالْجِدِّ وَالِدَاءِ
مَا يَسْتَجِدُّ مِنَ الْأَيَّامِ وَالْحَقِّ
لَا شَيْءَ كَالْعِلْمِ يُدْنِي نَفْسَ صَاحِبِهِ
مِنَ الْحَيَاةِ وَيُقْصِيهَا عَنِ الشَّجَبِ^(١)
وَلَيْسَ كَالْعِلْمِ لِلْعُلِيَاءِ مِنْ دَرَجٍ
وَلَيْسَ كَالْعِلْمِ لِلنُّعَمَاءِ مِنْ سَبَبٍ
لَمْ يُبَدِّلِ الْجَدْبَ خِصْبًا غَيْرُ مُمَطِّرِهِ
لِلنَّاسِ مِنْ هَذِهِ الْأَفْرَادِ وَالْعُصَبِ
وَلَا يَمِينٌ اجْتَنَّتْ إِلَّا بِبَسْطَتِهِ
ثَمَارَ نَازِحَةِ الْخَيْرَاتِ عَنْ كَنْبِ
الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ قَدْ نَالَا بِهِ رُتَبًا
جَلَّتْ عَنْ الْوَصْفِ بِالْأَشْعَارِ وَالْخُطَبِ
لَوْلَا الْعُلُومُ لَمَا أَبْصَرْتُمْ أَحَدًا
يَرْقَى إِلَى الرُّتْبَةِ الْعُلِيَاءِ فِي الرُّتَبِ
وَلَمْ تَرَوْا أُمَّةً فِي النَّاسِ سَاحِبَةً
كَمَا تَرِيدُ ذِيُولَ الْمَجْدِ وَالذَّهَبِ
وَلَيْسَ لِلطَّلَبِ الْمَطْلُوبِ أَوْنَةٌ
كَهَذِهِ فَابْذُلُوا الْمَجْهُودَ فِي الطَّلَبِ
وَتَابِرُوا وَاسْتَحِثُّوا كُلُّ مَنْ فَتَرَتْ
مِنْكُمْ عَزِيمَتُهُ أَوْ مَالِ لِأَعْيَبِ

(١) الشَّجَبُ: الْهَلَاكُ.

حتى نرى الوطن المحبوبَ مشتملاً
 من مجدكم بثيابِ المفخرِ القُشْبِ
 يا أيها النُّشءُ ما كانت جدودكمُ
 يَرْضَوْنَ إلا بسبقِ الناسِ والغَلَبِ
 ولا سبيلَ إلى سبقٍ ولا غلبِ
 لعادلٍ عن سبيلِ العلمِ مجتَنِبِ
 فأتعبوا في التماسِ العلمِ أنفُسَكم
 تُثْنُوا إذا انجلتِ العُقْبى على التَّعبِ
 لولا متاعُ غُرَّاسِ النخيلِ لَمَا
 جَنَتْ أَكْفُهُمْ شَيْئاً من الرُّطْبِ
 من يعرفُ الغايةَ المثلى تَطَلَّبَهَا
 مهما رأى سُبُلَهَا ترميه بالنَّصَبِ^(١)
 ما كان حبلُ علٍّ من نحنُ نَسْلُهُمْ
 - لو لم نكن نحنُ جهَّالاً - بمنقُضِ
 ولا اتَّصَالَ له إلا بعلمكمُ
 فعن سوى أخذه كونوا ذَوِي نَكَبِ^(٢)
 تعلَّموا تُرجِعوا ما انبتَ متَّصلاً
 فمن يَرْمُ مطلباً بالعلمِ لم يَخِبِ^(٣)
 فليس بالعلمِ كسرٌ غيرٌ منجبرٍ
 وليس بالعلمِ ناءٌ غيرٌ مقتربِ
 ما لي أبثُّ مزاياهُ وليس على
 وجوهها الفاتناتِ الحسنِ من حُجْبِ

(١) النصب: التعب والإعياء.

(٢) النكب: العدول والنكوص.

مَا كُنْ قَطُّ إِلَى الْإِبْرَازِ فِي عَوَزٍ
فَقَدْ بَرَزْنَ بِوَجْهِ غَيْرِ مُنْتَقِبٍ
وَصَفْحَةِ الشَّمْسِ تَغْنِي كُلَّ ذِي نَظَرٍ
عَنْ وَصْفِهَا بِلِسَانِ الْقَائِلِ الذُّرْبِ
لَكِنْ تَغْنِي الْفَتَى بِالْحَسَنِ يُطَرِّبُهُ
وَقَدْ تَغْنَيْتُ أَبْغِي لَذَّةَ الطَّرْبِ

بين العري والسغب

ذكرتُ كلَّ شيءٍ كان مقتضياً
إصلاحكم ونسيتمُ خادمَ الأدبِ
وقد ألوذُ بركنِ الصبرِ منتظراً
نحوي التفاتكم المرجوَّ عن كُثْبِ^(١)
لو كان سالفُ عهدينا لحاضرنا
أبقى من الصبرِ ركنًا غيرَ مضطرب
ما زلتُ من فاقتي في من قضى ومضى
أشكو الإقامة بين العُريِّ والسَّغْبِ^(٢)
فهل من العدل أن أبقى تُناوبني
أيدي النوائبِ إيساري وتلعبُ بي^(٣)
أليس من واجبِ الآدابِ أخذكم
بكفِّ خادمها المُشفي على العَطَبِ

(١) عن كُثْب: عن قرب.

(٢) السَّغْب: الجوع.

(٣) يريد بهذا أن أيدي المصائب تقلب عليه حالين هما الإعسار واللعب به.

اتحاد مصر وسوريا^(١)

بين (شكري) و(جمال) العَرَبِ
خَيْرُ حِلْفٍ مَوْصِلٍ لِلْأَرْبِ
أَتُبَعَاهُ بِاتِّحَادٍ صَارَفٍ
- مثل ما نهوى - صروف النُّوبِ
اتِّحَادُ سَرٍّ جِدًّا كُلُّ مَنْ
قَدْ نَمَاهُمْ يَعْرِبُ الْحُرَّ أَبِي
اتِّحَادُ مَجْدٍ أَقْوَامي رَأَى
لِرَحَاهُ مِنْهُ أَزْكَى قُطْبِ
اتِّحَادُ حَيْنٍ بُشِّرْتُ بِهِ
قَلْتُ لِلْقَلْبِ الْحَزِينِ الْحَرْبِ
يَا حَزِينًا لِلتَّنَائِي بَيْنَنَا
قَدْ تَدَانَيْنَا فَصَفَّقْ وَاطْرَبْ
اتِّحَادُ مَا لَضَادِي إِلَى
مَعْقِلِ إِيَّاهُ مِنْ مَنَقَلِ
فَلْعَدْنَانِ إِلَيْهِ كَأَنَّهَا
كُلُّ شَوْقٍ مِثْلُهُ مِنْ يَعْرِبِ
فَهُوَ الْمُنْجِي لَهُمْ فِي عَالَمِ
مُسْتَبْعِ الْأَرْجَاءِ طُرًّا مُذْتَبِ
فِيهِ لَا يَنْجُو مِنَ الْفَرَسِ سَوَى
بَارِزِ النَّابِ حَدِيدِ الْخَلَبِ

(١) قالها في ١٩٥٨/٢/٢٢.

واتحادُ القومِ أقوى ما تُنى
لَهُمْ أَمْنًا شديدِ الرُّهْبِ
كالذي الحُرَّانِ جاءنا به
مُدُنِيًّا مِنَّا جميلَ المَطْلَبِ
نأملُ الأجملَ منه كَلِّمَا
قد تَنَمَّى فهو اليومَ صَبِي
فَلِشكري خيرُ شكرٍ مثله
لجمالِ مُعتلي القدرِ الأبي
استضيئي بهما يا أنفُسًا
تُهْنِ في ظِلِّماءِ ظُلُمِ الأجنبي
فَكِلَا الحُرَّينِ بدرُ طالعٍ
في بني الخِضادِ لكشفِ الغِيبِ^(١)
وظلامُ الظلمِ منجَبٌ بما
أرسلناه من سَنًّا مالتِهبِ
بعضُنَا اليومَ يهتِي بعضُنَا
بك يا عيدُ وما من عَجَبِ
خيرُ عيدٍ أنتَ عنه ارتفعت
لعيونِ العُربِ حُجْبُ الحِقَبِ
أيُّ عيدٍ مشبهٌ ما ضَمَّنَا
بعدَ تشتيتِ الزمانِ المذنبِ
أنتَ عيدُ طولِ مَحيانا لنا
وإذا متنا فعيدُ العَقَبِ^(٢)
بك أرضانا زمانُ طالما
قد رمانا بالمُشْتِ المَغْضِبِ

(١) الغِيبُ: الظلمة.

(٢) العقب: العاقبة، وهنا يريد من يعقبنا ويأتي بعدنا.

يا رُئِيسَينَا مُرانا نَأْتَمِرُ
بَعْدَ هَذَا وَادْعُوا نَا نَجِبَ
لَكُما الوَحْدَةُ لَمْ تَتْرَكَ سِوَى
كُلِّ مَصْنَعٍ مِنْ فَتَى أَوْ أَشْيَبَ
وَيَقُولُ الْكُلُّ عَمَّنْ عِنْدَكُما
ثَقُلْتَ مِنْهُ الْخَطَى لَمْ يُصِبْ
جُنُتْمانَا - بَعْدَ عَيْشٍ يَشْتَكِي
خَبِئَةُ الْكُلِّ - بَعِيشٍ طَيِّبٍ
بَكُما الْيَوْمَ تَأْتَتْ وَحْدَةٌ
قَوِيلَتْ مِنْنا بِأَلْفِي مَرْحَبٍ
قَدْ لَمَسْنَا الْكُنْهَ مِنْها صَادِقًا
لَا خِيالًا إِنْ تَرَأَى يَكْذِبُ
وَحْدَةٌ فِيها رَأَيْنَا بَرْدِي
نَيْلَ مَصْرِ وَهِيَ شَطْرًا حَلَبَ
لَمْ نُعَوِّلْ قَطُّ فِي الْحَيَا عَلَى
شَبْهَها حَصْنًا وَلَمْ نَنْجَذِبْ
وَحْدَةٌ لَا نَتَمَنَّى فَوْقَها
غَيْرَ أَنْ تَبْقَى بَقَاءَ الشَّهَبِ
مَشْرِقِي الْعُرْبِ يَلْقَى مَسْهَلًا
مِثْلَهُ فِيها أَخَاهُ الْمَغْرِبِي
أَمْطَرْتُنَا سُحْبٌ مُلْبِسَةٌ
يَابَسَ الْحَيَا اخْضَرَارَ الْعُشْبِ
وَإِذَا شِمْنَا رَأَيْنَا مَدَدًا
قَافِيًا أَثَارَ تِلْكَ السُّحْبِ

فإذا السُّحْبُ تَلَاقتْ فَالْمُنَى
 ثُمَّ مَا مِنْهَا اطَّيَّبَى أَوْ يَطَّيَّبِي^(١)
 وَحِدَةٌ لَيْسَ سِوَاهَا دَافِعًا
 عَنْكُمْ الطَّمَاعَ جَمَّ الشَّعْبُ
 إِنَّهُ كَانَ وَلَمْ يَبْرَحْ كَمَا
 كَانَ مِنْ قَبْلُ مَخُوفَ الْكَلْبِ
 مَا رَأَى شَعْبًا ضَعِيفًا مَرَّةً
 وَعَالِيَهُ لَمْ يُغِرْ أَوْ يَثْبِ
 وَهِيَ فِي الذُّودِ أَرَاهَا إِنْ عَدَا
 أَهْبَبَةً تَفْضُلُ كُلَّ الْأَهَبِ
 كَمْ لَنَا شَعْبٌ حَبِيبٌ يَشْتَكِي
 مِنْهُ شَرًّا بِاللِّسَانِ الْمُعَرِّبِ
 اذْكُرُوا شَعْبَ عُثْمَانَ وَالَّذِي
 يَتَلَقَّى مِنْ مَبِيدِ الشَّجَبِ
 وَفَلَسْطِينَ الَّتِي مَا تَرَكْتَ
 دَمْعَةً مِنْ أَدْمُعِي لَمْ تُسْكَبْ
 وَفَرَنْسَا وَالَّذِي تَطْرَحُهُ
 فَوْقَ إِخْوَانِ لَنَا مِنْ عَطَبِ
 دُونَ مَا ذَنْبٍ سِوَى مَطْمَعِهِ
 الْمُرِينَاهُ بِثَوْبِي أَشْعَبَ^(٢)
 لَيْسَ الِاسْتِعْمَارُ عَنْكُمْ يَرْعَوِي
 مَا رَأَى صَدْعًا بِكُمْ لَمْ يُرَأَبْ^(٣)
 إِنَّهُ الذَّنْبُ الَّذِي إِنْ سَنَحْتَ
 فَرَصَةً يَظْهَرُ وَإِلَّا يَخْتَبِي

(١) أطباء يطيعه: استماله.

(٢) أشعب بن جبير مشهور بالطمع. والمريناه: الذي يرينا إياه.

(٣) الصدع: الشق. ولم يرأب: لم يصلح.

لورأى الوحدة هذي ما رمى
أحداً منّا بإحدى الكُربِ
فإلى الوحدة يا قومي لكي
تأمنوا شرَّ كثير الرِّيبِ
لم يَنلنا من بعيدٍ شرُّه
قبل أن نُشئت أو عن كُتب^(١)
أمتي الدهرَ عليها اعتمدي
وعلى صَوْنِ نواحيها أدابي
نقمةٌ كبرى على استعمارهم
إن رآها تتلطَّى يَذُبِ
وعالينا نعمةٌ في دعوتي
نحوها سابقَ شعري خُطبي
طالما رحتُ أغنِّيكم بها
قبلَ شيبِ لي تني لم أشبِ
كِبَري عن أن أغنِّي مُوهِنُ
بأسأه قوَّتِي والوصبِ
لكن الوحدة سَرَّتني كما
سُرَّ بالغيث فؤادُ المجدبِ
وشَفَّت مني القوى فاتَّجهت
كأُها خلف القوافي الغُيبِ
ولكم قوَّتٌ ضعیفًا فرحةً
فرأى الراحة بعد التَّعبِ

(١) عن كتب: عن قرب.

شهرآب^(١)

أَعْبَدَ المحسنِ القاضي بعدلٍ
وفصلٍ في القضيَّةِ والخطابِ
إلى عليائك الأشواقُ تدعو
فأنهضُ للإجابة جدَّ صابي^(٢)
فيَقْعُدُ بي اشتدادُ الحرِّ عن أنْ
تكونَ زيارتي لك من جوابي
فأَقْعُدُ قائلاً حسبي جواباً
لصوتِ الشُّوقِ دمعي واكتئابي
ويكفي بعضُ أجوبيتي إذا ما
شِمسٌ جميعها عَزَّ اقتضابي^(٣)
فإن نامتْ عيونُ الحرِّ يوماً
أرَّتكَ إليك أشواقِي انجذابي
وما بيني وبينكَ ألفُ ميلٍ
فأَقْنَعُ منك في ذاكَ الجوابِ
وهل أَرْضَى بِـذاكَ وأنتَ مِمَّنْ
يَحاولُ هِمَّةً مسَّ السَّحابِ

(١) يعتذر بشدة الحر عن عدم زيارة العالم الفاضل الشيخ عبدالمحسن بن إبراهيم البابطين قاضي الزبير
والرئيس الأسبق للقضاء في الكويت.

(٢) الصابي: المشتاق.

(٣) الشمس: الجموح. عز: غلب. والاقتضاب: الاختصار.

وَأَمَّا الْيَوْمَ تَجْذِبُنِي فَيَأْبَى
مَنْ الْحَرُّ أَنْجَذَابِي شَرُّ آبٍ^(١)
وَكُنْتُ إِذَا نَوَيْتُ وَجَدْتُ عَزْمِي
لِأَنَّ أَنْوِي مِنَ الصَّمِّ الصُّلَابِ
وَذَلِكَ فِي شَهْوَرِ الْعَامِ طُرّاً
إِذَا اسْتَثْنَيْتُ مِنْهَا شَهْرَ «آبٍ»
يُذِيبُ الْحَرُّ عَزْمِي فِيهِ حَتَّى
يَهْمُ الذُّوبُ مِنْهُ بِأَنْصِيبِ

□

(١) آب هنا من الأحسن أن تكون بمعنى الممتنع من أبي يابى وذلك منعاً لتكرار اللفظ في البيت التالي لما بعده.

وقد أجاب القاضي عبدالمحسن البابطين بهذه القصيدة:

أصقرُ من حوى العليا فأضحى
فريداً في الشيوخ وفي الشباب
أتاني منك نظمٌ كاللآلي
فزال به من الأحزان ما بي
أتى فقرأته فثملتُ منه
فيا لله ذلك من كتاب
لعمرك ما سمعنا قبل هذا
بأن اللفظ يُسكر كالشُّراب
وقالوا أنتَ في الشعراء فردُ
ولكن في الكويت بلا ارتياب
لقد بخسوك حقك يا أديباً
وما كانوا بذاك على صواب
فإنك شاعرُ الدنيا جميعاً
وما ذا صاح بالشيء العُجاب
فكم معنى أتيت به غريباً
وكم أعجبت قومًا في خطاب
وكم أنهضت شعباً من خمولٍ
فهم لولاك كانوا في تباب
ألا يا سيّد الشعراء عطفاً
على صبٍّ مشوقٍ ذي اكتئاب
قطعتُ إلى اللقا تسعين ميلاً
وفيها نقتُ أنواع العذاب

وقد أعياك عني قطع ميلٍ
وبالتحقيق يقصرُ عن حسابي
وما زرتُ الكـويتَ لأجل شيءٍ
سوى أنني إلى الأحباب صاب
ومن عجبٍ جعلتَ الحرَّ عُذراً
وما حرٌّ يردُّ عن الصحاب
إذا لم تأتني وأنا قريبٌ
فسيان بعادي واقترابي
وما لي عنك من عذرٍ مبينٍ
وكيف وأنتَ في شرخِ الشَّباب
وحاشا أن تهبَّ عليك مني
- وإن حصلَ الجفا - ریحُ العتاب
أتيناكم بتمؤؤزٍ وفيه
لكم عزمٌ من الصمِّ الصَّلاب
فكيف قد انثنى يا خلُّ عني
وهلاً عاد صلباً في غيابي
ألا رفقا بعزمكم لكيلا
يهمُّ من الحرارة بانصباب
وقال الناسُ ما للشيخ صقرٍ
أعدَّ الوصلَ بركانَ انقلاب؟
لقد ساءت ظنونُ القومِ فينا
وقالوا الزورُ يا عالي الجناب
فقمتمُ أغالطُ الأعداءَ كيلا
تزيدَ شماتةُ الأعدا مُصابي

أما والله لو يا صقرُ تدري
بما في القلب من فرط اضطرابي
لطرتَ إلى اللقا بجناح عزمٍ
ولم تستثنِ عنا شهر أب
وما أنا عندكم في شهر أبٍ
ولكن جاء أبٌ في إيابي
فهذا ما جرى فاحكمُ بعدلٍ
فإنك في القضيّة لا تحابي

نُبُّ يَا شَعْرُ عَنِّي^(١)

لَعَبْدِ الْمَحْسَنِ الْحُرِّ الْتُّبَابِ
تَحْمَلُ مَا تُطِيقُ مِنَ الْعِتَابِ
وَأَفْصَحُ فِي الْعِتَابِ وَلَا تَلْجُلُجُ
كَدَائِكَ فِي مَعَاتِبَةِ الصُّحَابِ
وَنُبُّ يَا شَعْرُ عِنْدَ الشَّيْخِ عَنِّي
مِنَابِكَ فِي نَوَائِبِي الصُّعَابِ
فَعَنْ قَوْسِ التَّهَكُّمِ قَدْ رَمَانِي
بِسَهْمٍ لَمْ يَكُنْ لِي فِي حِسَابِي

...

بَعَثْتَ لَنَا بِهَا صَهْبَاءَ فَاقَتْ
فَلَيْسَ لَهَا ضَرِيبٌ فِي الشُّرَابِ
لَهَا حَبَبٌ بِدُرِّ الْبَحْرِ يُزْرِي
وَلَكِنْ تَحْتَهُ سَمُّ الْحُبَابِ^(٢)
مِنْ الْهَزْءِ السُّمَامِ دَسَسْتَ فِيمَا
لَنَا أَهْدَيْتَ مِنْ رَاحِ الْجَوَابِ
فَلَوْ أَنَّا عَلَى غَفْلٍ عَبَبْنَا
بِهَا لَمْ نَصُحْ مِنْ سُكْرِ الْمُصَابِ^(٣)

(١) ولما وقف الشاعر على جواب القاضي عبدالمحسن في الأبيات السابقة ورأى أنه بالغ فيها بمدح الشبيب، ردَّ عليه بهذه القصيدة. وهي منشورة في مجلة الكويت ج ٩ ص ٣٧٦، وقد نشرت ناقصة هنا كما هي في المجلة.

(٢) الحباب: الحية.

(٣) عب: شرب أو كرع بلا تنفس.

ولكن قبل أن نحسُّ وأطلُّنا
 تأمُّلنا بمنظرها العُجاب
 فأنبأنا تأمُّلنا رُواها
 بما فيها لنا قد كنت خابي^(١)
 فيا ابن سَمِيٍّ خلِّ الله كنَّا
 نظنُّكَ غيرَ مرهوبِ الخلاب^(٢)
 فقل لي ما دعاكَ إلى صنيعِ
 مثيرِ فيك شكِّي وارتياحي
 لعلَّكَ قد جهلتَ أَمِنْ نُضارِ
 صديقُكَ صيغٌ أم هو من تُراب
 فجئتَ عن الحقيقة منه تجلو
 بذاك الصنعِ مَسْدُولِ النُّقاب
 لتصبحَ منه - تُرَبًّا - في ابتعادِ
 وتصبحَ منه - تَبَرًّا - في اقتراب
 وذلك عند أهلِ الحزمِ معَ مَنْ
 غدا مثلي يُعدُّ من الصُّواب
 فإنَّ حقيقتي عن كلِّ مَنْ لَمْ
 يُجالِسْني طويلاً في احتجاب
 ومَعذورٌ على فحصي ولكن
 وددتُ بأنَّه صافي الخِضاب
 ليسبُرَ غَوْرَ كُنْهِي دون علمي
 بشيءٍ من مثيراتِ اضطرابي
 فعلمي بابتلائكَ كُنْهَ نفسي
 يؤلِّفُ بين قلبي واكتئابي

(١) الخابي: المخفي مخفية من الخابي. والرواء: حسن المظهر.

(٢) الخلاب والمخالبة: الخداع والمخادعة بلطيف الكلام.

لأنني بعد فحصك لست أدري
أحظي الوصل منك أم اجتنابي
وما بي حين أفحص من هنا
فلم تشدد على عيب عيابي^(١)
فأخشى عن معيب الكنه مني
يكون على يد الفحص انجياي
ولكني أخاف الفحص يخطي
فيبدي الأسد في صور الذئاب
وكم أبدى من المبلو كنهها
ضلال المبتلين على انقلاب
وما بك حين تبالو من غباء
فأخشى أن تجور ولا تغابي
وكيف وأنت أذكانا فؤادا
وأبعد من قضي من أن يحابي
ولكنني أحاذر سوء حظ
إلى تشويه كنهه جدي صابي
وذلك من ظنوني ما عليه
بما قد جئته وقع انتخابي
فإن قرطست من هدفي كلاه
بسهم الظن فالإقصاد دابي^(٢)
وما فوقت من ظني سهاماً
إلى غرض فكن من النوابي^(٣)

(١) العياب: جمع عيبة وهي الحقيبة.

(٢) قرطس: أصاب. واقصده: طعنه فلم يخطئته والإقصاد عدم الخطأ.

(٣) فوق السهم: جعل له فوقاً. والفوق: مشق رأس السهم.

وإن أشوى الحقيقة سهم ظني
فما كل السهام من الصياب^(١)
ولولا ما انطوى قلبي عليه
لمجدك من وداد مستطاب
لأهملت العتاب ولم أحاول
به إنعاش طرفك وهو كابي^(٢)
يعاتب إن كبوت صحيح ود
ويغضي عنك ذو الود الكذاب
ومأمول لديك العفو إما
تجد مني اشتداداً في خطابي
فإن شددت الأيام أعدت
مقالي اليأس وهو من الرطاب
تروح علي أيامي وتغدو
بما من دونه وخز الحراب
يحمأني رزاياه زمان
على أحراره جم الضباب^(٣)
فأرزح كل يوم تحت رزء
جديد حمله معيي الهضاب
فمن رزء شديد الوقع ماض
يريك الشئيب في فود الغراب^(٤)

(١) أشوى: أصاب الشوى أي الأطراف ولم يصب مقتلًا.

(٢) الكابي: الذي يكبو أي ينكب على وجهه.

(٣) الضباب: جمع الضب وهو الحقد الخفي.

(٤) الفود: جانب الرأس والشعر الذي عليه.

إلى رزءٍ أشدَّ عليَّ وقَعاً
 وأحرقَ للفؤاد من الشَّهاب
 كأنني كنتُ للأرزاءِ ظهراً
 وطيقاً فهي منه على اعتِقاب^(١)
 فما أنفكُ من عُظْمى العُظْمى
 من النكباتِ مشدودَ الحِقابِ
 أَمِنْ حَجَرٍ عليَّ فؤادُ دهري
 فكم أشكو وما يرثي لما بي
 فلا تعجبْ إذا ما اجتزتُ همّاً
 لشَيْبي قبلَ مَرِّي بالشُّبابِ
 كما تجتازُ أسهُمهُ لقلبي
 فتُصميه وما خَرَقَتْ إهابي^(٢)
 فما سَيرُ افتنانِ الهمِّ بدعاً
 إلى عِمرانِ قلبي بالخرابِ
 وحسبك أنني أعمى مقلٌّ
 مضاعٌ في الكويتِ بلا طِلابِ
 وما استعذبتُ لي فيها مقاماً
 وكيف وقد أقيمتُ على عَذابِ
 وكم عنها وددتُ إلى سواها
 بِجَدْعِ الأنفِ أن تسعى ركابي
 ولكن حال ما بيني قِضاً
 أصمُّ وبين مودودِ الهِبابِ^(٣)

(١) هي على اعتقاب: يتلو بعضها بعضاً.

(٢) الإهاب: الجلد.

(٣) الهباب: النشاط والسرعة.

يَكُرُّ عَلَيَّ «أَيْلُولُ» مُغِيئًا
فِيْخْمَدُ بَرْدَهُ نِيرَانُ «أَب»
ولكن ما لأيلولٍ سبيلُ
إلى ما في الضلوع من التهاب
فيمضي مثلما يأتي حميداً
وجمرُ أسي فؤادي غيرُ خابي
فمما كان يُوهي الصبرَ حتى
تداعى حبلُ صبري بانقضاب
مقامي صِفَرَكْفٍ في أناسٍ
تَعُدُّ المعسرِينَ مِنَ الكلاب
يُقَوِّمُ بِالثِيَابِ المرءَ فيهمُ
وإن زُرْتُ على لَوْمٍ وعَابٍ^(١)
فموصولُ قشيبِ الثوبِ مهما
تغلغلَ من خَنَاهُ في شِعَابِ
ومهما كان من جهلٍ مُبِيرٍ
عميمِ الضُرِّ مَا لَنِ الوَطَابِ
ومهما كان عن غدرٍ ومكرٍ
بمن أخاه مُنْجَابَ الضُّبَابِ
وأما طاهرُ الأذيالِ يَبْدُو
بأطمارٍ فمُجْتَنِبُ الجَنَابِ
وهَبُّهُ كان من أدبٍ وعلمٍ
غزيرِ البحرِ جِيَّاشِ العُبابِ

(١) زرت: ضمت وجمعت. والعباب: العيب.

وَهَبَهُ لِسَجَايَا رَائِقَاتٍ
 زَوَاهِرَ فَائِقَاتٍ ذَا احْتِقَابٍ^(١)
 فَلَيْسَ السَّيْفُ عِنْدَ الْقَوْمِ سَيْفًا
 بِشَفَرَتِهِ وَلَكِنْ بِالْقِرَابِ^(٢)
 وَيَفْضُلُ حِينَ يُكْسَى الْبَغْلُ جُلًّا
 لَدِيهِمْ عَارِي الْخَيْلِ الْعِرَابِ^(٣)
 فَلَوْ أَنِّي اسْتَطَعْتُ لَبِيعْتُ فِيهِمْ
 حُلَى أَدَبِي الْكَرِيمَةَ بِالْثِيَابِ
 لِأَسْمَعَ مَقْبَلًا أَهْلًا وَسَهْلًا
 مِنَ النَّائِي وَذِي النِّسْبِ الْقُرَابِ^(٤)
 وَتَفْقِدُ مَدِيرًا أَذْنَايَ مِنْهُمْ
 سَمَاعَهُمَا مَقَالَ: إِلَى الذُّهَابِ^(٥)
 هِنَاكَ تَطْبِينِي لاجْتِمَاعِي
 بِشَعْبِي - لَاعْتَزَالِيهِ - الطَّوَابِي^(٦)
 لِمَا بِي قَدْ زَهَلْتُ فَمَنْ زَهَوَلِي
 مَزَجْتُ الصَّابَ بِالنُّطْفِ الْعِذَابِ^(٧)
 أَرَدْتُ الشَّهْدَ مِنْ قَوْلِي عِتَابًا
 بَلَا مَزَجٍ مِنَ الشُّكْوَى بِصَابٍ
 وَلَكِنْ قَدْ أَبَى مَا شِئْتُ مَمَّا
 أَكْبَادُهُ مِنَ الْأَحْزَانِ أَبِي

(١) احتقيقه: احتمله أو ادخره.

(٢) القراب: الغمد.

(٣) العراب: الكريمة السائلة من الهجنة.

(٤) القراب: القريب.

(٥) يشير إلى معنى قولهم «إلى حيث ألفت رحلها أم قشعم».

(٦) تطبيني: تدعوني. والطوابي: الدواعي.

فإن أخلط وأخبط فاعفُ واعذرُ
على خلطي وخبطي في كتابي
فليس يلوم من يشقى شقائي
لبيب حين ينطق بآتشاب^(١)

****□

(١) الانتشاب: الاختلاط، أي حين ينطق بالقول المشوب بالكدر.

وقد رد القاضي على الشاعر بهذه القصيدة:

أشـمـسُ أشـرقتُ أم ذي لآلي
بحُسنِ النظم صيغتُ في كتاب
نعم هذا كتابٌ من خليلٍ
تَحَامَلٌ فـيـه في ردِّ الجواب
تَوَهَّمُ أَنـنـي أدمجتُ فيـمـا
أَتـاه ما يـؤـولُ إلى انـقـلاب
فـمـا كان التَّهْـكُّـمُ قَطُّ دأبي
ولا سِيَّـمـا التَّهْـكُّـمُ بالصَّحـاب
ومـا من مـوجـبٍ لـلـهـزءِ حتـى
أوجَّههُ لـمـثـلك في خطـابي
لـقـد شوشتُ نـفـسـك في ظنـونٍ
وساوسَ صـرتَ مـنـها في اضطراب
فَهَبْ بـعضَ الظنـونِ تصيبُ لكنْ
بـعيدُ ما ظنـنتَ من الصَّواب
شَنَنْتَ الغارةَ الشَّـعـواءَ حتـى
أتيتَ من القـريـضِ بـألفِ باب
فـمـا بيـنـي وبيـنـك قَطُّ شـيءٌ
من الأحقادِ يا سامي الجناب
لـعـمـرُ الله أنـي عـنـك راضٍ
وراضٍ بـابـتـعـادِ واقتـراب
فـمـا أحـلـى عـتـابـك في فـؤادي
وإن عـدوهُ من قـيـطـعِ العـذاب
تـقـولُ وكـيفَ عـيـشـي في أناسٍ
(يَـرَوْنَ المُمْلَـقـينَ من الكلاب)

نعم إنَّ المُمَقِّلَ بكلِّ دارٍ
وإن حاز المعالي باكتئاب
وأكثر مَنْ تراه من البرايا
وإن قَرُبُوا ذُنُوبُ في ثياب
فدو الآدابِ كالْمَجْذومِ فيهم
فيجتنبونه شرَّ اجتناب
وهل أبصرتَ ذا أدبٍ بعيشٍ
هنيءٍ من شيوخٍ أو شباب
فإنَّ جميعَ من تلقاه منهم
يعيشُ بقومه عيشَ اغتراب
وإن تنظرَ إلى مُتَقَدِّمِيهم
تَرَ التاريخَ يقضي بالعُجاب
فطِبَ نفساً فنحنُ قد استوينَا
بما نشكوه من هذا المُصاب
ألا تعمساً لدهرٍ من قديمٍ
إلى الأوباش والجُهل صابي
يحاربُ ذا الكمالِ بكلِّ أرضٍ
فيصمي اللبُّ في وَخْزِ الحِراب
عدوُّ لا يهادنُ في حروبٍ
ولا يصغي لعذلٍ أو عتاب
فما لك يا غضنفرُ في عرينٍ
أطلتَ به المقامَ عن اكتساب
فَنُتِرَ وجِبِ الدُّنَا بثِّباتِ جأشٍ
فأرضُ الله واسعه الرُّحاب
وكن كالبدر أو كالماء يحلو
ويلطفُ بالمجيء وبالذهاب

ريح من عتاب^(١)

عليك أثرتُ ريحاً من عتابي
لتمري منك أخلافَ السحاب^(٢)
لعلمي أنْ مُزَنكَ ليس يسقي
إذا استسقيتَ غيرَ المُستطاب
وها هو ذا هَمَى فوقِي إلى أنْ
أزالَ من الصَّدَا كُلَّ التَّهاب
وأنبَتَ في وهَادِ النفسِ منِّي
كَلَا السَّلْوَى الحميدةِ والروابي
ولولا تَلَكُمُ الأرواحُ ثارتُ
لما جادتُ سَمَاؤُكَ بانسكاب
ولم أسمعْ لرعْدِكَ من دويٍّ
بأفْقِ الشَّعْرِ منك ولا اصطخاب
ولا شِئْمَتُ القَوافي مُبْرِقاتٍ
يُضِئْنَ إلى صَوَابِي لي شِعَابِي^(٣)
ولا أَصْبَحْتُ من غَرْقِي لخوفي
إذا لم يصحْ أَفْقُكَ في اضطراب
فإنك فِضْتُ حَتَّى صرْتُ أَخْشَى
رجوعَ الأمرِ فيه إلى انقلاب

(١) لما أجابه صديقه القاضي الفاضل بقصيدة يعتز فيها عن مبالغته في المدح، رد عليه الشاعر بقصيدة منها هذه الأبيات.

(٢) مرى الناقة يمر بها: مسح ضرعها لتدر. والخلف: الضرع وجمعه أخلاف.

(٣) شامه: نظر إليه.

فإن العَذْبَ إمَّا زادَ يُرْجِعُ
عُذوبَتَه المَزِيدُ إلى عَذَاب
فحسبي من حَيًّا إن دَامَ يَغْرِقُ
صديقُكَ منه في اللُّجَجِ العِذاب
فيا ابنَ سَمِيٍّ خِلِّ الله أَمْسِكْ
فإني من مُفِيضِكَ في عُباب
وليس لَدِيَّ في غَرَقِي - إذا لم
تُكْفِكَ ما أَفَضْتُ - من ارتياب

عذرك يكفيني

أحاولُ أن يكون على الكتابِ
من المنثور مُشبهَةٌ جوابي
فيقعدُ بي خمودُ الذهنِ عمّا
أريدُ من النثرِ المستطابِ
فإن تَعذُرُ فحسبي ذاك أوْلا
فأحمدُ كان محمودَ العتابِ

كن لي هكذا

أُبوحُ بعيب محبوبي ولكن
إليه حين أخلو بالحبيبِ
لينفِي عيْبَهُ عَنْهُ وَيُضْحِي
بعيداً ما استطاع من المَعِيبِ
وَأُبْرِزُ مَا لَهُ فِيهِ اعْتِلَاءُ
وفخرٌ للبعيد وللقريب
فكن لي هكذا أبداً وإلا
فما أنا إن صحبتك باللبيبِ

صرخة ثانية بعد إنهاء فلسطين الإضراب

بني يعربٍ من فاتة أمس سلّه
حساماً به عن قومه يُحسن الذبّا
فما فاتة أن تمنح اليوم كفه
فلسطين ما يحويه ذلك الذنب
فجودوا بكثير المال والقلّ واذكروا
هنالك أرحام العروبة والقُربى
فلو نابكم ما نابهم وتبوا على
ذوي الظلم من أعدائكم أسداً غلبا
وخاضوا غمار الحرب خوضكم لها
ولم يعدموا في عونكم ما لهم حربا
وسحوا على مشبوب نار خطوبكم
كما يقتضي محمود أخلاقهم سُحبا
فهم من علمتم بالوفاء لقومهم
وإخوانهم مهما شكوا حادثاً صعبا
فلا تُعدموا أهل الوفاء وفاءكم
وراعوا يتاماهم وأرعوهم الخصب
أقاربكم بالأمس أرضوا ببذلهم
نفوسهم مجد العروبة والربا
فأرضوهم ما عنكم ببذل رغائب
بها ينثني مر الحياة لهم عذبا

فطوبى لمن قد أَلَحَقَ اليوم ما لَهُ
من الخطب ما يُنسى به قومُهُ الخَطْبَا
بني يعربٍ ما زلتم كلما دَجَا
من الأمر ليلٌ تَطْلُعُونَ به شُهْبَا
فلوحوا كما كنتم تلوحون أنجماً
يَجِبْنَ ظِلَامَ الكربِ أَجْمَعَ والكُربَا
عَنَّتْكُمْ جميعاً ألسُنُ الحال عندهم
بقولِ مؤداه صَلُوا الأهلَ والصَّحْبَا
فلبَّوا سراعاً بالمعونة وابذلوا
جهودكم فالفوزُ منكم لمن لَبَّى
أعينوهم بل أثروهم لتُشَبِّهوا
بإيثاركُم أجدادكم في العلا العُربَا
فكم أثروا بالوُجْدِ محتاجٍ وُجْدِهِمْ
وأذكُرُ منهم حاتمَ الجودِ أو كعبا
ولم أنسَ في الإيثار أصحابَ خيرٍ من
إلى خلقِهِ من ربهم حَمَلُوا الكُتُبَا
فإن تقتدوا في فعلكم بفعالهم
تَطِبُّ لَكُمْ أُولَى الحياتين والعُقْبَى
وإياكم والشُّحُّ فهو بَخِذُهُ
إلى كلِّ ما يخشى النُّهى سالكُ دَرَبَا
فإن مات فالإثمُ العَظِيمُ وإن يَعِشْ
فليس له من غَمَزِ أَقرانه مَخْبَا
هو الشُّحُّ في الدارين ليس بجالبٍ
إلى أهله إلا الندامة والعَيْبَا

فكونوا على بُعدٍ من الشُّحِّ واحذروا
أوائل ما يأتي به الشح والغبا



ألم ينظرِ المُّثري الشحيحُ إلى الألى
قضوا قبله - من كل ذي ثروةٍ - نحبا
أساروا إلى بطن الثرى بثرائهم
أم استصحبوا منه سوى كفنٍ ثوبا



بني يعربٍ هبوا إلى بذلٍ وسعكم
فأجدرُ يومٍ تبذلون به هبّا
وشنّوا على المثري البخيلٍ مغاركم
بكلِّ مقالٍ واملؤوا قلبه رعبا
فمن لم يكن في فعله الخيرَ راغباً
فلا بأس أن تلقاه يفعلهُ رهبا
وما نفعُ مالٍ عاقه عن قضائه
حقوقَ العُلا ذو جنةٍ ظنّها لبّا
أفي مثل هذا اليوم يمنعُ عونهُ
فلسطينَ من تحوي جوانبه قلبا
فلسطينُ من لم يعترف طائعا بما
علينا لها من منةٍ يعترف غصبا
فقد أثبتت أن العروبة لم تزلْ
تُطبق على الأعداء - مهما قووا - وثبا
وإن لـهيبَ العُربِ ضمن رمادهم
يهولُ نفوسَ الظالمين إذا شبّا
وضمّت إلى فخر العروبة مثله
بكلِّ دمٍ زاكٍ على أرضها انصبّا

فمرحى «لفوزي» العُلا و«سعيدها»
وصحبهما المُعلينَ أعلامها القُشبا
فقد رفعوا شأنَ العروبة فاعتلى
بهم وجلّوا عن شمس عليائها الحُجبا
وألَقُوا عليها خيرَ درسٍ مفادهُ
إذا شئتَ أن تحيا فلا تُغمِدِ العَضبا

الله يابى

يريد الذي في الغرب أن يفني العربا
جميعاً ولكن الذي في السما يابى
فلو أمكن الإفناء أفنى ولم يدع
من العرب لا فرداً يعيش ولا شعبا
وهذا عمان والجزائر شاهد
جهادهما الميمون أن لم أقل كذبا
وما برحت من فعله النكر تشتكي
فلسطين ما أغرى بها الكرب فالكربا
فهل عربي بعد هذا مؤمل
من الغرب إنصافاً إذا استرشد اللبا

بين الجد والهزل^(١) عنز تأكل الكتب

كُلُوا عَنزُكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُفْنِيَ الْكُتُبَا
وَتُحْدِثَ أَمْرًا ثَانِيًا يُسْخِطُ الصَّحْبَا
وَأَرْضُوهُمْ مِنْهَا بِنَاضِجٍ لَحْمِهَا
عَلَى أَرْضٍ يَغْدُو لَهُ (حَشْوُهُ) حَجْبَا
وَلَا يَمْسَحُوا الرِّاحَاتِ إِلَّا بِشَعْرِهَا
إِذَا مَا قَضَوْا مِنْ أَكْلِ مَطْبُوخِهَا الْإِرْبَا
وَلَا تَتَّخِذْ مِنْ جِلْدِهَا غَيْرَ جُورٍ
وَنَعْلٍ كَمَا يَقْضِي الْهَوَانُ إِذَا أَرَبَى
فَإِنَّكَ إِنْ تَفْعَلْ بِهَا مَا ذَكَرْتَهُ
تَعَفُّ كُلُّ عَنزٍ مِثْلَ فَعَلَتْهَا رَهْبَا
وَلَا تَخْشَ فِيهَا يَا حَسِينُ مَلَامَةً
فَلَا لَوْمْ فِي أُمِّ التُّوَيْسِ وَلَا عَثْبَا
وَسَائِلُ بَطُونِ الْقَوْمِ عَمَّا أَقْوَلُهُ
يُجِبُّنَكَ إِنَّ الْحَقَّ هَذَا وَلَا رَيْبَا
وَمَا خَيْرُ عَنزٍ تَجْعَلُ الْكُتُبَ مَرْتَعًا

(١) كانت للوجيه الفاضل المرحوم ملا حسين بن عبدالله مكتبة تضم معظم أمهات كتب الفقه واللغة والتاريخ وكتب الأدب، وكان يجتمع في ديوانه بعد ظهر كل جمعة الفقهاء وطلاب الدين للنقاش والمراجعة، وفي أحد الأيام دخلت عنز إلى المكتبة وأكلت قسمًا من الكتب، فنظم الشاعر هذه القصيدة وقدمها لملا حسين بن عبدالله.

ولم تقطعوا عنها الشعير ولا العُشْبَا
يُعِيزُكَ عَنْهَا - إِنْ أَبَحْتَ لَصَحْبِنَا
حَمَى لَحْمَهَا وَالشَّحْمَ - مَعْطِيكُمَا سِرْبَا



فَلَا تَدْكِرْ مِنْهَا الْحَلِيبَ وَطَيْبَهُ
إِذَا مَزَجُوا بِالشَّايِ مِنْهُ لَكَ الْقَعْبَا
وَلَا مَا يَسُرُّ الْقَلْبَ مِنْ حَرَكَاتِهَا
زَمَانَ تُجِيدُ الْقَفْزَ وَالطَّمْرَ وَالْوُثْبَا
فَكُلُّ قَرِيبٍ الْعَهْدِ بِالْعَيْشِ مِثْلُهَا
لَهُ حَرَكَاتٌ كُلُّهَا يُطْرِبُ الْقَلْبَا
فَقَدْ مَلَأَ اللَّهُ الصَّغَارَ مَلَاحَةً
لِنَبِذَلَ عَنْ حُبِّ لَهَا الرِّفْقَ وَالْحَدْبَا
فَحُبُّ صَغَارِ النَّسْلِ جَدًّا مَخْفَفُ
- عَلَى مَنْ يَرِييَهَا - مِنْ الْمَهْنَةِ الْأَعْبَا
وَلَمْ يَرِ لَوْلَا الْحَسَنُ حُبًّا وَلَمْ يَجِدْ
سِوَى الْحُبِّ يَشْفِي دَاءَ أَتْعَابِهِ طِبًّا
وَمَا خَصَّ هَذَا الْأَمْرُ بِلِ عَمَّ كُلِّ مَنْ
يُرَبِّي صَغَارًا فِي الْخَلَائِقِ أَوْ رَبِّي
وَلَوْلَا افْتِتَانُ الْأَمْهَاتِ بِحَسَنِهِمْ
تَمَنَّيْنَ مِنْ أَحْضَانِهِنَّ لَهُمْ سَحْبَا
فَلَا طِفْلَ إِلَّا وَهُوَ فِي عَيْنِ أُمِّهِ
يَفُوقُ جَمَالًا دَائِرَ الشُّهُبِ وَالْقُطْبَا
وَسَيَّانِ أُمُّ مَا ابْتِغَتْ قَطُّ مَلْبَسًا

(١) السبب: شقة كتان رفيقة.

ومن تبتغي ما عاشت الثوب والسبّا^(١)
وقلبٌ وليدِ الإنسِ كان كغيره
بحسن الذي تأتي به أبداً يُسبى
كذلك لطفُ الله في الخلق لم يدعْ
من الخفضِ من توليه حُرْفَتُهُ نَصْباً
وهذي صغارُ المَعَزِ تملأُ كَثْرَةً
فنزّه بها الطَّرْفَ (المطبّة) والدرباً
لتنسى بها تلك التي كلما جرتْ
ببالي ذكراها تصوّرتُها ذنباً
وما الفرق بين الذنبِ والعنزِ إنْ غدت
وراحت - سوى إفسادها مثله - تأبى
ولم يَقسُ إنسانٌ على الذنبِ مرّةً
لو الذنبُ لم يُتلفِ صِحاحاً ولا جُرباً
فمن ضرّنا كنا عليه - ولم نكن
بمعتبري نوعٍ ولا غيره - إلّبا
فنحن لأهل النفعِ حزبٌ بطبعنا
وبالطبع ما زلنا على ضدِّهم حزباً
فإنْ أعقبتْ تيساً لكم أو عُنيْزةً
فأتبع بتلك الأمّ ذيّالك العَقْباً
فما خُبْتُتْ إلا ليخْبُتْ نسلُها
فهل كلبَةٌ جاءت بما يَفْضُلُ الكلبا
فيا ربما تعتاضُ أغزرَ درّةً
وأخفض صوتاً عندما تبصرُ الأبّا
وأكثرَ للكتبِ الكرامِ تجلّةً

وأيسرَ تنقيباً عن القَتِّ إذ يُحْبَا
وأُسْكَنَ للحَلَابِ منها قِوَانِمًا
إذا ما دنا من ضرعها يبتغي الحَلْبَا
فلا رُكْلَهَا يخشى ولا كَسْرَهَا إلْنَا
ولا نبشُّها - ما دام يحلبُّها - التُّرْبَا



ألا ما لهجوي مازحًا دبَّ عقربًا
إلى العنز حتى حاذرت موتَهَا لَسْبَا^(١)
لِي الويلُّ مما قلتُ فلاطُوكُلِّ ما
نشرتُ من المَهْجَا وإن قلتُ لِعُبا
وما لي ألُهو بالهَجَاءِ إذا اتَّقَى
شبيهَ فؤادِ العنز من وقعه نَدْبَا
أتوب إلى أُمِّ التُّوَيْسِ من الذي
تَظَنَّتْ به إن دام أن تَقْضِيَ النُّحْبَا
فإني قد أحسستُ مُشْجِي ثَغَائِهَا
تُصَعِّدُ فيه الشُّكُورَ محزونةً غَضْبَى
فأصغوا إليها تفهموا ما تقوله
ففهمُ الذي تعنيه لا يُعْجِزُ اللُّبَا
ولا تحسَّبوا أن البهائم لم تكن
لتُحْسِنَ صَدْعًا بالمقال ولا رَابَا
فكم أوضحتُ ذي العنزُ غامضَ قصيدها
بمنطقها المعهودِ (أُمْبَاعُ أو أُمْبَا)
وهل لغةُ الإنسان تسمو إبانةً

(١) اللسب: اللدغ.

على لغة الحيوان ساءل أو أنبا
ومن يتأمل صوته في ارتفاعه
وفي الخفض يعلم أنني لم أقل كذبا
وسل - إن شككت - البعض منه فإنه
مجيب بما لا شك فيه ولا ريبا
وليس سؤال المرء حيوانه سوى
دراسته محياه إن نام أو هبّا
فمن زاولوه أخبروا أنه يعي
من العين ما توحى رضى كان أو عتبا
ومن يدّر حتى وحي عينيك لم يكن
ليجهل سهلاً خصه لا ولا صعباً
فهت عن العنز المقال الذي به
تذب الأذى عنها وعن نوعها ذبّا
وهاكم مؤدى ما أبان خطابها
وربّ خطاب عن أخيه ثنى خطبا
ألا خفت فينا الله من نظم كلمة
تضمن منها كل بيت لنا كربا
فوالله لو كنا أناسا وكنتم
بهائم كنا فيكم نتقي الربّا
ولم نجزكم مهما أتيتم إساءة
إلينا عليها مثل قولك أو ضربا
وقمنا لكم بالعدر عن كل هفوة
على مثلها تجزوننا الضرب والسبّا
وكيف نجازيكم على السوء مثله
ولم تُرزقوا فهمًا يُميز ولا إربا
ولم نُرعكم إلا مراعي خصبه

ولم نَرْضَ إِلَّا بِالنَّمِيرِ لَكُمْ شُرْبًا
ولم نَتَّخِذْ مِنْ أَرْضِنَا لَجُنُوبِكُمْ
مَرَابِضَ إِلَّا سَهْلَهَا النَّاعِمَ الرَّحْبَا
ونحسنُ صنْعًا ما استطعنا ولم نَرْحُ
نَجْرُ بِهِ الْأَذْيَالَ فَخْرًا وَلَا عُجْبًا
ولكن نرى الإحسان من شكرٍ واهبٍ
لنا منكم شَخَتْ المنافع والجأبا
ومن لم يَصْنُ بالشكر نعمة رَبِّهِ
عليه فلا يَأْمَنُ على النعمة السُّلْبَا



على أَنْ إِكْرَامِ الْبِهَائِمِ زَائِدُ
لنا كُلُّ رِزْقٍ مِنْ فَوَائِدِهَا يُجْبَى
فإِكْسَابُنَا الصُّنْعَ الْجَمِيلَ بِهَائِمًا
ملكنا نَوَاصِيهَا يَعُودُ لَنَا كَسْبًا
ولم نستسغ لحم البهيمة سيِّمًا
إذا أَظْهَرَتْ مِنْهَا لَنَا الْأَلْفَةُ الْحَبَا
فكيف بهاتيك التي من تُدِيَّهَا
رشفنا - ولو في عمرنا مرةً - شُحْبَا
فهاتيك مثلُ الأمِّ تَبْقَى وَكُلُّنَا
يَحُوكُ لَهَا مِنْ كُلِّ مَكْرَمَةٍ تُوْبَا



ولكن حُبَّ الْذَاتِ أَبْنَاءِ آدَمِ
عليكم أَبِي وَصَلَ الْعَدَالَةِ وَالْقُرْبَى
وهل نرتجي أَنْ تَبْصُرُوا خَلْفَ حُبِّكُمْ
ذَوَاتَكُمْ شَمْسًا مِنَ الْعَدْلِ أَوْ شُهْبَا
ومن يَمْتَلِكُكُمْ مِثْلَكُمْ حُبُّ ذَاتِهِ

يُغَادِرُ جَمَالَ الْعَدْلِ عَنْ عَيْنِهِ غَيْبًا
فَلَوْلَا غِيَابُ الْعَدْلِ يَا «صَقْر» عَنْكُمْ
لَمَا قُلْتَ فِينَا الْيَوْمَ مَا يَقْصِمُ الصُّلْبَا
كَأَنَّ بَنَاتِ التَّيْسِ نَمْنَعُ فَوْزَكُمْ
بِمَرْجُوكُمْ أُولَى الْحَيَاتَيْنِ وَالْعُقْبَى
وَنَحْنُ لَدَيْكُمْ إِنْ مَكُنَّا لِيَالِيَا
ثَنَى الْمَكْتُ مَنَا كُلَّ قَلْبٍ بِكُمْ صَبَا
لَأَنَّ دَوَانِي أَلْفَةً وَالْهَوَى لَهَا
وَلِيدٌ وَتِلْكَ الْأُمُّ لَا تَلِدُ الشُّوبَا^(١)
فَنُؤَلِّيَكُمْ صَفْوَ الْوَدَادِ وَوُدُّكُمْ
نَشَاهِدُهُ حَتَّى لَجْنَسَكُمْ خَبَا^(٢)
فَأَيُّكُمْ يُبْدِي الْوَدَادَ لِغَيْرِهِ
إِذَا لَمْ يَجِدْ رَهْبًا لَدَيْهِ وَلَا رَغْبًا
وَلَوْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ أَخْلَصَ وَدَّهَ
لَمَا اسْتَشْعَرْتَ يَوْمًا قُلُوبَكُمْ رُعْبًا
فَمَا الرُّعْبُ إِلَّا ابْنُ الْخِصَامِ الَّذِي أَتَى
نَتِيجَةً بَغْضٍ لَمْ يَزَلْ لَكُمْ دَأْبًا
وَلَا بُغْضَ لَوْلَا قَلْبُ كُلِّ أَخٍ غَدَا
بِهِ مِنْ أَخِيهِ الْجَوْرُ مُسْتَحْدَثًا تُقْبَا
وَلَا جَوْرَ إِلَّا أَصْلُهُ الطَّمَعُ الَّذِي
حَيَاؤُكُمْ فِيهِ عَلَى وَجْهِهِ كُتْبَا
كَأَنَّ لَمْ تَرَوْا فِي أَخْذِهِ الْمَوْتَ مِنْكُمْ

(١) الشوب: الخلط.

(٢) الخب: الخداع.

حكى الطائر العجلان في لقطه الحب
 ومن عجب تصديقكم أن كلكم
 سيلقى من العيش الهناء الذي أصبى
 ولن تبلغوه والقناعة لم تُضَيَّ
 دُجى الطمع المُردى مشاةً ولا رُكبا
 فلا تأملوا دون القنوع تساويا
 يعم بخيرات الدنيا العجم والعربا
 فأنفسكم تأبى القنوع كأنما
 على قالب الأطماع سائرُها صبا
 وكم قد زعمتم أنكم فوقنا نُهى
 وما كلُّ ذي زعمٍ بتحقيقه يُحِبى
 فإن كان فحلاً ذلك الزعمُ عندكم
 فبالطمع المُمزى بكم عندنا جُبا
 ولو صحتِ الدعوى تساوت ثيابكم
 ولم تُلحقوا المأكولَ فرقا ولا الشربا
 وكنتم كأن الرزق رمحٌ لديكم
 وكلُّ يُريهِ القَسَمُ فيه له كعبا
 وعشتم وكلُّ الأرض دارٌ وأنتم
 بها أسرةٌ تأبى تفاوتها القُربى
 فلو لم يكن هذا التفاوتُ بينكم
 لما جال فيكم ماردُ الشرِّ أو خبّا^(١)
 وغيرُ صحيحِ العقل خَلَقَ بعقله
 ولما يُفدُّه الخيرُ يفخرُ أو يعبا
 ويحزنني ذو الفقر يُكبرُ ذا الغنى

(١) خب: عدا نوعاً من العدو.

ولو لم يَجِدْ يوماً بما يُشبعُ الضُّبَّ
 فأُضمِرُ كرهًا للغنيِّ وماله
 وإن مات فاكسِرْ خلفه الكوزَ والحُبَّ^(١)
 وأكثِرْ للثاني احتقاري وأنثني
 وجاحمٍ سُخطي صُنْعُهُ في الحشا شَبَّ
 أتُرخي أمام الأغنياء تأدُّبًا
 على ما ترى من بخلهم عينه الهدبُ
 ولو لم يكن أمثالهم سَلَمًا لهم
 لما وطئوا تَلًّا من اليُسْر أو هَضْبًا
 فلو حَرَّمَ الناسُ احترامَ ذوي الغنى
 إذا لم يُواسوا الناسَ بذلاً ولا وهبًا
 وأبطلَ مَنْ ملبوسُهُ الخيشُ شِرْعَةً
 بها يسرقُ الأرزاقَ من يلبسُ العَصَبَ^(٢)
 رأوا من رُخاءِ العيشِ فيهم مناهلاً
 يَفِضْنَ لكلِّ إن تحسَّى وإن عَبَّ
 ولم ينفرد بالخفض شعبٌ وعينه
 ترى الموت في جيش الطَّوى غازيًا شعبًا
 وهيَّات. فالإنسان لو قلبُ خِدْنِهِ
 يذوبُ، حَسَا منه - ولم يخجلِ - الذُّوبَا
 لينقضَّ صقرًا خاطفًا رزقَ غيره
 تعلَّم حتى أتقن الحَوَمَ واللُّوبَا^(٣)
 ولم يكفِه أن يخطِفَ الرزقَ وحده

(١) الحب: الجرة الكبيرة.

(٢) العصب: نوع من أنواع البرود.

(٣) لَاب لوبًا: حَام حول الماء وهو لا يصل اليه.

(٤) الحوياء: النفس وهنا قصرها للقافية.

فيخطفَ قبل الرزقِ من جسمه الحَوْبَا^(٤)
فتبكي اليتامى والأيتامى ولم يكن
يبالي على الصرعى لأدمعها سَكْبَا
ولله سَيِّبٌ فيهمُ لو تناصفوا
كفاهم معاً أن يطلبوا غيره سَيِّبَا^(١)



فلا سَعِدَتْ عَنَزُ تَمَنَّتْ أَبَاكُمْ
لها والدًا يومًا وتَبًّا لها تَبًّا
لأن أباكم آدمًا كان نسله
ولمَّا يزل فيه نرى العيب فالعَيْبَا
فما مَرَّ حِينَ لم يُبْنِ من عيوبه
لمن عاصروه من أوائلنا ضَرْبَا
كأن امتدادَ الدهرِ أعدى عُدَاتِكُمْ
لإبداءِ ما أدناه يغمركم تَلْبَا
فها هي تنمو ما تمادى زمانُكم
وتكثرُ حتى شانتِ الشرقَ والغربَا
ومن شَرَّ هَاتِيكَ العيوبِ شِراسَةً
تشقون عن كِبْدِ الضعيف بها الخِلْبَا
ولو لم تكن منهم لما كنت راميًا
بنبل الأذى شرواي لا الأسدَ الغُلْبَا
وما زلت كالصخر الأصم صلابَةً
علينا ولولا ضعفُنا لم تكن صُلْبَا
وأقبحُ من الطفلِ الصغيرِ بقسوةٍ

(١) السيب: العطاء.

فكيف بها من مكّسٍ رأسه شَيْباً
تُكَبِّرُ ظُلماً هفوتي عند صاحبي
ليجعلَ لحمي بعد ذبحي لكم نَهْبا
وما هفوتي عند القياس ببعض ما
أتيت إليّ اليوم معدودة ذُنْبا
لتجعل حقاً باطل الأمر جاهداً
مُجِداً أرى في شخصك البطل النُّدْبا
وما زال عكسُ الحق دأبكم فمن
دبى شرُّكم أيُّ المراتع ما أدبى
فلا حُذِي الأظلاف مثلك شاعرُ
تقيه أذى شوك الطريق أو الحَصْبَا
ولا نَبَتَ القَرْنانِ منه بهامةٍ
يُخيفان من يأتي له ناوياً حرباً
ولا صارتِ الأذنانِ منه مَذْبَئةً
يَذُبُّ بها ما طار يؤذيه أو دباً
ولا سَرَبَلَ الضافي من الشعرِ جسمه
ليأمن في المشتى أذى ريحِ النُّكْبا
ولا اجتَرَّ مسروراً بجرته إذا
أراد التذاذاً أو أحسَّ به سَغْبَا
ولا اكتَنَفَتْهُ المعزُ يوماً بروضةٍ
على ما أتت من ريِّها تشكر السُّحْبَا
منوَّرةٍ الأعشاب تحسبُها سماً
وتحسب فيها أنجماً زهرها الرُّطْبَا
إذا شبت من عشبها العنزُ واحتوى

لها مَرِيضٌ فِي سَفْحِ رَبْوَتِهَا الْجَنْبَا
وداعَبَ عَطْرِي النِّسِيمُ أَنْيْفَهَا
ونادتِ فَلْبَّاهَا مِنَ الْمَعَزِ مِنْ لَبَّى
أَحَسْتُ كَمَا تَهَوَّاهُ ثُمَّ سَعَادَةً
تَفَوْتُ يَدَيَّ مِنْ شَابٍ مِنْكُمْ وَمِنْ شَبَابٍ
لَكِي مَا تَنَالُوا مِثْلَهَا سَلَّ بَعْضُكُمْ
عَلَى بَعْضِكُمْ مِنْ حَيْفِهِ سَيْفُهُ الْعَضْبَا
كَأَنَّ الْفَتَى يَغْدُو سَعِيدًا إِذَا انْتَنَى
إِلَى جَيْبِهِ مَا فِي جُيُوبِ السَّوَى غَضْبًا^(١)
وهيهاتَ مَا نَفْسُ أَمْرِي بِكَنُوزِهِ
تَصَادِفُ يَوْمًا مِنْ سَعَادَتِهَا جَلْبَا
عَلَى حَسْبٍ مَا يَزْدَادُ مَا لَكَ وَجْهَهَا
يَزِيدُ لِيُخْفِيَ عَنْكَ مَشْهَدَهُ النَّقْبَا
سَكِينَةُ نَفْسِ الْحَيِّ مَنَا وَمِنْكُمْ
سَعَادَتُهُ لَا مَا بِهِ يَمَلَأُ الْجَيْبَا
وَلَمْ نَرِ مِنْكُمْ سَاكِنَ النَّفْسِ هَادئًا
سَوَاءً رَعَى خَصْبَ الْمِرَاعِي أَوْ الْجَدْبَا
وَحَرَمَانُكُمْ أَنْ تَهْدَأُوا أَوَّلُ الْجَزَا
عَلَى ظَلَمِكُمْ دُهِمَ الْحَيَاوِينَ وَالشُّهْبَا
وَمَا تَخْبَأُ الْأُخْرَى أَمْرٌ مُذَاقَةٌ
لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْ ظَلَمِهِ تَرِكَ التَّوْبَا
فَإِنْ لَمْ تَخَافُوا اللَّهَ فِينَا وَتَرْفُقُوا

(١) السَّوَى: الْغَيْرِ.

فلا تَأْمَنُوا من سوء ما جِئْتُمُ الْغِبَا
فإن الذي وِلاَكُمْ اليومُ أَمَرَنَا
وأجرى لكم أَقْوَاتَنَا لَبَنًا عَذْبًا
سَيَجْزِيكُمْ عَنَا غَدًا مِثْلَ فَعْلِكُمْ
فلا تَأْمَنُوا عكسَ الْجَزَاءِ وَلَا الْقُلُوبَا
كذا خَاطَبْتَنِي الْعَنْزُ وَهِيَ مُحِقَّةٌ
وذكرى حَقوقِ الْعَنْزِ أَنْسَانِي الشُّغْبَا
فلا تُهْمَلُوا حَقَّ الْبِهَائِمِ وَاسْلُكُوا
بِهَنَّ سَهولَ السُّبُلِ وَالْمَرْتَعَ الْخِصْبَا

يا أشقائي العرب^(١)

دَعُوا الْجَزَائِرَ تَلْقَى الْوَيْلَ وَالْحَرْبَا
ثُمَّ ادْعُوا أَنْكُمْ مَا زِلْتُمْ عَرَبَا
لَوْ لَمْ نَزَلْ عَرَبًا لَمْ تَلْقَ إِخْوَتُنَا
مِنْ دُونِنَا كُلِّ مَا قَدْ آدَ أَوْ كَرَبَا^(٢)
وَلَمْ نَجِدْ بَيْنَهُمْ مَنْ عَنْ مَعُونَتِهِمْ
بِالنَّفْسِ وَالْمَالِ لَا بِالْقَوْلِ قَدْ هَرَبَا
وَأَصْبَحَ الْكُلُّ مِنَّا جَهْدَ طَاقَتِهِ
مَخْفُوفًا عَنْهُمْ الْأَشْجَانِ وَالتَّعَبَا
مُشَارِكًا لَهُمْ فِي كُلِّ نَازِلَةٍ
تَسْتَبِذِلُ الْجُهْدَ مِنْهُ صَالٍ أَوْ وَهَبَا
أَمَّا وَيَعْرُبُ لَوْ ظَلَمْنَا بَنِيهِ رَأَتْ
مِنَّا فَرَنْسَا شَجًّا فِي حَلْقِهَا نَشَبَا
وَمَا أَحْسَتْ وَقَدْ جَاءَتْ بِفَعْلَتِهَا
فِينَا فَتًى ضِدَّهَا لَمْ يَسْتَحِلْ لَهَا بَا
أَيَعْرُبِيَّونَ مِنْ أَفْعَالِهِمْ بَعُدَتْ
عَنْ فَعْلٍ يَعْرُبُ فِيمَا جَلَّ أَوْ حَزَبَا
ظَنَنْتُ ظَنًّا شَجَانِي أَنْ رَابِطُنَا
بِيعْرُبِ الْمَعْتَلِي قَدْرًا قَدْ انْقَضَبَا

(١) قيلت في ١٩٦٢/١/٢٨ عن الثورة الجزائرية ضد فرنسا.

أَوْ أَنَّ مَوْصُولَهُ الْمُحْضَ الرَّفِيعَ دَنَا
مِنْهُ الْوَضِيعُ مِنَ الْأَنْسَابِ فَاَنْتَشَبَا^(١)
لَوْلَمْ يَكُنْ ذَاكَ ظَلُّنَا مُشْبِهَيْنَ لَهُ
- مَهْمًا تَقَلَّبَتِ الدُّنْيَا بِنَا - حَسَبَا
ظَنُّ شُجَانِي وَأَبْكَانِي عَلَى نَسَبٍ
زَهَتْ بِرَفْعَتِهِ أَجْدَادُنَا حَقَبَا
لَا صَدَقَ اللَّهُ مُشْجِي ظَنَّتِي لِأُرَى
مَا أَوْجَعَ الْقَلْبَ مِنْهَا بَاطِلًا زَهَبَا
فَإِنْ تَكْذِيبَهَا أَشْهَى الْأُمُورِ إِلَى
قَلْبٍ عَلَيْهِ بِهَا مُدْمِي الْأَسَى جَلَبَا



لَمْ لَا تِرَانِي هَذَا الْوَقْتَ مَنْطُويًا
عَلَى شَجَوْنٍ يُبِدِّنُ الصَّبْرَ مَكْتَنَّبَا
وَالْأَذْنَ تَسْمَعُ مَا عَنْ نَفْعٍ مَعْشَرِهَا
يُلْهِي وَيَشْغَلُ، فَاسْمَعِ تَحْزَنَ الصَّخْبَا
مَا لِلْإِذَاعَاتِ بَيْنَ الْعُرْبِ دَائِبَةً
تَبَثُّ مَلَأَ الشَّرُوقِ اللَّهُوَ وَالطَّرْبَا
كَأَنَّهَا حَسِبَتْ أَهْلَ الْجَزَائِرِ فِي
مَا يَقْتَضِي طَوْلَ بَثِّ اللَّهُوَ وَالْدَّابَا
إِنْ لَمْ يَكُ الْكُلُّ مَنَّا وَقْتَ مَحْنَتِهِمْ
لَطِيبِ لِدَاتِهِ جَمْعَاءَ مُحْتَسِبَا
مُوجَّهًا مِنْ قَوَاهِ الْكُلِّ يُنْجِدُهُمْ
حَتَّى يَرَى كُلُّ صَدْعٍ عِنْدَهُمْ رُئْبَا

(١) انتشِب: اختلط.

فأَيُّ وقتٍ نُواسِي مِنْهُمْ أَسْرًا
تَكابِدُ الآنَ ضَنْكَ العِيشِ والشَّجَبَا
أَكأن يَعرُبُ يَرْضَى اللَهُ وَهُوَ يَرى
مَنْ قَوْمِهِ أَحَدًا قَدْ سِيءَ أَوْ نُكِبَا
عَنْ الجَزائِرِ يُشجِي القلبَ مِنْبِؤُهُ
حَتى يَغادرَهُ أَسوانَ مضطربا
فَما الَّذي أَيُّها اللاهُونَ أَطَرَبَكُمُ
أَعندَكُم غَيْرُ ما يُشجِي القلبَ نَبَا
حَتى مَتى لا يَكُونُ اللَهُ مُطَرَحًا
ما بَينَ كُلكُمُ لا البَعضُ مَجتَنِبَا
وَفى الجَزائِرِ مَنْ يَرجو بَنجَدَتَكُم
رَدَّ الَّذي ضاقَ مِنْ أَمْرٍ وَقَدْ رَحِبَا
خَلَّوا إِلى المَجدِ هَذا الهَزلَ وادَّكَروا
دَمَ الكِرامِ الَّذي ما انْفَكَ مَنسَكبا
حِيالَ دَمعِ اليَتامى والأَرامِلِ مِنْ
قَوْمٍ هُمُ أَنْتُمْ إِنْ تَذَكَّروا النِّسَبَا
شُنُّوا مَغارِكُمُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ
عَلى (دويكيل) حَتى يَرعوي رَهَبَا
لا تَحسَبوا القُضْبَ لِلْموتورِ أَسلِحَةً
فَحَسَبُ، إِنْ جَدَّ فى أوتارِهِ طَلَبَا
بَلِ السَّلاحُ كَثِيرٌ غَيرُهُنَّ وَكَم
بِبعضِهِ قَلَّ مَوْتورُ الورى القُضْبَا
فأَعْمِلُوا كُلَّ ما فىهِ أَذِيَّتُهُ
فَكُلُّ مُؤذٍ سَلاحٌ لِلَّذي غَضِبَا

كيما يُصَدِّقَ مِنَّا كُلُّ مُفْتَخِرٍ
 إِذَا عَزَا نَفْسَهُ يَوْمًا إِلَى ابْنِ سَبَا
 أَخْلَاقُ يَعْرُبُ مَا كَانَتْ بِفَائِتَةٍ
 يَوْمًا دَرَايَتُهَا الْأَفْرَادَ وَالْعُصَبَا
 لَوْ فَاتَهُ الْعِزُّ لَمْ يَقْبَلْ بِهِ بَدَلًا
 لَهُ وَلِلْقَوْمِ طَرًّا مَا عَدَا الْعَطْبَا
 فَإِنْ نَكُنْ مِثْلَهُ فِي طَبْعِهِ صَدَقَتْ
 مِنَّا ادْعَاءَاتُنَا إِذْ نَدْعِيهِ أَبَا
 إِذَا انْتَمَى لِأَبٍ نَجْلٌ فَشَيْمَتُهُ
 تُقَرَّرُ الْأَمْرَ إِنْ صِدَقْنَا وَإِنْ كَذِبَا
 يَا مَنْ جُدُودُهُمْ كَانُوا الشُّمُوسَ - إِذَا
 دَجَّتْ حَوَادِثُ هَذَا الدَّهْرِ - وَالشُّهُبَا
 وَالنُّبُحُ مِنْ جُرَاةٍ تَثْنِي صَلَابَتَهُ
 أَمَامَهُمْ فِي الْوَعْيِ أَبْطَالُهَا قَصَبَا
 شَبَّتْ مَطَامِعُ (دِيكُول) جَهَنَّمُهَا
 وَقَدْ أَرَادَ لَهَا مِنْ بَعْضِنَا حَطْبَا
 فَجَاهَدُوهُ - وَإِنْ شَقَّ الْجِهَادُ - إِلَى
 يَوْمٍ يُرِيهِ بِهَا أَعْوَانَهُ حَصَبَا
 أَرَاخَةَ تَطْبِيكُمُ وَالْجِزَائِرُ لَمْ
 تَبْرَحْ تُكَابِدُ مِنْ جُورِ الْعِدَا نَصَبَا
 وَتَسْتَطِيبُونَ خِصْبَ الْعَيْشِ فِي زَمَنِ
 يَلْقَى الْأَشْقَاءُ فِيهِ الْمَوْتَ وَالسَّغْبَا
 قَدْ أَمَلَ الْكُلُّ مِنْهُمْ صِدْقَ نُصْرَتِكُمْ
 إِيَاهُمْ فِي جِهَادِ الْمُعْتَدِي كَلْبَا

ولو نهضتُم كما رجَّوْا لما حبستُ
 عنهم ذئابُ فرنسا النصر والغلبا
 لو أنسوا صدقَ فعلِ العربِ ضدَّهم
 لم تلق منهم لحقَّ العربِ مغتصبا
 ما كان بالصَّقْرِ «ديكول» تُجاهكم
 بل كان - لولا تراخي بعضكم - خرباً^(١)
 فطهَّروا كل أرضٍ من دياركم
 من كلِّ من لم يكن ضدَّ العدا صلباً
 تروا (دويكيل) عن ظلمِ يواصله
 إلى العدالة مضطراً قد انقلباً
 وينثني الكلُّ من قُصاد ظلمكم
 برغمه منصفاً عن قُصده رغباً
 لم يتخذ دَريه في بحر نعمتكم
 حوت المطامع - لو لم يوجدوا - سرباً
 من لي بيعرب أشكو المنتمين له
 وكل طبعٍ لهم عن طبعه غريباً
 كيما يُعلم منهم كلُّ منتحلٍ
 - إذ ينتمي نسباً قد فاته - الأدبا
 سلُّوا بيعرب من عُشاق سيرته
 روايتها الصادقين القول والكُتبا
 هل جاء يعرب إن مكروهه صعبتُ
 بما سوى الجدِّ في تسهيل ما صعباً
 حتى يردَّ إلى سهلٍ صعوبتها
 لكل من قد أتاه يشتكي النوبا

(١) الخرب: ذكر الحبارى.

يُستوعبُ الجِدُّ منه الجُهدُ عن كرمٍ
في الذَّبِّ عَمَّنْ عليه ظالمٌ وثبًا
وفي إغائِلةٍ من رَجَى إغائِلتَهُ
ممن مُحَيَّا الحَيَا عنهم قد احتجبا
ما جاء في أحدِ الأمرين من عملٍ
إلا وجَهِدُ القوَى فيه قد انتصبا
والجِدُّ إن لم يمتلُ جُهدَ صاحبه
فيما عليه من الإنجاد قد وجبا
فما هو الجِدُّ إذ تُوليه تسميةً
فَسَمَّهُ أينما أبصرتَهُ لَعِبَا
خيرُ النفوس التي تهتمُّ مصلحةً
لقومها كلُّ شيءٍ عندهم حَزَبَا
فَيُبْصِرُ الخِصْبَ بعد الجَدْبِ قاصدُها
كما انتهى عندها والأمنَ من رُعبَا
تأبى مُروءَتُها إلا تَقَدُّمُها
بالجهدِ مهما لها داعي العُلا نَدَبَا
تظلُّ من باهراتِ المجدِ فاعلةً
ما غيرها منه مبهورُ الحِجَا عَجَبَا
سدَّتْ أذني فلا الأشعارَ أسمعُها
تعني الجزائرَ مُذْ حينَ ولا الخُطْبَا
فإن ما قيل في إخلاصِ قائله
قد كاد يبعثُ في الشكِّ والرَّيبَا
فصادقُ القول ما يدنو به أملُ
نَاءٍ وَيُنْنِي من الآلامِ ما اقتربَا

ونحن لم نَرَ حتى الآن ضجَّتَنَا
كانت لتحقيقها أماننا سَبَباً
ما خُلِبَ البرقُ مَرَجُوءٌ كَصَادِقِهِ
مهما استثار من الإعجاب أو خَلَبَا
والسُّحْبُ مُمَطَّرُهُ - ليس الجَهَامُ - به
لنا الثرى يُخرج الأشجارَ والعُشْبَا
مجرَّدُ القول أو شِبْهُ المجرَّدِ لا
تلقى الجزائر فيه القصد والأربا
فأسعفوها بأفعالٍ يُعِدْنَ لها
ما من مَعِينٍ رَخاء العيشِ قد نُضَبَا

لن يراني القوم إلا مذنباً

ما زلتُ أشكو من زمانِي نُوباً
تُغادر الطفلَ الرضيعَ أشيباً
لكلِّ من يحكي الصِّفا فؤادُهُ
صلايةً أو كان منه أصلاً
وأسرع القوم عتاباً لو سرتُ
رقَّتُهُ بجامدٍ لأعتباً^(١)
فلم أجد لي مُشكياً أو مُعتباً
ولم أجد عليّ منهم حادباً
كأنني أصبحتُ ليئلاً كاشراً
عن عُصْلٍ مجتمِعاً كي يثباً
وكان لا لومٍ عليّ من قد نأى
بنفسه يخافُ ليئلاً أغلباً
والكلُّ يهوى أن يكونَ بادئاً
إيذاءً ذاك الليثِ أو معقّباً
فما ترى في القوم عن إيذائه
من أمكنته فرصةً مُنكّباً
فليتّهم إذ منعوني خيرهم
لم يُركبوني من أذاهم مركّباً

(١) أعتبه: أزال عتبه وترك ما كان يغضب عليه لأجله وأرضاه.

لَمْ يَحُلْ فِي قَوْمِي مَقَامِي سَاعَةً
لَوْ أَنَّنِي أُسْطِيعُ مِنْهُمْ هَرَبًا
فَإِنْ أَقَمْتُ فِي الْكُوَيْتِ مَرْغَمًا
مَضْطَهَدًا مِنْ أَهْلِهَا مَكْتَنِبًا
أَشْكُو وَلَا مُشْكِي مِنْهُمْ فَالْقَضَا
عَلَيَّ أَنْ أَهْرُبَ مِنْهُمْ قَدْ أَبَى
وَكَيْفَ يَسْطِيعُ فِرَارًا مِنْ غَدَا
يَشْكُو الْوَثَاقِينَ الْعَمَى وَالْوَصَبَا
حَقِّي مِنْهُمْ أَنْ أُلْقَى رَاحَةً
فَمَا لِقَوْمِي الْحَقُونِي نَصَبًا
إِنْ كَانَ ذَنْبِي عَنْدهُمْ صِرَاحَتِي
فَلَنْ يَرَانِي الْقَوْمُ إِلَّا مُذْنِبًا
وَكَيْفَ عَنْهَا أَنْتَنِي وَلَمْ تَكُنْ
تَخْلُقًا بَلْ خُلُقًا بِي رُكْبًا
مَعَ أَنَّهَا لَوْلَمْ تَكُنْ سَجِيَّتِي
لَمْ أَلْ فِي تَخْلِيصِهَا تَسَبُّبًا
فَإِنْ قَلْبِي حَسَنُهَا اسْتِمَالُهُ
فَمَالَ كُلَّ الْمَيْلِ قَلْبِي وَصَبَا
فَلْيَعْمَلِ الْقَوْمُ عَلَى أَذِيَّتِي
إِنْ كَانَ إِيْذَانِي عَلَيْهَا وَجَبَا
فَلَنْ يَرُونِي عَنْ صِرَاحَتِي وَلَوْ
رَأَيْتُ فِيهَا مَصْرَعِي مُنْقَلِبًا
وَكَيْفَ يَا قَوْمُ أَقُولُ عَنْ فِتْنَى
أَعْرِفُ عَنْهُ كَذْبَهُ: مَا كَذَبَا

أَمْ كَيْفَ قَوْلِي عَنْ فَتًى يَصُدُّنِي
 شَبَّ عَلَى الْكَذْبِ فَلَانُ وَرَبِّهَا
 وَعَنْ فَتًى خَرَّبَ: ذَا مُعَمَّرٍ
 وَعَنْ فَتًى عَمَّرَ: هَذَا خَرَّبَا
 وَعَنْ فَتًى أَطْنَبَ: هَذَا مَوْجَزُ
 وَعَنْ فَتًى أَوْجَزَ: هَذَا أَطْنَبَا
 وَعَنْ فَتًى غَرَّبَ: ذَا مَشْرِقٍ
 وَعَنْ فَتًى شَرَّقَ: هَذَا غَرَّبَا
 إِنْ كَانَ ذَا يَرْضِيكُمْ فَإِنِّي
 أَبْقَى لِمَا يَرْضِيكُمْ مَجْتَنِبَا
 فَلَيْسَ فِي اسْتِطَاعَتِي إِرْضَاؤُكُمْ
 فَأَمْطِرُونِي مِنْ أَذَاكُمْ صَائِبَا
 فَإِنْ لِي صَبْرًا عَلَيْكُمْ مَسْعِدًا
 مَا لَمْ تَجْرُدُوا عَلَيَّ الْقُضْبَا^(١)
 فَإِنْ لِي فِي أَنْ أَعِيشَ رَغْبَةً
 وَلَوْ كَمَا تَرُونَنِي مُعَذَّبَا
 وَلْتَعْلَمُوا أَنَّ الْأَذَى مَا لَمْ يَصِلْ
 لِلْمَوْتِ بِي أَعْدَهُ مَدْرَبَا
 لَهُ دُرٌّ مَعَشَرِي مَا بَيْنَهُمْ
 لَا يَشْتَكِي إِلَّا الصَّرِيحُ الْكَرْبَا
 أَمَّا الَّذِي نَافَقَ فَهُوَ عِنْدَهُمْ
 مَقْدَمٌ مَسْمُوعٌ قَوْلٍ مُجْتَنَبَى
 وَلَمْ أَزَلْ أَمُلُ مِنْهُمْ نَهْضَةً
 حَتَّى لَخَلَّتْنِي غَدَوْتُ أَشْعَبَا^(٢)

(١) مسعد: معين ومساعد.

فَلْيَضْحَكُنَّ مِنْ رَجَائِي كُلُّ مَنْ
أُوتِيَ قَلْبًا لَيْسَ فِيهِ مِنْ غَبَا
فَمَا رَجَائِي مَعْشَرِي أَنْ يَنْهَضُوا
وَأَنْ يَمْدُوا لِلْمَعَالِي سَبَبَا
إِلَّا كَمَا أَرْجُو لِعَيْنِي أَنْ تَرَى
عَلَى عَمَاهَا فِي سَمَاهَا الشُّهُبَا
وَأَيُّ خَيْرٍ يُرْتَجَى لِأُمَّةٍ
مَا بَيْنَهُمْ نَوْرُ الصَّرَاحَاتِ خَبَا



أَقُولُ لِلْعِلْمِ الَّذِي قَدْ جَاءَنَا
فَلَمْ نَقْلُ أَهْلًا لَهُ أَوْ مَرْحَبًا
يَا أَيُّهَا الْعِلْمُ ارْتَحِلْ عَنْ بِلَدَةٍ
قَدْ ضَاقَ عَنْكَ رَحْبُهَا وَقَدْ نَبَا
وَاسْتَصْحَبَ الشُّعْرَ فَمَا نَحْتَاجُهُ
وَلَا تَذَرْ يَا عِلْمُ فِينَا الْأَدْبَا
وَحُصَّ بِالتَّحْطِيطِ أَقْلَامَ الْأُلَى
عَقُولَهُمْ حُبُّ الصَّرَاحَاتِ سَبَى
وَأَوْسَعَنْ أَسْفَارَهُمْ مَحْوًا إِلَى
أَنْ لَا أَرَى مِنْ تِلْكَ فِينَا كُتُبَا^(١)
فَهَذِهِ الْأَخْلَاقُ لَا تُعْجِبُنَا
وَلَا تَرَى مِنْ أَلْهَاتِنَا مَعْجَبَا
وَأَنْتَ يَا جَهْلُ أَقَمْ مَكْرَمًا
وَاتَّخِذِ الْأَلْبَابَ مِنْ أَمْعَبَا

(١) الأسفار: الكتب.

أَفْسِدْ وَعِثْ خَرَّبْ وَدَمِّرْ لَنْ تَرَى
تَقْطِيبَ شَعْبٍ لِلْعُلُومِ قَطْبًا
وَلَا تَخَفُ مِنَ الْعُلُومِ صَوْلَةً
فَقَدْ فَلَّأْنَا نَابَهَا وَالْمِخْأَبَا
وَأَصْبَحْتَ عَنَّا إِلَى حَيْثُ الْأُلَى
تُعْجِبُهُمْ مِنَ الْأَنَامِ مَهْرَبَا
وَعِثْ بِدَعٍ إِنْ قَلَوْنَاهَا وَإِنْ
أَقَمْتَ أَنْتَ بَيْنَنَا مُحِبًّا
فَأَنْتَ قَدْ رَضِيتَ عَنِ نِفَاقِنَا
وَالْعِلْمُ أَبَدِيٌّ لِلنِّفَاقِ الْغَضَبَا
وَالْعِلْمُ يَقْضِي بِالسَّوَادَةِ الَّتِي
تَنْفِي عَنِ الْجَائِعِ مَنَا الْعَطْبَا
وَأَنْتَ بِالْأَثَرَةِ تَقْضِي هَازِنًا
بِكُلِّ شَاكٍ مِنْ طَوَاهِ الْحَرَبَا^(١)
وَنَحْنُ لَا نَرْضَى لِمَنْ مَثْرَبَةٍ
يَشْكُو الطَّوَى مِنْ مَالِنَا أَنْ يَنْصَبَا
سَيِّانٍ مَنْ عَاشَ وَمَنْ مَاتَ طَوَى
إِذَا غَدَوْنَا وَافَرَيْنَ النَّشَبَا^(٢)

✽✽✽✽✽✽✽✽✽✽

وَإِنْ نُخَصِّصُكَ بِكُلِّ مَعْهَدٍ
أَرْخَصَ فِيهِ شَائِدُوهُ الذُّهَبَا

(١) الأثر بفتح الثاء: اختصاص المرء نفسه بأحسن الشيء دون غيره، وحب النفس المفرط، وسكن الثناء

هنا للشعر: والحرب: الضيق.

(٢) الطوى: الجوع. والنشب: المال الأصيل.

وَلَمْ نَدْعُ لِلْعِلْمِ فِي أَرْجَائِهِ
 فَرَعًا تَخَافُ بِطِشَّةُ أَوْ مَنْصِبًا
 فَالْعِلْمُ قَدْ يَرْضَى بِطِمْرٍ مَلْبَسًا
 وَأَنْتَ لَا تَلْبِسُ إِلَّا الْقَشِيبَا^(١)
 وَنَحْنُ لَا يَرُوقُنَا إِلَّا الَّذِي
 يَخْتَارُ لِلظَّاهِرِ مِنْهُ السَّلْبَا^(٢)
 فَلَوْ رَأَيْنَا نُصْبًا مَرْتَدِيًا
 حُلَّةً دِيْبَاجٍ عَبْدَنَا النُّصْبَا^(٣)
 وَقُلْتُ وَالْجَهْلُ يَشْبُ نَارُهُ
 وَيَجْعَلُ الْأَلْبَابَ فِيهَا حَطْبًا
 أَحْسَنْتَ يَا جَهْلُ لِعَمْرِي مُوقِدًا
 أَحْسَنْتَ يَا جَهْلُ لِعَمْرِي مُلْهَبًا
 إِنْ أَنْتَ أَتْبَعْتَ النُّهْيَ عَوَاطِفًا
 مِنَّا وَأَخْلَاقًا نَرَاهَا نُخَبَا
 فَقَالَ لَا تَعْجَلْ فَذَا مِنْ أَرْبِي
 وَإِنِّي مِنْكُمْ سَأَقْضِي الْأَرْبَا
 فَصَفُّقُوا يَا قَوْمُ لِلْجَهْلِ مَعِي
 أَحَدٌ تَصْفِيْقٌ وَمِيسُوءٌ طَرَبَا
 فَكُلُّمَا الْجَهْلُ غَدَا مُحَرَّقًا
 مِنَّا لَنَا غَيْرَ الْعَنَا مَا جَلَبَا
 فَلَيْسَ يَشْكُو غَيْرَ ذِي عَوَاطِفٍ
 سَلِيمٌ لُبٌّ فِي الْحَيَاةِ التَّعَبَا

(١) الطمر: الثوب البالي. والقشيب: الجديد.

(٢) السلب: الثياب السود.

(٣) النصب: الأصنام.

والجهل - والحمد لله - مريحنا
من كل ما نُضمّر منه الرّهبنا
والشّعب طوع للهوى والهزّ إن
بكلّ شعب لم يكن منشعبا
وكلّ من موطنهم ما بينهم
ألقي إخاء جلا أن ينقضبنا
فأصبحوا يرونه أمّا لهم
جديرة بالبرّ منهم وأبا
وكلّ من واصل - طوع عقليه
وعلمه لكي يعيش - الدّأبا
وكلّ من لم يخش - في تطلابه
معارفًا يعلوبهنّ - اللّغبا^(١)
فالهزّ منا بهم متمّ
لجهلنا رضا علينا لزبا^(٢)
وإن يلمّنا لائم فلنحشّون
في وجهه حتى يكفّ التّربّا
ولنرفع الأصوات منّا قحّة
نقول عنه: احتاج أن يؤدّبا
فذاك ممّا يحزن العلم الذي
خفنا على الراحة منه الشّجبا
وحقّه يا قوم أن نحزنه
حتى ولو عنا تولّى خببا

(١) اللّغب: التعب والإعياء الشديد.

كي لا نراه أبداً عن أرضنا
إلا بعيداً شاحطاً مغترباً
فإننا غيرُ أميين - إذا
عاد - على راحتنا أن تُسَلِّبنا

لنمسي في الوطن أحبابا

وشرُّ أغربة التفريق من جعلوا
للارتزاق من العمّات أسبابا
باسم الديانة ردُّوا جمعكم فرقا
والدين جاء لصدع الشمل رءابا
سَعَوْا يبتئون روح الخلف بينكم
ليُدركوا منكم بالخلف أرابا
قد أعربت لكم عن سوء نيّتهم
لو تفتننون مساعي القوم إعرابا
إن يُعجب السعي منهم بينكم نفرا
رماكم بهم « التاميز » إعجابا^(١)
فإن سعيهم المشؤوم أغضب من
أبناء عدنان كل الصيّد إغصابا
قد حاولوا فيكم تنفيذ مكرهم
باسم الديانة خدّاعين خلّابا
إن انطلت يا لقومي منهم حيل
عليكم فالبثوا في الذلّ أحقابا
يا أحبط الله مسعى معشر فتحو
عليكم من مميت الخلف أبوابا

(١) التاميز: نهر في بلاد الإنجليز.

وأوهموكم بأن الدين يلزمكم
أن تدخلوهن أحاداً وأسراباً
حتام يضحك منا الخلف من شحدوا
لأكلنا من بني «التاميز» أنيابا
بنا سينشب أنياب العدو - كما
نخشى - تفرقنا إن دام إنشايها
فلتنف وحدتنا المثلى تفرقنا
ولنمسي في الوطن المحبوب أحبابا
ولنتبع ما به الدين الصحيح قضى
ولنعتزل من ذوي العِمات أنصبا^(١)

(١) الأنصاب: الأوثان والأصنام التي كانت تنصب وتعبد من دون الله.

السباب سلاح العاجزين^(١)

أَرْضَى وَأَغْضَبَ تَصْرِيحُ الْمَقَالِ كَمَا
تَقْضِي الصَّرَاحَةُ إِرْضَاءً وَإِغْضَابًا
أَمَّا الْمُحِقُّونَ عَمَّا قَدْ حَوَى فَرَضُوا
وَأَوْسَعُوا رَبَّهُ حَمْدًا وَإِعْجَابًا
وَالْآخَرُونَ عَلَيْهِ أَنْزَلُوا سَخَطًا
هَذَا لِأَنَّ أَخَاهُ فِيهِ مَا حَابَى
نَافِقٌ وَدَاهِنٌ وَإِلَّا لَمْ تَلِجْ أَبَدًا
إِلَى السَّلَامَةِ مِنْ إِيْذَانِهِمْ بَابًا
خَلَّ الصَّرَاحَةُ أَوْ لَا فَانْتَصِبْ هَدَفًا
لِنَبْلِهِمْ لَا يَرَى فِي الرَّمْيِ إِغْضَابًا^(٢)
وَيُلْمُّهَا أُمَّةٌ تَلْقَاكَ مُعْرِبَةً
عَنْ بُغْضِهَا الْوَطَنِيَّ الْحُرَّ إِعْرَابًا
مَا ذَنْبُهُ عِنْدَهَا إِلَّا صَرَاحَتُهُ
فِيَمَا يَقُولُ وَإِنْ لَمْ يَغْدُ كَذَابًا
أَوْقَفْتُمُوهُ عَلَى جَمْرِ الْأَذَى سَفَهًا
لَمَّا انْبَرَى لَانْصِدَاعِ الشَّعْبِ رَّأبًا^(٣)

(١) قالها بمناسبة مقال نشره الأستاذ أحمد الصراف يلوم فيه بعض المسؤولين على تقصيرهم في حق

صقر الشبيب وذلك في إحدى الصحف العراقية، فأحدث ضجة لما فيه من الصراحة.

(٢) أغب: جاء يوماً وترك يوماً.

شَنَّ الْمَغَارَ عَلَى الْعَادَاتِ فَاسِدَةً
 وَاجْتَنَّتْ مِنْهِنَّ أَوْتَادًا وَأُطْنَابَا
 بَنَسَ الْجَزَاءَ تَلْقَى مِنْكُمْ رَجُلٌ
 فِي نَصْحِكُمْ لَمْ يَزَلْ إِنْ غَابَ أَوْ أَبَا
 جَدَّدْتُمْ مَا «سَنِمَّارٌ» جَنَّتْ يَدُهُ
 إِذْ أَغْرَبَتْ فِي ابْتِنَاءِ الْقَصْرِ إِغْرَابَا^(١)
 أَرَاكُمْ مَا جَزَى «النُّعْمَانُ» عَامِلُهُ
 إِنِّي أَرَى صُنْعَهُ أَضْحَى لَكُمْ دَابَا^(٢)
 أَصْنَعَ «نُّعْمَانٌ» أَحْبَبْتُمْ مَغَبَّتَهُ
 حَتَّى انْتَنِيتُمْ لَهُ فِي الصَّنْعِ أَضْرَابَا
 نَقَمْتُمْ مِنْ أَخِي الْإِصْلَاحِ صِيحَّتَهُ
 بِكُمْ لِيُوقِظَ أَفْكَارًا وَأَلْبَابَا
 طَابَ الْمَنَامُ لَكُمْ عَنْ كُلِّ مُوَصِّلَةٍ
 إِلَى الْعُلَا وَلَهُ الْإِيقَاطُ قَدْ طَابَا
 فَجَاءَ يُوقِظُكُمْ مِنْهُ مَخَافَةٌ أَنْ
 يُنْسِيَكُمْ النَّوْمَ أَخْلَاقًا وَأَدَابَا
 فَقَمِمْتُمْ وَالْكَرَى غَاشَ عَقُولَكُمْ
 لَهُ تُحْدِثُونَ أَظْفَارًا وَأَنْيَابَا
 تَمَهَّلُوا رِيثَمَا تَسْتَيْقِظُوا تَضَعُوا
 مَكَانَ سُخْطِكُمْ حُبًّا وَإِعْتَابَا
 أَقُولُ وَالْحَزَنُ يُذَكِّي النَّارَ فِي كَبْدِي
 لِلْحَاسِمِينَ مِنَ الْأَدَابِ أَسْبَابَا

(١) سنمار: الذي بنى قصرًا لأحد الملوك وهو النعمان بن المنذر فكافاه بأن ألقاه من فوقه فقتله.

(٢) دابا: دأبا، عادة.

لِتُكَبِّرُوا عِلْمَهُ أَنْ تُلْحِقَ قُوهُ أَدَى
أَوْ تُكْسِبُوهُ فَظِيْعَ السَّبِّ إِكْسَابَا
رُدُّوهُ إِنْ زَلَّ بِالْحَسَنِ فَذَاكَ فَتَى
مَذْكَانَ نَعْرِفُهُ لَلْحَقِّ طَلَّابَا
هَلَّا نَقَلْتُمْ إِلَى النِّقْدِ الشَّرِيفِ خُطَى
نَزِيهَةً وَوَلَجْتُمْ مِنْهُ أَبْوَابَا
فَذَاكَ أَدْنَى إِلَى النِّفْعِ الْمُؤْمَلِ مِنْ
أَنْ تَرْكَبُوا السَّبَّ أَكْوَارًا وَأَقْتَابَا
إِنَّ السَّبَّابَ سِلَاحُ الْعَاجِزِينَ فَمَنْ
يَسْتَلُّ مِنْهُ حَسَامًا فِي الْوَعَى خَابَا
سَلُّوا الْجَبَانَ إِذَا مَا رَاحَ يَحْمَلُهُ
هَلْ اقْتَنَى مِنْهُ إِلَّا الذَّمَّ وَالْعَابَا^(١)

(١) العَابُ: الْعَيْبُ.

خير من تخيرت^(١)

على غير صافي الهوى ما انطويت
وطوعَ سوى أمره ما جرّيت
وأنتَ ولا شكَّ عندي كذا
ك وإن كنتَ أوهمتَ أني جنيت
وإن غيّبَ الوهمُ عنك الصواب
فعمّا قليلٍ أراك ارعويت
فما للودادِ غداً بائنًا
على أسٍّ شكوى عليه بنيت
توهمَ ما يتّقي فاشتكى
إليّ كما اليوم مني اشتكيت
وقال أرى أحمدًا قد أتى
سوى كلّ ما كنتُ منه اشتهيت
فقلتُ التسرّعُ ضدَّ الصواب
فخلَّ التسرّعُ فيما رأيت
ظننتُ فخفتُ وكم أخطأتُ
ظنونٌ جنى غرسها كان لئيت
لعمراً أخي أحمدٍ ما نوى
من الأمر ما تتّقي أو نويت

(١) كان الأستاذ أحمد البشر من أخلص أصدقاء الشاعر، وقد حصل بينه وبين الشاعر جدل فحمل الشاعر فيه على صديقه أحمد مما جعل الصديق ينقطع عن زيارته. فقال هذه القصيدة يعاتبه.

وإني مُرِيكَ وشيْكَاً جَلِيَّ
حَقِيقَةً مَا كُنْتَ فِيهِ امْتَرَيْتَ
سَأْطُلِعُ فَجَرَ عِتَابٍ يُزِيلُ
دُجَى لَيْلٍ ظَنَّ بِهِ قَدْ سَرَيْتَ
فَقَالَ الْعِتَابُ إِذَا سَيُّعِيدُ
بِهِ الْيَوْمَ حَيَّ شَكُوكِي كَمَيْتَ
فَقُلْتُ أَجَلٌ فَالْعِتَابُ الْمَحْكُ
لِمَنْ أُبْتَلِي فِي الْوَرَى وَابْتَلَيْتَ
فَقَالَ الْعِتَابُ يَسِيرُ فُسْمُهُ
صَدِيقَكَ حَتَّى أَقُولَ اكْتَفَيْتَ
فَقُلْتُ سَأَفْعَلُ حَتَّى تَقُولَ
صَدَقْتَ وَنَعَمْ الصَّفِيَّ اصْطَفَيْتَ
فَإِنِّي مِنْ قَالِبِهِ نَازِلُ
بَحْثُ أَرْدْتُ وَحَيْثُ ارْتَضَيْتَ
فَعَاتِبْتُ لَا أَبْتَغِي غَيْرَ ذَاكَ
فَأَوْهَمْتُ أَمْرًا سَوَى مَا ابْتَغَيْتَ
أَهْجُوا أَسْوَمُ أَخَا بَسْوَى
سُلَاقَةَ أَخْلَاقِهِ مَا انْتَشَيْتَ
وَإِنْ شَنْتُ رَاحَةَ نَفْسِي عَمَدْتُ
إِلَى رَاحِ أَدَابِهِ فَاحْتَسَيْتَ
أَسْمَاءَ ظَنَنْتُ كَوُوسَ الْعِتَابِ
وَلَيْسَ بِهَا مِنْهُ إِلَّا الْكُومَيْتُ
أَسَاءَتِ الظَّنُّونَ إِلَى أَنْ نَسَبْتَ
لِلْفُظَى مَعْنَى لَهُ مَا عَنَيْتَ

وما كنتُ أحسبُ أنْ تَسْتَرِيبَ
ولو بمَرِيبِ المَقَالِ أَتَيْتَ
لأنك تَعْلَمُ أَنِّي أَمْرُؤُ
لصَحْبِي وَإِنْ غَدَرُوا بِي وَفَيْتَ
وَأَنْتَ لِعَمْرِي مِنْ خَيْرِ مَنْ
تَخَيَّرْتُ مِنْ مَعْشَرِي وَانْتَقَيْتَ
لِي الْوَيْلُ مِنْ سَوْءِ حَظِّ قَضَى
عَلَيَّ بِذَنْبٍ لَهُ مَا جَنَيْتَ
إِذَا سَاءَ بِي الظَّنُّ مِنْ صَفَوْتِي
فَهَلْ يَحْسُنُ الظَّنُّ مِمَّنْ قَلَيْتَ
وَهَبْنِي عَثَرْتُ بِعُضْرٍ طَرِيقِ
عَلَيْهِ إِلَى خَيْرِ شَأٍ سَعَيْتَ
أَلَيْسَ إِذَا وَاجَبِي أَنْ تَقُولَ
لَعَّا لَكَ حَتَّى تَرَانِي اسْتَوَيْتَ^(١)
وَمَنْ ذَا إِذَا مَا عَثَرْتُ يُقِيلُ
عِثَارِي وَيُنْهَضُنِي فِي الْكُوَيْتِ
سَوَى مَنْ بِهِمْ يَعْتَلِي وَاعْتَلَى
مَنْ الشَّعْرُ أَوْ طِينِهَا كُلُّ بَيْتِ
إِذَا عَزَّنِي غَيْرُ حَوْضِ اللَّئَامِ
فَلَا كُنْتُ إِنْ كُنْتُ مِنْهُ اسْتَقَيْتَ
وَكَيْفَ اغْتَبَطِي بِرِيٍّ إِذَا
تَذَكَّرْتُ أَنِّي مِنْهُ ارْتَوَيْتَ
أَلَمْ تَرْنِي حِينَ غَاضَ الْكَرَامُ
وَفَاضَ اللَّئَامُ بِبَيْتِي انْزَوَيْتَ

(١) لَعَّا لك: دعاء يقصد منه طلب إزالة آثار العثار.

فبعداً ل طول حياة بها
أراني بهم من حمامي احتَمَيْتُ
فليس تُساوي الحياة امتناناً
لئام بلادٍ إليها انتَمَيْتُ
فلم أرَ أشنعَ من لؤمهم
وألذعَ من نارهٍ ما اصطَلَيْتُ
إذا قلتُ ذا يستحقُّ الندى
وبرهنتُ كي لا يقولوا افتَرَيْتُ
أجابوا ألم تَدْرِ من أمره
بما هو كَيْتٌ - اعتلالاً - وكَيْتُ
وقالوا كما يقتضي لؤمهم
به عكس ما كنتُ منه دَرَيْتُ
لكيما يُجيزَ لهم شُحُّهم
على من لحالته قد رُئِيَتْ
فمن رَفَدِهِمْ زُورُهُمْ نَائِبُ
ودعني وجَرَّبْتُ جَدُّ ما ادَّعَيْتُ
وهل بسوى الشوكِ من عَوْسِجٍ
تؤوبُ إذا جئتهُ واجتَنَيْتُ
فحالُ مساكينهم بينهم
فُؤِيقُ مناياهم أو تُحَايَتْ
فلو عَجَّلَ اللهُ عدلَ الجزاءِ
أحيطوا بنارٍ وجيدوا بِرَيْتُ
ولكنهم أمهلوا فاستطابوا
خبِيثَ غوايتهم، لا غَوَيْتُ
ولم يَفْرِقُوا بين إِمهالهم
وإهمالهم فابكهم إن بكَيْتُ

أَهَبْتُ إِلَى الرُّشْدِ جَهْرًا بِهِمْ
فَلَمْ يَسْمَعُونِي حَتَّى وَهَيْتُ
فَغَادَرْتُهُمْ وَقَفَيْنِ عَلَى
شَفَا هُوَّةٍ تَلْتِظِي وَانْتَنَيْتُ
فَلَوْ كُنْتَ شَاهِدَتْهُمْ وَقَفَيْنِ
هَنَّاكَ هَزَأَتْ بِهِمْ وَازْدَرَيْتُ
فَأَصْبَحْتَ مِنْ فَرْطِ تَغْرِيرِهِمْ
بِأَنْفُسِهِمْ عَجَبًا قَدْ قَضَيْتُ
وَصِحْتُ بِمَا شَارَفُوا قَائِلًا
عَنِ الْقَوْمِ يَا هَوْلُ كَيْفَ اخْتَفَيْتُ
وَمَنْ سَدَّ عَيْنِي حِجَاهُ الْهَوَى
فَهِيهَاتَ أَنْ يَجْتَلِي مَا اجْتَلَيْتُ
فِيَا يُسْرُ إِنْ كُنْتَ بِي صَانِعًا
كَذَا، فَإِلَى مَنْزِلِي لَا اهْتَدَيْتُ
فَمَا خَيْرُ يُسْرٍ أُرَانِي بِهِ
ظَلَمْتُ كَمَا ظَلَمُوا وَاعْتَدَيْتُ
تَبَارَكْتَ مُمְهِلَ أُمَثَالِهِمْ
عَلَى سَوْءِ أَعْمَالِهِمْ وَاعْتَلَيْتُ
شَكْوَتُ إِلَى بَعْضِهِمْ غِرَّةً
زَمَانًا حَدَا بِي إِلَى مَا اجْتَوَيْتُ
فَلَمَّا تَبَيَّنَتْ لَهُمْ رُحْتُ مِنْ
شَكَاتِي لَهُمْ شَاكِيًا وَاعْتَدَيْتُ
وَلَوْلَا اغْتِرَارِي بِهِمْ لَمْ أَكُنْ
إِلَيْهِمْ بِشَكْوَى الزَّمَانِ انْبَرَيْتُ

العزلة

عَرَّتَنِي وَحِشَّةٌ مِنْ كُلِّ حُرٍّ
وَعَبْدٍ فِي الْبَرِيَّةِ فَاَنْفَرْتُ
فَخَالِطُ مَنْ تَشَاءُ وَلَا تَلُمْنِي
فَإِنِّي عَنْ مَلَامَتِكَ ابْتَعَدْتُ
فَإِنْ تَسْعَدُ بِمَجْتَمَعِ الْبَرَايَا
فَإِنِّي بَانْفِرَادِي قَدْ سَعِدْتُ

إلى محتكر الجنة

إن كان لا يَظْفَرُ بِالْجَنَّةِ
إلا امرؤٌ مثلكَ ذو جِنَّةٍ
ممن يَصُوبُونَ عَطَايَاهُمْ
بِجَيْبِكَ الْفَارِغِ ذِي الْفُسْحَةِ
والنارِ يَصْلَى جَمْرَهَا مِنْ غَدَا
به انحرافُ عنك بِالْمِنْحَةِ
فليس في الجنة لي رَغْبَةٌ
فأعط من شئتَ بها حِصَّتِي
وما سوى النارِ التي تَلْتَظِي
- إن لم تكن فيها معي - مُنْيَتِي

****□

ذكري كريم^(١)

ما تذكرتُ سالمًا قطُّ إلا
وتجارتُ لذكره عَبراتي
عاصياتٍ تجلُّدي طائعاتٍ
لي شجونًا كالنار ملتهبات
ذاك ما تقتضيه ذكري كريمٍ
قد أطابت حياثه لي حياتي
شئتُ أو لم أشأُ كذاك سَأبقى
حَسْبَ ظنِّي المصيبِ حتى مماتي
ما عجيبٌ عليه طولُ بُكائي
واشتعالي بِمُلْتَظي الزُّفَرَاتِ
بل عجيبٌ أن لا تُذِيبَ وتُبلي
مهجتي بعد سالمٍ حَسَراتي
كنتُ في موطني الكويتِ بنارٍ
أصطليها في سائر الأوقات
فاستحالت بِبِرِّهِ المتوالي
مثل ما أشتهي إلى جَنّات

(١) كان المرحوم الشيخ سالم المبارك الصباح محباً للشاعر وينعم عليه كثيراً. وكان الشاعر يتذكر إنعامه كلما مسته أزمة وهذه القصيدة قالها في إحدى أزماته.

ثم لما قضى استحالت شُجُونًا
كاوياتٍ حَشَايَ بل محْرِقاتِ
فعليه أزكى التحية مني
ومن الله أوفرُ الرَّحَمَاتِ

****□

الحريثني على تاريخ الكويت^(١)

كَسَا عَبْدُ الْعَزِيزِ الشَّهْمُ أَضْفَى
ثِيَابَ الْفَخْرِ مَوْطَنَهُ الْكُوَيْتَا
بَبَتْ نَفِيسَ رُوحِ الْعِلْمِ فِيهَا
وَإِحْيَاءَ الْحِجَاءِ وَكَانَ مَيْتَا
فَمَرَحَى لَابِنِ أَحْمَدَ إِذَا أَعَادَتْ
مَسَامِعِهِ مُجَآئِنَا سُكَيْتَا^(٢)
فَحَلَبَةُ كُلِّ فَضْلٍ مِنْ تُجَارِي
بَهَا يَا نَجْلَ أَحْمَدَ قَدْ شَأَيْتَا^(٣)
سَرَيْتَ وَنَحْنُ فِي لَيْلِ التَّوَانِي
نِيَامٌ لِلْعُلُومِ وَمَا وَنَيْتَا
فَأَجْنَاكَ السُّرَى أَحْلَى جَنَاهُ
وَأَطْيَبَهُ كَمَا مِنْهُ اشْتَهَيْتَا
فَأَصْبَحْنَا نَقُولُ وَقَدْ رَأَيْنَا
جَنَى غَرْسِ الْمُتَاعِبِ إِذَا سَرَيْتَا
لَوْ أَنَّا، لَيْتَنَّا، لَوْلَا، وَهَاتَا
تَقُولُ هَوَازْنًا هِيَهَاتَ هَيْتَا

(١) قالها مقرظاً كتاب «تاريخ الكويت» الذي ألفه فضيلة صديقه الأستاذ الشيخ عبدالعزيز الرشيد.

(٢) السكيت: آخر خيل الحلبة. والمجلي: أولها.

(٣) شأي: سبق

لِكُلِّ مُؤَرِّخٍ فَخْضٌ إِذَا مَا
 سَعَى يَا ابْنَ الرُّشَيْدِ كَمَا سَعَيْتَا
 أَلَمْ تَجْلُ الْحَقَائِقَ نَاصِعَاتٍ
 سَوَافِرَ مُنْهَسِيًا لَوًّا وَلَيْتَا
 وَإِبْدَاءَ الْحَقَائِقِ كُلِّ حُرٍّ
 بِهِ شَوْقٌ إِلَيْهِ كَمَا رَأَيْتَا
 فَتَارِيخُ الْكُوَيْتِ الْحُرِّ يُثْنِي
 بِهِ خَيْرًا عَلَيْكَ وَإِنْ أَبَيْتَا
 بَنَيْتَ عَلَى الْحَقَائِقِ مِنْهُ أُسًّا
 فَمَا نَخْشَى تَدَاعِي مَا بَنَيْتَا
 وَأَجْنَبَيْتَ الْأَلَى نَظَرُوا إِلَيْهِ
 بِإِنْعَامٍ أَطَايِبَ مَا جَنَيْتَا
 وَأَجَرَيْتَ الصَّرَاحَةَ فِيهِ صِرْفًا
 وَلَمْ تَمْزِجْ سُلَافَتَهَا الْكُمَيْتَا
 كَأَنِّي بِالَّذِي يَتْلُوهُ جَهْرًا
 يَقُولُ لِمَنْ وَعَاهُ هَلِ انْتَشَيْتَا
 لِيَسْتَقُطَّ كُلُّ تَارِيخٍ إِذَا لَمْ
 يَكُنْ مَجْرَى ذَوِيهِ كَمَا جَرَيْتَا
 فَلَا شُلَّتْ يَمِينُ مِنْكَ خَطُّتُ
 نَفَائِسَ مَا جَمَعْتَ وَمَا وَعَيْتَا
 وَلَا حَظَمْتَ لَكَ الدُّنْيَا يِرَاعًا
 بِهِ عَنْ كُلِّ سَفْسَفَةٍ نَأَيْتَا
 وَلَا تُلَّتْ مِنَ الْعُلِيَاءِ عَرْشًا
 عَلَيْهِ مَذْهَبَاتُكَ اسْتَوَيْتَا

فأنت أجَلُّنا نُصْحًا ونفعًا
لمن لا تجتبي ومن اجتَبَيْتَا
وأطوَلُّنا وأصفانا إذا ما
دَجَا خطبُ ذبالاتٍ وزَيْتَا
على القِدْحِ المُعَلَّى في المعالي
وكلُّ مؤثِّلِ المجدِ احتَوَيْتَا
فأَيُّ سَنَامٍ مكرمةٍ تعالتُ
وأنتِ على ذُرَاهُ ما اعتَلَيْتَا؟
كُمِلْتَ فَلَسْتُ أَسْأَلُ فَيْكَ رَبِّي
سوى إِسْهَابِ عمرك لا رَدِيتَا
فإن حَيَاتَكَ المُمَثِّلَى حَيَاةً
لأوطانٍ رَقَّتْ بكِ إِذْ رَقَّيْتَا

من عاداتي وشيمي

أرى خيرَ ساعاتِ السرِّ ساعةً
يكون بها حولي صديقٌ أحادثُه
يبيتُ كلانا سرُّه لصديقه
بغير احتشامٍ أو حبيبٍ أعابته
وإن لم يكن هذا ولا ذاك حاصلاً
فسفرٌ جليلُ النفع تشفي مباحته
فذلك رِيحاني وراحي وراحتي
وداعي سروري حين آسى وباعته
فيا قاصدي بالخُبِّ ما أنا بالذي
يُخابثُ فاقصِدْ في الورى من تُخابثه
فوقتي بكُتبي والحبيب وإخوتي
له شغلٌ عن ردِّ ما أنت نافيته
من الجهلِ إنفاقي من الوقتِ لحظةً
بِنَبْثي ثرى أمثالِ ما أنت نابيته
على أنني والحمد لله لم يَلُثْ
قميصي على غيرِ الفضيلةِ لائته^(١)
وبرهانُ فضلي أنني عنك معرضٌ
وقلبك في أمري به عاثَ عائته

(١) لائته: لفته وعصبه.

أَخَذْتُ عَلَى نَفْسِي أَكِيدَ عَهْدِيهَا
لَصَفَحِي عَنِ الْجَانِي وَمَا أَنَا نَاكِتُهُ
وَأَقْسَمْتُ أَنِّي لَا أَكَافِيءُ حَاسِدًا
عَلَى حَسَدٍ وَالْحَلْفُ غَيْرِي حَانِتُهُ
وَمَا رَأَتْ فِي عَوْنِي عَلَى دَفْعِ مُحْزَنٍ
إِذَا اسْطَظَعْتُ عَنْ قَلْبِ امْرِئٍ قَطُّ رَائِتُهُ
وَمَا زِلْتُ مُسْطِيعًا لِحَصْدِي مَا بِهِ
مِنَ الشُّوْكِ مَا يُؤْذِي الَّذِي هُوَ حَارِتُهُ
وَلَمْ أُسْتَطِعْ صَرْفَ الْأَذَى عَنْ حَشَا امْرِئٍ
تَوَلَّتْ حَشَاهُ فِي سَكُوتِي فَوَارِتُهُ^(١)
فَلَا يَنْتَظِرُ مِنِّي الْإِجَابَةَ شَاتِمٌ
وَلَوْ أَنَّهُ كَالدَّهْرِ جَمَّتْ حَوَادِثُهُ
بِشَيْءٍ سِوَى حُسْنِ الْمَقَالِ وَإِنَهُ
لَطَبِعُ أَبِي قَبْلِي وَإِنِّي لَوَارِتُهُ
وَإِنْ لَمْ أَجِدْهُ شَافِيًا قَلْبَ كَاشِحِي
فَإِنِّي طَوِيلُ الصَّمْتِ رَاعِيهِ مَاكِتُهُ
وَهَلْ يُتَحَفُّ الْمَسْكُ الْأَنْوَفُ بِغَيْرِ مَا
يَطِيبُ إِذَا مَا ثَنَّتْهُ يَوْمًا مَوَائِتُهُ^(٢)
إِذَا اسْتَوَعَرَ الْإِنْسَانُ أَخْلَاقَ صَاحِبِ
تَوَلَّتْ خَلِيلِي فِي خَلَاقِي دِمَائِتُهُ^(٣)
وَمَا حُلْتُ عَنْ خِدْنِ أَمَالَتْ يَسَارَهُ
إِلَى فَاقِدٍ مِنْ ذَا الزَّمَانِ كَوَارِتُهُ

(١) فرث كبده: ضربها وهو حي.

(٢) ماث الشيء في الماء يميته: أذابه.

فَقَدْ عَلِمَ الْأَخْذَانُ أَنِّي وَفِيَهُمْ
 وَأَنْ وَدَادِي دَائِمُ الْعَهْدِ لَا بَيْتُهُ
 وَأَنِّي لَا يَخْشَى الْعَدُوُّ بَوَادِرِي
 إِذَا انْحَصَّ عَنْ رِيَشِ الْعَدُوِّ أَثَائَتُهُ^(١)
 فَمَنْ سَوْءٍ قَمْعِي لِلْعَدُوِّ أَمَانُهُ
 وَمَنْ حُسْنِ صُنْعِي لِلصَّدِيقِ مَفَاوِئُهُ
 وَإِنِّي عَلَى مَا بِي مِنَ اللَّيْنِ لَا الَّذِي
 تُصَبُّ عَلَى رَأْسِ الظُّلُومِ هَنَابَتُهُ^(٢)
 وَإِنِّي فِي ذَبِّي عَنْ الْحَقِّ تَنْثَنِي
 أَجَادِلُ ظَلَمَ عَنْهُ وَهِيَ أَبَاغَتُهُ^(٣)
 وَمَنْ لَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَ حَقٍّ وَغَاصِبٍ
 فَلَا لَمَّ فِي الدَّارَيْنِ مِنْهُ مَشَاعِئُهُ
 وَيَا نَاقِدِي إِنْ لَمْ أَخَفْ بِطُشِ ظَالِمٍ
 بِفَيْكَ عَلَى النِّقْدِ النِّقِيدِ كَثَاكَتُهُ^(٤)
 أُلْحِجُّ عَنْ فَكِّي لَذِي الضَّعْفِ حَقَّهُ
 إِذَا قَيَّدَتْهُ مِنْ ظُلُومٍ رَوَابِئُهُ^(٥)
 إِذَا لَا تَمَادَتْ بِي مِنَ الْعَيْشِ فَسْحَةٌ
 وَلَا أَمَهَلْتَنِي فِي حِمَامِي حَثَاكَتُهُ^(٦)
 وَإِنِّي عَلَى بَوْئِي مَتَى أَلْقَ بَائِسًا

(١) انحص الشعر: سقط. والأثاء: جمع أثيث وهو الملفف الكثير.

(٢) الهنابت: الدواهي.

(٣) الأبغت: جمعه أباغث طائر من طيور الماء، وهنا يريد طيراً أصفر من الرخم بطيء الطيران.

(٤) الكثكث: التراب، وجمعه كثاكث.

(٥) الروابت: الموانع.

(٦) الحثاكت: السراع.

- فَفَلْسِي لِكَيْسِي كَالْعَدُوِّ يُمَاغِتُهُ^(٧)
وَيُطْرِبُنِي شُكْرُ الضَّعِيفِ أُعَيْنُهُ
عَلَى أَمْرِهِ لَا مِزْهَرَ وَمَثَالَتُهُ^(١)
وَمَا طَابَ لِي يَوْمًا مِنَ الزَّادِ طَعْمُهُ
وَذُو رَحْمٍ لِي ضَامِرُ الْبَطْنِ غَارَتُهُ^(٢)
فِيَا طَاعِمًا وَالْجُوعَ يَشْكُو قَرِيبُهُ
أَمَاتَكَ مِنْ دَاءِ السَّرَاحِينِ ضَابِتُهُ^(٣)
وَمَا خَيْرُ مَحْيَا مُسْهَلٍ وَحَمِيمُهُ
تَهَادَاهُ مِنْ نَهْجِ الْحَيَاةِ أَوَاعِتُهُ^(٤)
وَلَا رَوَيْتُ نَفْسُ الَّذِي الْمَاءُ عِنْدَهُ
إِذَا لَمْ يَرِدْهُ جَاهِدُ الْوُجْهِ لَاهِتُهُ^(٥)
وَإِنِّي لَذُو عِرْضٍ بَعِيدٍ مِنَ الَّذِي
يَسْبُ صِلَالُ السَّبِّ وَهِيَ بَرَاغِتُهُ^(٦)
وَيَا رَبِّمَا أَذَاهُ فِي مَقَالُهُ
مُدَى التَّيْسِ فِي التُّرْبِ الَّذِي هُوَ بَاحِتُهُ^(٧)

-
- (١) المزهر: آلة من آلات الطرب. والمتالث: مفردا المتلث وهو ثالث أوتار العود.
(٢) غارت: جاع.
(٣) السراحين: الذئاب. والضابت: القابض قبضاً شديداً.
(٤) الأواعث: الطرق العسرة.
(٥) لاحه العطش أو السفر لوحا: غيره.
(٦) الصلال: الحيات. السبُّ الثوب، وقد شبه براغيثه بالحيات، كناية عن شدة لسعها.
(٧) يشير إلى المثل كالباحث عن حتفه بظلفه، وذلك أن شاة أو ثوراً كان يراد ذبحه، وحفر بظلفه فظهرت مديّة.

لن يعيث^(١)

لكلّ سهامٍ موجعةٍ فؤادي
أراه في الكويتِ غداً نَجِثًا
إلى كمٍ أَسْتَجِيرُ ولا مَجِيرُ
وكمِ ذا أَسْتَفِيثُ ولا مُغِيثًا
كأنّي بينكم ذئبٌ خبيثُ
وكلُّ يكره الذئبَ الخبيثًا
فإن يُغْضِبْكُمْ نُصْحي فإني
بِسَيِّري في النصيحة لن أريثًا
سأبقى مثلَ ما أني قديمًا
بحبل الصبرِ معتصمٌ، حديثًا
حَثِيئًا سَيَّرُ نُصْحَكُمْ إليكم
فسيروا بالأذية لي حثيثًا
فإني أرتجي لكم انتباهًا
ولو حبلُ الرِّجاءِ أمسى رَثِيثًا
ثِقُوا أن الأذى منكم بصبري
عليكم حين أنصح لن يعيثًا
إلى أن أطمئنَّ بِنُجْحِ سعيي
وأُجْنِيَكُمْ جَنَى غرسي أثيثًا^(٢)

(١) قالها يرد بها على من كانوا يحاربونه في دعوته إلى التقدم.

سَأَنْزِلُ فِي قُلُوبِكُمْ مَكَانًا
إِذَا انْجَابَ الْكَرَى عَنْكُمْ دَمِيثًا^(١)
وَلَوْ أَسْمَعْتُمُونِي الْيَوْمَ قَوْلًا
جَرِيرًا قَبْلُ أَسْمَعَهُ الْبَعِيثَا^(٢)
فَرُبَّ نَصِيحٍ أَقْوَامٍ شَتِيمٍ
أَصَارُوهُ لِحَمْدِهِمْ وَرَيْثَا^(٣)

(١) دميث: لين.

(٢) البعيث: شاعر كان بينه وبين جرير هجاء.

(٣) الشقيم: الشديد الخلق مع قبح الوجه.

حَالَهُمْ أَدهى وَأَبْرَحَ

دَعْتَنِي حَاجَاتِي إِلَى مَدَحِ مَعْشَرِ
فَجِئْتُ إِلَيْهِمْ طَوْعَ حَاجِي أَمْدَحُ
فَكُنْتُ كَأَنِّي مِنْ عُبُوسِ وَجُوهِهِمْ
تُجَاهَ مَدِيحِي جِئْتُ أَهْجُو وَأَقْدَحُ
يَخَافُونَ إِرْفَادِي لِأَن نَفُوسَهُمْ
بِهِنَّ إِلَى إِمْسَاكِهَا الطَّبْعُ يَجْنَحُ
وإن خِيبُونِي أَشْفَقُوا مِنْ قِصَائِدِ
تُثِيرُ كَمِينَاتِ الْعُيُوبِ وَتَفْضَحُ
فَمَا بَيْنَ إِرْفَادِي وَمَنْعِي حَالَهُمْ
مَنْ الْمَنْعُ وَالْإِرْفَادُ أَدهى وَأَبْرَحُ
عَلَى أَنَّنِي مَا زِلْتُ - مَذْكَرْتُ - قَالِيَا
مَنْ الشَّعْرُ مَا الْأَعْرَاضُ تَخْشَاهُ يَجْرَحُ
وَلَكِنْ مَرِيبُ الْقَوْمِ يُرِيدُهُ خِيفَةٌ
تَظَنِّيهِ حَيْثُ الْأَمْنُ يُمَسِّي وَيُصْبِحُ
فِيَا لَيْتَ أَنَّ اللَّهَ مَا كَانَ مُحْجُوجِي
إِلَى غَيْرِهِ مِمَّنْ يَشْتَعُ وَيَسْمَحُ

****□

أمع الحياة سعادة؟

ما كنتُ أغبِطُ مذ أُربِتُ سوى الذي
ما كان قَطُّ ولن يكون مدى الأبدِ
أما الألى كانوا فلستُ بغابطٍ
منهم على شيءٍ يفوزُ به أحد
من كان ليس بمستحقٍّ غبطةً
حتى وإن قال الورى عنه سُعد
أمع الحياة سعادة؟ لا والذي
جعل الحياة لأهلها أمَّ النكدِ
ولدت حياتي مع شقائي كلِّ ما
أبلى عليها الصبرَ مني والجلدِ
فإذا جزعتُ فكلُّ نفسٍ لم تكن
إلا لتَجزُعَ حين تُقَرَّنُ بالجسدِ
ما إن تَرثُ مصائبِي في محبِسِي
إلا أتت أخرى لتخلفها جَدَدٌ^(١)
يا قدرةً سَجَنَتْ بجسمي روحه
ضاق الخناقُ على السجين المضطهدِ
إن لم تَفُكِّي الروحَ من جُثمانيه
فتداركي منزورَ صبري بالممددِ
أرجوك لا أرجو سواك فأنعمي
عجلى عليَّ بما ترين من الرشدِ

(١) الجدد، بفتحتين: القاسية الصلبة.

ثَقُلُ الحَيَاةُ ضَعُفْتُ عَنْ حَمَلِي لَهُ
ضَعْفًا بِهِ لِي الشَّيْبُ أَعْدَلُ مِنْ شَهِدِ
قَدْ أَدْنَى عِبَاءِ الحَيَاةِ وَمَنْ رَأَى
عِبَاءَ الحَيَاةِ لَذي مَشْيِبٍ لَمْ يَوُدَّ^(١)
وَ رَحِمْنَا لِلشَّيْبِ مِنْنا إِنْهُمْ
مَنْ حَمَلَ أَعْبَاءَ الحَيَاةِ لَفِي كَمَدِ
طَوْبِي لِمَنْ حَظَّتْهُ عَنْهُ يَدُ الرَّدَى
إِنْ لَمْ يُرَدَّ إِلَيْهِ أُخْرَى أَوْ يَعُدَّ
فَضْلُ المَنِيَّةِ غَيْرُ مَنْكُورٍ عَلَى
ذِي شَيْبَةٍ وَجَدَ الحَيَاةَ كَمَا أَجِدُ
مُذْ شِخْتُ لَمْ أَحْمَدْ حَيَاتِي سَاعَةً
فَسَلُّوا سِوَايَ مِنَ المَشَايِخِ هَلْ حَمَدَ
لَوْ كُنْتُ أَحْسَدُ مَا رَمَيْتُ - سِوَى أَمْرِي
قَدْ شَابَ شَيْبِي يَوْمَ يَرْدِي - بِالحَسَدِ
هَذَا عَلَى جَهْلِي بِمَا نَلْقَاهُ مِنْ
بَعْدِ الرَّدَى مِمَّا هُنَاكَ لَنَا يُعَدُّ
يَصْبُو إِلَى مَجْهُولِ أَمْرِيهِ الَّذِي
مَعْلُومُ أَمْرِيهِ لَهُ جِدًّا جَهْدُ
وَالْمَرَّةِ ذُو أَمَلٍ يَبْشُرُهُ إِذَا
سَاعَتُهُ حَالَتْهُ بِأُخْرَى تَسْتَجِدُّ
وَكَذَا مَدَى المَحْيَا إِلَى اليَوْمِ الَّذِي
مَا كَانَ مِنْ مَحْيَاةٍ مَشْفُوعًا بِغَدِ
فَإِذَا انْتَهَتْ دُنْيَاهُ بِشَّرِّهِ بِمَا
تُخْفِيهِ أُخْرَاهُ لَهُ مِمَّا يَوَدُّ

(١) أَدْنَى: أَثْقَلَنِي.

فتراهُ من آماله مهما قَسَتْ
 حالٌ عليه يُحسُّ أنه مُطْرَدٌ
 ما إن أتى ألمٌ لقلبٍ جارحٍ
 إلا أتى أملٌ فدأوى أو ضَمَدَ
 فلذا أرى آمالنا معدودةً
 من رحمة الله التي ليست تُحَدُ
 وكذا أرى الآلام في إيقاظِها
 من عن تَعَرُّفٍ لطفٍ خالقٍ رَقَدَ
 فجميعُ آمالي وآلامي إذا
 نِعَمٌ تشابهَ خيرُها حتى اتَّحَدَ
 ولعلَّ مَشَقايَ الملحَّ أتى جزا
 فعلي وقولي الحائِدينِ عن السَّدَدِ^(١)
 كم مرةٍ قارفتُ ذنبًا قاصداً
 وجزاءُ ذنبِ المرءِ مُشَقٌّ إن قُصِدَ
 وعسى المعجَّلُ من جزائي مُنْقِذِي
 مما يؤجِّلُهُ لي العَدْلُ الصَّمَدُ
 أخشى عدالتَهُ وأما فضلهُ
 فإلى سوى تأمِيلِهِ لا أَسْتَنِدُ
 لو لم أؤمِّلُ فضلهُ لتطايَرتُ
 لخافتي من عدلهِ نفسي بَدَدِ^(٢)
 يا أيها العمر الذي أنفقتُهُ
 فيما تَبَيَّنَ زيفُهُ لما نُقِدَ

(١) السدد: الاستقامة والصواب.

لم يبق لي إلا تذكُّرُ ما مضى
متندِّماً فسرِّ الهوينى واتُّدِّد
فعسى طويلَ ندامتي يقضي على
سودِ الذنوب وجمعِهِنَّ المحتشِد
يا ليت أني كنتُ أنقُذُ كلَّ ما
قد كنتُ آتِيه وعَمري ما نَفَد
أو حين آذَنَ بالنَّفادِ أخذتُ في
إصلاح ما أسلفته مما فسَد
يا ربِّ فاعفُ فليس لي إلا إلى
تأميلِ عفوك عن ذنوبي من مَرَدٍ
يا مَنْ يؤمِّلُ عفوه الجاني وإن
فاتت لكثرتها الجناياتُ العَدَد
خوفُ الحسابِ على ذنوبي هَدَنِي
وعليك في التَّأمينِ منه المعتمد
وَحَزُّ الضميرِ - ولستُ مَنْ يقوى على
وَحَزَاتِهِ - أوهى القوى مني وهَد
قاسيتُ في محيائي منه شِدَّةً
وأخاف بعد الموت أن ألقى أشَدَّ
يا أيها القبرُ الذي أنا وافدُ
حتمًا عليه ككلِّ مَنْ قبلي وفَد
ماذا أعدَّته القبورُ؟ أراحَةً
أم ضِدَّها أم بَيْنَ بَيْنٍ لمن وَرَد
قل لي وأفصحْ إنني مستخبرُ
عن ذي الأمورِ مَذِ اكتهلتُ فلم أُفَد

فَعَسَى جَوَابَكَ أَنْ يُبَرِّدَ غُلَّةً
كَانَتْ وَلَمْ تَبْرَحْ بِقَلْبِي تَتَّقِدُ
هِيَهَاتَ مَا أَرْجُوهُ مِنْكَ وَكُلُّ ذِي
مَحْيَا، جُمُودَكَ عَنْ جَوَابِي قَدْ جَمَدَ
وَلَأَنْتَ أَعْدَرُ مَنْ سَأَلْتُ فَلَمْ يُجِرْ
يَوْمًا جَوَابًا مَقْنَعًا فِي ذَا الصَّدَدِ
مَنْ قَامَ يَطْلُبُ مَا اسْتَحَالَ مَنَالُهُ
شَرَوَى قِيَامِي يَائِسًا مِنْهُ قَعَدَ
لَمْ أَدْرِ مَا تَحْوِي الْقُبُورُ لَنَا إِذَا
مَا صَخَرُهَا يَوْمًا عَلَيْنَا قَدْ نُضِدُ
أَمَّا ظُلُوهَا فَهِنَّ مَظَاهِرُ
مَا مِزْنَ مِنَّا مَهْمَلًا مِنْ مُسْتَعِدِّ
وَوَرَاءَهَا مَا لَيْسَ يَعْلَمُ كُنْهَهُ
مَنْ جَدَّ فِي التَّنْقِيبِ عَنْهَا وَاجْتَهَدَ
سُبْحَانَ مَنْ حَجَبَ الْخَلَائِقَ كُلَّهَا
عَنْ عِلْمِهِ بِهِ تَوْحِيدَ وَانْفِرَدَ

يا فهد القوافي^(١)

لو كنتُ مِمَّنْ في طبيعته الحَسَدُ
لحَسَدْتُ دُونَ النَّاسِ شَاعِرْنَا فَهَدُ
فَقَرِيضُهُ السَّامِي الْمَحَلُّ مِنْبَهُ
مَا كَانَ مِنْ حَسَدٍ بِنَفْسٍ قَدْ رَقَدُ
لَكِنْ بَرَانِي اللَّهَ خَلَوِ الْقَلْبُ مِنْ
حَسَدٍ بِهِ مَحْيَا ذَوِيهِ قَدْ فَسَدُ
فَلِذَاكَ أَغْبِطُهُ وَلَمْ أَحْسِدْ وَمَنْ
غَبَطَ الْمَبْرُزَ لَيْسَ يَعْذِلُهُ أَحَدُ
جَرَتْ الْقَوَافِي مِنْهُ فِي خَلْدِي كَمَا
يَجْرِي لِذِيذِ الْبَرِّ فِي مُضْنِي الْجَسَدِ
أَوْ مِثْلَ مَا يَجْرِي زَلَالٌ بَارِدُ
مَتَدَارِكًا أَحْشَاءَ حَرَّانِ الْكَبِدِ
زَامِلْتُهُ ظُلْمًا بِدَعْوَايَ الَّتِي
إِنْ يَرْضَاهَا أَصْبَحَ بِهَا مِمَّنْ سَعِدُ
مَتَخَيَّلًا أَنِّي لَهُ فِي نَظْمِهِ
مَا رَاقَنِي مِنْ مُحْكَمَاتِ الشُّعْرِ نِدُ
وَلَكُمُ حَسْبُ الزُّورِ يَأْتِينِي بِهِ
مُلْهِي التَّخْيِيلِ أَنَّهُ حَقٌّ وَجِدُ

(١) بعث بها إلى الشاعر المرحوم فهد العسكر.

فإذا انتبهتُ ثنى انتباهي كلَّ ما
 نَظَمْتُهُ من خيرٍ يَدَاهُ لي بَدَدُ^(١)
 وأعودُ بعدُ مَصْدُقًا من وحيه
 أن سر نفسي كلُّ زورٍ يَسْتَجِدُ
 ولَقَدْ ما كَشَفْتُ خيالي الكَرَى
 لي يقظةٌ فكَرَّايَ هذا مُطَرِدُ
 فإذا ادَّعيتُ حقوقَ غيري في الوري
 فعلى تَخَيُّلي انتقادُ المنتَقِدِ
 فتخيُّلي ما زال يدفعُني إلى
 دعوى أمورٍ ليس لي فيهنَّ يَدُ
 وعلى ادَّعائي قد أرى لي عاذراً
 شَرَّواهُ إن جَارَ ادَّعائي أو قَصَدُ
 فلقد يَلْذُّ لي ادَّعائي رتبهً
 غيري بها قد خُصَّ دوني وانفَرَدُ
 وإذا تُخَيَّلَ جَرُّ دعوى لأمري
 فيها مَسَرَّتُهُ فعنها لم يَحِدُ
 إني أَعُدُّ خيالَ كُنْهٍ سَرْنِي
 من نعمة الله التي ليست تُحَدُ
 وتخيُّلي نَيَّلي نفيسَ الأمرِ إن
 أخطأتُ منه الكُنْهَ لي حَظُّ يُعَدُ
 ولطالما أدنى تَخَيُّلُ نعمةٍ
 من غبطةٍ قلبٍ أمري عنها ابْتَعَدُ
 وحقائقُ الدنيا خيالاتٌ إذا
 ما جال فيها الفكرُ عفواً أو جَهَدُ

(١) البدد: الفرق.

هَنَّاكَ يَا فِهْدُ القَوَافِي وَاثْبَا
من مَقُولٍ لَكَ مَا تَخْطَاهُ السَّدَدُ
فِيهِنَّ تَفْتَخِرُ الكَوَيْتُ مَقِلَّةً
منهنَّ تَاجًا فَوْقَ هَامَتِهَا انْعَقَدُ
فَبِغُرِّ آدَابِ ابْنِهِ إِن لَّمْ يَنْلُ
فَخِرًا فَمَاذَا يُكْسِبُ الْفَخْرَ الْبِلَدُ
مَا رَمَتْ أَنْ أَوْفِيكَ حَقًّا مُطَرِّيًا
إِلَّا وَعَمَّا رَمَتْ بِي عَجْزِي قَعَدُ
فَالِيكَ جُهْدٌ مَقْصُرٌ لَمْ يَرْضَهُ
لَكَ لَوْ لَأَنْفَسَ مِنْهُ حُسْنًا قَدْ وَجَدُ
وَكَفَى عَلَى صَدَقِ الْوَدَادِ وَصْفُوهُ
جُهْدُ الْمَقْصُرِ شَاهِدًا مَهْمَا شَهِدُ

عليك بإحدى الحسنين

أتركني ما بين يأسِي والرُّجا
ومن أحدِ الخدَّينِ عندَكَ لي بُدٌّ
وكلُّ بناءٍ شادَهُ لي معقلاً
جميلُ اصطباري بين هذينِ يَنْهَدُ
عليك بإحدى الحُسْنَيْنِ مبادراً
كما تقتضي منك النجابةُ والمجدُ
فإن تعذِرْ فاعذرْ يلقى قبولُهُ
لديَّ وإن تُسَعِفْ فمِنِّي لك الحمدُ

****□

زحام

ما في الصُّفَاةِ لذي عَمَّى
مثلي أمورٌ تُحْمَدُ
كم مرةٍ قد ضَمَّني
فيها زحامٌ أنْكَدُ
كادت به عن جُأَّتِي
نفسي العزيزة تُفْقَدُ

****□

لا تؤذوا الصريح

إذا نَجَمَ الصَّريحُ بِأَرْضِ قُومِي
فإنَّ جِزَاءَهُ مِنْهُمْ نَادٍ^(١)
أروني في الكُوَيْتِ فَتًى تَجَلَّتْ
نِصَائِحُهُ كَمَا يُوحِي الْفُؤَادُ
فلم نُلْحِقْهُ جَهْلًا مَا يُخَلِّي
مَحَاجِرَهُ يُحَالِفُهَا السُّهَادُ

****□

(١) النَّادِ والنَّادِي: الداهية. ونجم: ظهر وطلع.

الأعمال لا الأقوال^(١)

أُـرْفَعُ رَأْسَهُ الْعَرَبِيُّ يَوْمًا
إِذَا امْتَلَكْتَ فَلَسْطِينَ الْيَهُودُ
وَهَلْ عُذْرٌ لَهُ إِنْ لَمْ تَجِدْهُ
بَأْغْلَى مَا لَدَيْهِ لَهَا يَجُودُ
وَرَاءَ الْخَطْبِ هَذَا أَيُّ خَطْبٍ
تُصَانُ لَهُ النُّفُوسُ أَوْ النُّقُودُ
أَبْعَدَ الْيَوْمِ يَوْمٌ فِيهِ تَزْكُو
لِبَازِلِهَا مِنَ الْعَرَبِ الْجُودُ
بَنِي الْعَرَبِ الْأَلَى مَا عُدَّ مِنْهُمْ
فَتَى عَنْ نَصْرِ مَعْشَرِهِ يَحِيدُ
أَمَّا كَانُوا وَيَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ
إِذَا حُمَّ الْعِيدُ رَكْنٌ شَدِيدُ
أَمَّا أَدَى تَعَاوُنُهُمْ إِلَى مَا
يَعْمَلُهُمْ بِهِ الْعَيْشُ الرَّغِيدُ
وَلَوْ لَمْ نَفْتَرِقْ مِنْ بَعْدِ جَهْلًا
لَمَا عُذْنَا وَسَاءَ لَنَا مَسُودُ
نُجِدُّ مَدَحَهُمْ وَالْمَدْحُ عَارُ
عَلَيْنَا - لَو تَأَمَّلْنَا - عَتِيدُ

(١) نُشِرَتْ فِي السَّجَلِ الْأَغْرَ ١٧ شَوَّالِ ١٣٥٦ (الْجُمُعَةُ) ١٤ كَانُونِ الْأَوَّلِ ١٩٣٧ الْعِدَدُ ٧٧ وَتَكْمَلَتْهَا فِي الْعِدَدِ

فَلِمَ نَطْرِي الْجُدودَ عَلَى عُلَاهِم
ولم نَفْعَلْ كَمَا فَعَلَ الْجُدود
فإِمَّا أَنْ نَكُونَ قَدْ افْتَرَيْنَا
إِذَا رَحْنَا بِذِكْرِهِمْ نُشِيد
فَلِمَ يَخْضَرُّ مَنْ شَرَفٍ وَمَجْدٍ
لَهُمْ مَا بَيْنَ أَهْلِ الْأَرْضِ عُدود
وَلَا كَانُوا وَقَائِدُ كُلِّ شَعْبٍ
جَنِيبٌ خَلْفَ قَائِدِهِمْ مَقُود
وَلَا خَفَقَتْ لَهُمْ فِي كُلِّ أَرْضٍ
بَغِيرٍ مَجْرِدِ الدَّعْوَى بُنُود^(١)
وَلَا كَانُوا مِنَ الْإِقْدَامِ قِدَمًا
بَحِيثٌ تَهَابُهُمْ حَتَّى الْأَسُود
وَلَا كَادَتْ عُدَاتُهُمْ - إِذَا مَا
أَتَاهَا أَنَّهُمْ غَضِبُوا - تَبِيد
وَلَا كَانُوا زَمَانَ الْجَدْبِ سُحْبًا
عَلَى الْعَافِي بِمَا يُغْنِي تَعُود
وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ بَنِي سِوَاهُمْ
وَحَذُّوْهُ الْجَدَّ يَحْذُوهُ الْحَفِيد
إِذَا انْتَسَبَتْ إِلَى أَصْلِ فُرُوعٍ
فَأَخْلَاقُ الْفُرُوعِ هِيَ الشُّهُود
أَمِنْ أَخْلَاقٍ يَعْزُبُ - إِنْ دَعَا تَهُ
إِلَى الْجُلَى مَعَاشِرُهُ - الصُّدُود^(٢)

(١) البنود: الأعلام.

(٢) الجلى: الأمر الشديد والخطب العظيم.

ومن أخلاقه شجُّ عليهم
 بما يحويه أم ذبُّ وجود
 فلو كُنَّا بنيه أبصرتنا
 فلسطين نواسي أو نذود
 أعرب من بنيه عرب يومي
 لعمرك أبيك ذا شيء بعيد
 وظنني أنه لو شقَّ عنه
 ليشهد ما أتيناها - الصَّعيد
 لقال إليكم عني إليكم
 فليس لكم إلى نسبي صُعود
 وزاد فقال ما فيكم - وهذا
 - صنيعكم - لإنسان وليد
 فإن نمت القُرود شكول ناس
 فعرب اليوم ناموها القُرود
 أقول مقالتي هذي وإنني
 لعرب اليوم في الدعوى نديد
 فلو صدق ادعائي متُّ مما
 روى لي عن فلسطين البريد
 أحاديث لها تنشق من
 لهم رويت قلوب أو كُبود
 فمن إخواننا فيها قتيل
 ومن إخواننا عنها طريد
 وآخر منهم في السجن كادت
 على ساقيه أن تأتي القيود

وما جَبُنْتُ فِلَسْطِينَ وَلَكِنْ
عَلَيْهَا لَعِدَا كَثُرَ الْجُنُودُ
«تَكَاثَرَتِ الظُّبَاءُ عَلَى خِرَاشٍ
فَمَا يَدْرِي خِرَاشٌ مَا يَصِيدُ»
وَهَا هِيَ تَسْتَعِينُ بِنَا فَحَتَّى
مَتَى عَنْ أَنْ نُعِينَ بِنَا جُمُودُ
إِذَا مَا نَحْنُ لَمْ نُسْعِفْ ذَوِينَا
وَيُؤَفِّعُ عَدِيدَهُمْ مَنَا عَدِيدُ
فَنَعْضُدُ صَيْدَهُمْ مَنَا بِصِيدِ
تُدِيلُ مِنَ الطُّغَاةِ وَتُسْتَقِيدُ
فَلَيْسَ الْعُجْمُ تُعْذَلُ إِنْ تَرَاحَتْ
بَنَجَدَتْهَا وَلَا تُلْحَى الْهُنُودُ
فَإِنْ مَتَّوَا بِدِينِهِمْ إِلَيْهِمْ
وَنِعَمَ الرِّابِطُ الدِّينُ الْفَرِيدُ
فَفِي مَا بَيْنَنَا لَغَةٌ وَدِينُ
وَفِي مَا بَيْنَنَا النَّسَبُ الْأَكِيدُ
وَهَلْ أَسُّ لَجَامِعَةِ الْبِرَايَا
سَوَى هَاتَا وَسَقْفُ أَوْ عَمُودُ^(١)
مَلُوكَ الْعُرَبِ إِنْ الْأَمْرَ جَدُّ
وَإِنَّ اللَّهَ مَطَّلَعَ شَهِيدُ
سَيَسْأَلُ - وَهُوَ أَعْلَمُ - مَا صَنَعْتُمْ
لَمَنْ شَيْطَانُ ظَالِمِهِمْ مَرِيدُ

(١) كان البيت في المجلة التي نشرته:

وهاتا أس ما جمع البرايا وألف والسقيفة والعمود
ولكن وجدته في كراساته مضروباً عليه ومغيراً إلى ما أثبتته (الرومي).

فَهَلْ لَّاهِ عِنْدَكُمْ جَوَابٌ
 لِّصَّرْفِ عَذَابِهِ كَافٍ مَفِيدٌ
 أَفَكَّرْتُمْ مَلُوكَ الْعُرْبِ فَيَمَّا
 يَخْفَفُ عَنْ ذَوِيكُمْ مَا يَوُودُ^(١)
 أَقَارِبُكُمْ يُعَاثُ بِهِمْ فَسَادًا
 وَأَنْتُمْ عَنْ مَعُونَتِهِمْ قُعُودٌ
 فَكَمْ عَانَتْ فِلَسْطِينَ خَطُوبًا
 يَشِيْبُ مِنَ الصَّبِيِّ لَهْنٌ فُودٌ
 وَلَيْسَ لِدَائِهَا هَذَا دَوَاءٌ
 إِذَا مَا طَاشَ رَأْيُكُمْ السَّدِيدُ
 وَلَيْسَ الرَّأْيُ إِلَّا أَنْ تَقْوَمُوا
 فَإِنْ قَمِئْتُمْ فَأَمْرُكُمْ رَشِيدٌ
 فَلَمْ يُعْوَزْكُمْ مَالٌ وَجُنْدٌ
 بِمِثْلِهَا لَكُمْ تُورَى الزُّنُودُ
 فَإِنْ شَعُوبَكُمْ أَجْنَادُ صِدْقٍ
 وَظِلُّ الْمَالِ فَوْقَكُمْ مَدِيدٌ
 وَإِنْ عَاقَتْ قِيَامَكُمْ أُمُورٌ
 فَمَصْدَرُ كُلِّهَا أَنْ لَا تُرِيدُوا
 وَأَمَّا صَرْفُ قَوْلِكُمْ فَمِنْهُ
 عَلَى الْإِخْفَاقِ أَضْجَرْنَا الرُّدِيدُ
 فَكَمْ كَلِمٍ بَذَرْتُمْ مِنْهُ بَذْرًا
 فَمَا أَحْلَوْلَى لَنَا مِنْهُ الْحَصِيدُ
 فَعَدُّوا عَنْ مَجَرِّ كُلِّ قَوْلٍ
 فَمَا سَعِدَتْ لِإِلْزِمِهِ الْجُدُودُ^(٢)

(١) يَوُود: يَنْقُل.

أَمُنْتُ بِتُّ مِنَ الطُّغْيَانِ يَوْمًا
بِحَدِّ مَجَرَّدِ الْقَوْلِ الْوَرِيدِ
أَجُبُّنَا عَنْ مَصَادِمَةِ الْأَعَادِي
وَمَا بَرِحَتْ مَظَالِمُهُمْ تَزِيدُ
أَلَمْ يَدْرِ الَّذِي يَخْشَى الْمَنَايَا
مِنَ الْجُبْنَاءِ أَنْ عَزَّ الْخُلُودُ
وَأَنَّ بَيُوتَ مَنْ ذَلُّوا وَهَانُوا
بِرَغْمِ أَنْيَقِ مَحْيَاهُمْ لُحُودُ
وَأَنَّ الْمَوْتَ فِي طُرُقٍ تَوْدِي
إِلَى قَمْعِ الطُّغْيَانِ وَمَا تَكِيدُ
هُوَ الْعَيْشُ الَّذِي اكْتَنَفَتْ ذَوِيهِ
جَنَّاتِ الْخُلْدِ وَالذِّكْرِ الْحَمِيدِ
أَنْجَبُنْ عَنْ جِهَادِ خُصُومِ سَوْءٍ
مُجَاهِدُهُمْ شَهِيدٌ أَوْ سَاعِيدُ
وَقَدْ أُجْرُوا فِظَائِعَ لَوْدَرْتِهَا
دِرَايَتِنَا الْجِبَالُ غَدَتِ تَمِيدُ
نُحَوِّقُ كُلَّمَا قَالُوا ذُؤُوكُمْ
تَفَشَّى فِيهِمُ الْجَهْدُ الْجَهِيدُ^(١)
وَنَأْبَى أَنْ نَقُومَ لَهُمْ بِأَمْرٍ
يَقُومُ بِمِثْلِهِ الْبَشَرُ الْمَجِيدُ
لَمَّاذَا أَطْلَقَ الْأَفْوَاهَ مِنَّنَا
وَلَمْ يُطْلَقْ سِوَا عِدْنَا الرُّكُودُ
أَفِي يَوْمِ الْوَعَى تُغْنِي سَيُوفُ
تَصِلُ وَلَا تُزَايِلُهَا الْغُمُودُ

(١) نحوقل: نقول لا حول ولا قوة إلا بالله.

إِذَا دَوَّتِ الرُّعُودُ بِغَيْرِ قُطْرٍ
 فَهَلْ تُجْدِي ذَوِي الْمَحَلِّ الرُّعُودُ
 إِذَا مَا الْفَعْلُ لَمْ يَعْضُدْ مَقَالاً
 فَلَا كَانَ النُّثِيرُ وَلَا النُّخِيدُ
 أَقُولُ لِمُدَّعِي وَدِّي إِذَا مَا
 أَرَادَ مَسَاءَتِي الْخَصْمُ الْعَنِيدُ
 مُطِيقَ مَعُونَتِي: إِنْ لَمْ تُعِنِّي
 فَأَنْتَ لَكَاشِحِي لَا لِي وَدُودُ
 وَيَا مَنْ ذَادَنَا عَنْ مَنْهَلَيْهِ
 وَلِي أَمَلٌ بِوَرْدِهِمَا وَطَيْدُ
 وَبِي ظِمًا لِفَرْطِ الْبُخْلِ مِنْهُ
 وَقَدْ طَابَتْ لَهُ مَنِي الْعُهُودُ
 أَتَبْكِي إِنْ أُمْتُ عَطَشًا وَلَوْ لَمْ
 تُحَاسِّنْنِي لِأَحْيَانِي الْوُرُودُ^(١)



وَأَنْتُمْ يَا بَنِي «التَّامِيزِ» قُولُوا
 أَمَا لَشَنِيْعِ ظَلَمَكُمُ حُدُودُ
 نَعَيْتُمْ ظُلْمَ غَيْرِكُمْ عَلَيْهِ
 أَأَظْلَمَ مِنْكُمْ يَحْوِي الْوُجُودُ
 وَعِيبَتُمْ كُلَّ غَدْرٍ ثُمَّ جِئْتُمْ
 بِغَدْرٍ لَمْ يَجِئْ شَرَوَاهُ سَيِّدُ^(٢)
 صَنِيْعُكُمْ تَكْشَفُ عَنْ وَحُوشٍ
 لَهَا صُورُ الْإِنْسَانِي وَالْجُلُودُ

(١) حلاؤه: دفعه عن ورود الماء.

(٢) شرواه: مثله، والسيد: الذئب.

اتَّخَذَ بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ مِنْكُمْ
 مَوَاضِيقَ تَوَكُّدٍ أَوْ وُعُودٍ
 وَأَنْتُمْ أَيُّهَا النُّوَّابُ عَمَّنْ
 أَرَادُوا السَّلَامَ فِي الدُّنْيَا يَسُودُ
 عَلَامَ «الْإِنْكَالَيْنِ» بَغَوْا وَجَارُوا
 وَأَنْتُمْ عَنْ مَفَاسِدِهِمْ رُقُودُ
 أَطَبَّقْتُمْ مَبَادِئَكُمْ عَلَيْهِمْ
 وَصَحَّ الْوَعْدُ مِنْكُمْ وَالْوَعِيدُ
 وَإِلَّا فَالْمَبَادِئُ مَا دَهَاها
 أَبْطَلَهَا لَكُمْ وَضَعُ جَدِيدِ
 أَعْصَبَةِ هَذِهِ الْأُمَمِ انْتِبَاهًا
 فَمِثْلُكَ لَا يَنْسَابُ إِلَيْهِ الْهَجُودُ
 أَنْوَمًا وَالطُّغَاةُ تَحْشُ نَارًا
 لَهَا مَنْ سَامَهُمْ عَدْلًا وَقُودُ^(١)
 أَلَمْ تَتَأَلَّفْ فِي قَبْلِ اخْتِيَارًا
 وَقَمَعَ الْبَغْيَ مَقْصِدُكَ الْوَحِيدُ
 لِيَفْنِيَ الْبَغْيَ أَجْمَعَ لَا عُمُورُ
 تُقْقِئُ لَهُ الْحُرُوبُ وَلَا زُيُودُ
 وَقُولِي لِي أَحْرُ كُلُّ عُضْوٍ
 عَلَيْهِ انْضَمَّ مَبْنَاكَ الْمَشِيدُ
 أَمْ الْأَعْضَاءُ فَيْكٍ - كَمَا اقْتَضَاهُ
 مُشَاعُ الظُّلَمِ - لِلْأَقْوَى عَبِيدُ

*****□

(١) حش النار: أوقدها.

أفي الصحيفة دُر؟^(١)

إن شَجاكم مِنِّي الآنِينُ المَديدُ
فَعذابِي بالفقرِ جِدًّا شَديدُ
كَلِما قَلتُ ذاتَ يَومٍ سَيمُضِي
مَنه عَنِي اشْتِدادُهُ أَوِ يَبيدُ
عَن خَطْبٍ يَقولُ إِنِّي كَفيلُ
أَن سَتَبَلِي يا «صَقْرُ» وَهو جَديدُ
بَعَدَ خَطْبٍ لِنَاجِذِيهِ جُروحُ
فِي فِؤادِي انْدِمَالُهُنَّ بَعِيدُ
فَالخَطوبُ الجَوارِحُ القَلبَ عَندي
كُلَّ يَومٍ عَديدهُنَّ يَزيدُ
فَكأنَّ الخَطوبَ كَن نَعاما
ضِمنَ قَلبِي بَدَا لَهنَّ هَبيدُ^(٢)
وَلو أَنَّ الخَطوبَ أَبَقَيْنَ صَبِرا
لِي إِلَـيْهِ مَن جَـوَرِهِنَّ أَعـودُ
ما شَكوتُ الزَمانَ ما بَينَ مَن هُمُ
لِزَمانِي طَرا عَليَّ جُنودُ
أنا أُدري أَنَّ الشُّكِّيَّةَ مَنها
لستُ إِلَّا شَماتَهُمُ أَسْتَفِيدُ

(١) قالها يجيب بها صديقه الأستاذ الجليل الشيخ عبدالعزيز الرشيد على قصيدة بعث بها إليه.

غَيْرَ أَنَّ الْخُطُوبَ أَفْنَيْنَ صَبْرِي
 أَكَلَاتِ وَالصَّبْرُ نُخْرِي الْوَحِيدُ
 وَإِذَا بَزَّتِ الْخُطُوبُ جَلِيدًا
 نُخْرُهُ اضْطُرَّ لِشُّكَاةِ الْجَالِيدِ
 زَفَرَاتُ الْحَزِينِ مَا تَمَّ مِنْهُ
 نَّ اخْتِيَارًا مِنَ الْحَزِينِ الصَّعُودِ
 جَهْدَتْنِي صُرُوفُ دَهْرِي حَتَّى
 غَيْرَ شَكْوَى صُرُوفِهِ لَا أَجِيدُ
 كُلُّ صَوْتٍ مَا لَمْ يَكُنْ بَأْنَيْنِ
 لَمْ يُجِدْهُ ذُو الْعِلَّةِ الْمَجْهُودُ
 مَا مَقَالِي الْمَحْرُكُ الشَّجْوُ فِي نَفْ
 سِكَ مَنِي انْبِعَاطُهُ مَقْصُودُ
 بَلْ كَثِيرًا مَا كُنْتُ أَهْوَاهُ يَأْتِي
 يُطْرِبُ السَّامِعِينَ مَنِّي النِّشِيدُ
 بَيِّدُ أَنْ الَّذِي يَكْزِفُ مِنَ الشُّعْ
 رِ سُرُورًا يَا أَبَاهُ حُزْنِي الْمَدِيدُ
 وَمَنْ الصَّعْبُ أَنْ يَفْوَهُ بِمَا يَبْ
 عَثُ غَيْرَ الْكَأْبَةِ الْمَفْؤُودِ
 مَا شَجَّتْكَ الْخُنُصَاءُ لَوْلَمْ يُصِيبْهَا
 فِي أَخِيهَا عَادِي الزَّمَانِ الْعَنِيدُ
 بَلْ حَبَا بِالسَّرُورِ - مِنْكَ فَوَّادًا
 أَحْزَنْتُهُ أَنْتَاهَا - التَّغْرِيدُ
 وَبِنَاتُ الْهَدِيلِ لَوْلَمْ يُذِبْهُ
 نَّ حَنِينٌ إِلَى الْهَدِيلِ تَلِيدُ

ما رأيت الغصونَ - مهما يُرجعُ
 من نواحا على الغصون - تميدُ
 لا تُؤملُ لديّ مطربَ شعيرِ
 فإلساني عن قصدهِ مَصْدُودُ
 لم أحاول سوى الشُّكَاةِ فَعَدَى
 عن سبيلي شيطانُ بؤسي المريدِ
 فتراه عن غاييتي دون علمي
 لي نحرَ الشُّكَاةِ منه يُذودُ
 فتراني أشكو وقصدي أني
 لالتهانِي إلى صديقٍ أقُودُ
 فتجيءُ الصديقَ منِّي القوافي
 حاملاتِ شكواي واليومُ عيدُ
 فيُريني منه التطيُّرُ صَدًّا
 خافيًا فيه بِشرُهُ المعهودُ
 فتراني أشكو وقصدي وعُدُ
 للمُوالي أو للمُعادي وعيدُ
 وكذا لا يزالُ عَوْضُ يُلاقي
 غيرَ ما رامَ أو نوى المَحْدودُ^(١)
 فالتمسَ لي سعادةً من إلهي
 حين يحويكَ لِلإلهِ السُّجودُ
 فلعلَّ الدُّعاءَ منك يُنافي
 هِ تمامًا دعائي المَرْدودُ

(١) عوض: ظرف يدل على استغراق المستقبل، ومعناها: أبداً. أما كلمة «قط» فهي لاستغراق الماضي، نقول:
 ما فعلته قط ولا أفعله عوض.

فِيَأْتِي الدُّعَاءُ مِنْكَ قَبُولاً
فَتُرَانِي وَنَحْسُ جَدِّي سُعُود
فَبِحَسْبِي سَوَالُ رَبِّي خَيْرًا
لِي مِمَّنْ سَوَالُهُ الْمَجْهُود
فَلَقَدْ يَفْضُلُ الصَّلَاةَ دُعَاءُ
كُلِّ حِينٍ لِرَفْعِهِ تَجْدِيد
فِي صَلَاةٍ يَذُلُ فِيهَا وَيَعْنُو
- لِلَّذِي صَاغَ شَخْصَهُ - الصَّنْدِيد
فَارْمَ عَبْدَ الْعَزِيزِ بِالسُّؤْلِ فَقَرِي
فَسَوَالُ التَّقِيِّ سَهْمٌ سَدِيد



رُبَّ لَيْلٍ سَهَرْتُ تَحْتَ دُجَاهُ
أَبْدَأُ الْفِكْرَ تَارَةً وَأُعِيد
بَاحِثًا فِيهِ عَنْ طَرِيقِ خُلَاصٍ
مَنْ هَمُومٍ يَشِيبُ مِنْهَا الْوَلِيد
قَدْ هَدَاهَا إِلَى فَوَادِي احتِيَاجِي
كُلُّ مَا دُونَهُ الْحَيَاةُ تَوُود
فِيُؤَلِّي الدُّجَى وَكُلُّ طَرِيقٍ
خَلْتُ فِيهِ الْخُلَاصَ لِي مَسْدُود
فَأُقْضِي النَّهَارَ مَا بَيْنَ كُتُبٍ
أَنَا صَبٌّ بِمَا وَعَدْتُهُ عَمِيد
فَإِذَا اللَّيْلُ عَادَ عُدتُ إِلَى مَا
كُنْتُ فِيهِ وَالنَّاسُ حَوْلِي رُقُود
وَأَخِيرًا رَأَيْتُ أَنْ رَكُوبَ الدَّ
بَحْرٍ فِيهِ لِفَاقَتِي تَشْرِيد

فإذا الْبَحْرُ مَوْتُ مَنْ نُورُ عَيْنَيْهِ
 هـ - شَبِيهِي مِنَ الْوَرَى - مَفْقُود
 فَأَنَا الْيَوْمَ فِي الْكُوَيْتِ أَقَاسِي
 مِنْ شَقَاءٍ مَا لَا يَطِيقُ الْحَدِيدُ
 بَيْنَ مَثَرٍ يَرَى السَّمَاحَةَ عَارًا
 فَهُوَ طَوْعَ الْإِمْسَاكِ عَنْهُ يَحِيدُ
 لَيْسَ يُصْغِي إِلَى شَكَايَ مَهْمَا
 زَارَ سَمْعِيهِ بِالشُّكَاةِ الْقَصِيدُ
 لَا يُلِينُ الْمُقْلُ مِنْهُ بِشَكْوَا
 هُ فَوَادًا بِهِ اسْتَبَدَّ الْجُمُودُ
 وَمُقْلٌ يَوَدُّ إِسْعَادَ مِثْلِي
 فِي الْبَرَايَا لَوْ سَاعَدَتْهُ الْجُدُودُ
 فَلِكُلِّ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ مِنْ بَدْخٍ
 لِي وَبِئْسَ أَنْ يُسْعِدَانِي قُيُودُ



لَسْتُ أَدْرِي أَفْنِي الصَّحِيفَةُ دُرٌّ
 رَفَّهَ لِي عَبْدُ الْعَزِيزِ الرَّشِيدُ
 مُسْتَثِيرًا تَعَجُّبِي إِذَا تَانِي
 وَهُوَ عَقْدٌ - وَلَمْ يُنْقَبْ - نَضِيدُ
 أُمُّ أَمَانٍ قَضَى عَلَيْهِنَّ يَأْسِي
 مِنْ يَسَارِي وَفُرْشُهُنَّ مُهْودُ
 قَدْ تَبَدَّلْنَ بِالْمَمَاتِ حَيَاةً
 فَازْدَهَانِي مِنْهُنَّ عُمُرٌ رَدِيدُ
 أُمُّ زُهُورٍ يَرْقُنَ حُسْنًا وَرِيًّا
 كُلُّ أَنْفٍ وَكُلُّ طَرْفٍ يَرْوِدُ

بل ثناءً أجادَ نسجَ قَوافٍ
 - ضُمَّنَتْهُ - ذاك الصَّنَاعُ المُجِيد
 وبِحَسْبِي معزِّيًّا عن حظوظٍ
 شَفَّ نَفْسِي مِنْهُنَّ عني الصدود
 إن شَرَوِي عبدَ العزیز من الصِّد
 سدِّ بذكري بين الأَنام يُشِيد
 أيُّ هذا المذيعُ بين البرايا
 ذَكَرَ مَنْ مِلَّءَ عيشِهِ التَّنْكِيد
 كيف لَانِ الفؤادُ مِنْكَ بأَرْضٍ
 أنجَبَتْكَ اللَّيْلانُ فِيهَا فَقِيد
 ولَعَدَوِي البلادَ بِالْيُبْسِ وَالْأُ
 - بينَ بنِيها تَغْلُبُ مشهود



أنا ما زلتُ في الكُوَيْتِ أُغْنِي
 كلَّ صوتٍ يَشْجِي به الجُلُود
 وهي تزداد قسوةً فغنائِي
 لشِقائِي تَتَمَّةٌ ومزِيد
 فكأنَّ الكُوَيْتَ ما دمتُ فِيهَا
 قَفْصٌ فِيهِ بِالْبَلِّ غَرِيد
 أَيَأَسْتَنِي من أن تَرِقَّ لِحَالِ
 شابَ مِنْهَا على شَبَابِي الفُود^(١)
 جَهِلْتُ حَقِّي الكُوَيْتُ فلم يُو
 لِ التَّفَاتَا مِنْهَا إِلَيهِ الجِيد

(١) الفود بفتح فسكون: جانب الرأس، وهنا ضم الغاء لضرورة القافية.

وعلى جَهلها المَخيرُ بحَقِّي
تتلظى عليَّ فيها الحُقد
فكأنِّي عمَّا لها من حقوقٍ
طارِدُ طَوْعَ مَطْمَعِي لا طَريدُ
فبها اليوم بين كَيْدٍ وأَيْدٍ
تلتقيني ثَعالبُ وأُسُود^(١)
فنصيبني منها التوقُّعُ للإيدِ
هَذا يومي وليليَّ التسهيدِ
وصَمَّتْني حتَّى بِجَحْدِ إلهٍ
ما تمشَّى له ببالي الجُود
ويقيني - بأنَّ ربِّي مُديلي
من ذوي الظلم - عُدتِّي والعديد^(٢)
فرجائي عَوْنُ الإله عَتادي
إذ عَتَادُ القومِ القُوى والنُّقود
ومفازي في عاجلي إن تواني
فهو في أجلي لديَّ أكيد
أنا لولا الإيمانُ بالله وافى
نارَ مَحياي من هُبُوبي الخُمود
فانتحاري - لولا يقيني - خيرُ
من حياةٍ لا ترتضيها القُرود
كيف يحيا لولا اليقينُ ضَعيفُ
نابذتهُ عُمورها والزُّيود

(١) الأيد: القوة.

(٢) أداله الله من أعدائه: جعل الكرة له عليهم.

لست أدري لِمَ الكُوَيْتُ نَبَتُ بِي
 وَقَرِيضِي تَاجُ لَهَا وَعُقُود
 وَمِنَ الْبِدْعِ أَنَّنِي لستُ أَهْوَى
 صَرْمَهَا وَهِيَ لِلأَدِيبِ تَكِيد
 فَكأنَّ الأَدِيبَ فِيهَا مَقِيمٌ
 حَشَوُ أَطْمَارِهِ النَّزِيهَةَ سَيِّد
 رُبَّمَا سَوَّلَتْ لِي النَّفْسُ مَنًّا
 هَا إِلَى مَا تُقِيمُ فِيهِ الصَّيِّد^(١)
 فَثَنَانِي عَنْ أَنْ أَغَادِرَ أَرْضِي
 عَهْدُ حُبِّ لَهَا لَدِيَّ عَهِيد
 لَا تَسْأَلْنِي أَنَا أَحِبُّ بِلَادًا
 أَسْ تُعَسِّي مُذْ كُنْتُ فِيهَا وَطِيد
 فَجَوَابِي عَلَى سَوَالِكَ لَا الْمَنْدُ
 قُودُ عِنْدِي وَلَا هُوَ الْمَوْعُود
 إِنْ سِرَّ الْغَرَامُ بِالشَّيْءِ مَا كَا
 نَ لَشَمْلِ الْأَسَى بِهِ تَبْدِيد
 وَعَدَا فِيهِ لِلْسُرُورِ حَيَاةٌ
 وَسُرُورِي فِي مَوْطِنِي مَوْعُود
 فَإِذَا بَانَ سِرُّ حُبِّ مُحِبٍّ
 تَيَمَّمَتْهُ تَهَائِمُ أَوْ نُجُود
 فَغَرَامِي بِمَوْطِنِي دُونَ فَهَمِي
 سِرَّهُ حَالٍ مِنْ شَقَائِي سَدُود

(١) الصَّيِّد: جمع أصيد، وهو من يرفع رأسه كبراً، وهنا يريد بالصيِّد العظماء.

با بلاداً فيها الفقيرُ يعاني
ما يعاني في ناره نمرود
ليت فيك الجدود أسعدن أويًا
ليتها فيك ما نمتني الجدود
فالأساس الذي عليه شقائي
قام أني بفاقتي مصفود
فيك والفقير عند أهليك ذنب
ما لسبل اغتفاره تمهيد
فلفقري ظلت فيك كائي
دون جرم طريد جرم شريد

تَسْلِيْ يَا نَفْسُ

كنتُ لو لم أَعْلَلِ النفسَ مِمَّنْ
غَيَّبَتْ مِنْهُمْ الجُسُومَ الأُحُودُ
غيرَ أني أقول للنفسِ ما ضا
قَ عليها خناقُها المشدود
إن هذا الوجودَ يا نفسُ يمحو
هُ سِوَاهُ عَمَّا قَلِيلٍ وَجُود
وزمانُ الوجودِ هذا إلى جَنْدٍ
عَبِ زَمَانِ الوجودِ ذاكَ زَهِيدٍ
فألعلَّ الذي يُلاقِي شِقَاءً
مستمرّاً هُنَا، هناكَ سعيد
فلئن كنتَ في دُنَاكَ قَعُوداً
مثقلاً بالشقاءِ مِنْهُ القُتُود
طاوياً مِنْ دُنَاهُ بِالْعِبءِ مَا لَمْ
تَنْأَ مِنْهُ عَلَى الطَّوَاةِ الحُدُود
فمن العدلِ بَعْدَ طَيِّ مَدَاهُ
يحملُ التُّقْلَ أَنْ يُرَاحَ القَعُود
وعلى عَدْلٍ مِنْ كَمَا شَاءَ كُنَّا
كلُّ شَيْءٍ كَمَا عَلِمْتَ شَهِيد
فإذا ما رَأَيْتَ مَقْصُودَ نَعْمَا
تَوَالِي عَلَيْهِ مِنْهَا وَفُود

ثم أبصرتَ حولَ ذاك مُقِلًّا
قد عَدَاهُ فِي الدَّهْرِ عَيْشُ رَغِيدٍ
فَشَبَّيْهَانِ بَائِسٌ وَغَنِيٌّ
فِي وَجُودِهِ اسْتِحَالُ الْخُلُودِ
ثم لم يعلمِ المقيّمون فيه
أَقْصِيرُ مَقَامُهُمْ أَمْ مَدِيدُ
وَهَبِيهِ يَطْوُلُ فَالطَّوْلُ مِنْهُ
عَنْ ثَمَانِينَ غَالِبًا لَا يَزِيدُ
وَهِيَ تَمْضِي كَمَا اسْتَمَرَّتْ أَوْ اسْتَحْدُ
لَتَ خَيَالًا تَخَيَّلَتْهُ الرُّقُودُ
فَإِذَا مَا انْقَضَتْ تَسَاوَى النَّقِيضَا
نِ سَعِيدُ الْحِظْوِظِ وَالْمُنْكَودُ
بَلْ تَرِينَ الْفَقِيرَ أَحْسَنَ حَالًا
حِينَ يَغْدُو بِالنَّفْسِ كُلُّ يَجُودِ
ذَاكَ أَنَّ الْفَقِيرَ يَنْحَلُّ عَنْهُ
قَيْدُ حُزْنٍ بِقَلْبِهِ مَعْقُودُ
وَحَالِيفُ الثَّرَاءِ يَنْجَابُ عَنْهُ
ظِلُّ أُنْسٍ مِنْ فُتُوقِهِ مَمْدُودُ
وَهَبِي أَنْ ذَلِكَ الرَّأْيَ مَنِّي
فِي التَّسَلِّيِ يَنَالُهُ التَّفْنِيدُ
أَيْنَالُ التَّفْنِيدُ أَنْ يَتَسَاوَى
فِي التَّرَابِ الْمَحْدُودُ وَالْمَجْدُودُ
إِنَّ هَذِي الْقُبُورَ فِيهَا مَلُوكُ
سَبَقُونَا إِلَى الْبِلَى وَعَبِيدُ
فَتَسَلِّيْ يَا نَفْسُ أَوْ فَأَرِينِي
مَا بِهِ فَاتِ عَبْدُهُ الْمَعْبُودُ

واسألِي الدودَ والبلى ما استباحا
 منهم، يخبرِ البلى والدودُ
 استباحا تفاوتَ القومِ حتى
 لا سِمَاتُ لَهُمْ ولا تحديد
 فالورى في قبورهم ليس فيهم
 حاسدٌ مِيزَةً ولا محسود
 لو تَقَرَّى الماضين فكرةً مُنْزِرِ
 يَزدهيه ثراؤُهُ المحشود
 فهو طوع الغرور يملكُ عِطْفَيْ
 له اختيالاً - إذا مشى - التَّأويد
 فكأنَّ الفتى لَفَرطِ التَّباهي
 في حُلَاهَا اختالت فتاةٌ رُودُ
 لأدبِ التواضعِ الدهرُ من كِبِ
 رِلوجه الغنى به تَسويد
 إنَّ كلَّ الذين بالمال غُرُوا
 غافلٌ عن ماله أو بليد
 كيف يمشي فوق الصعيد اختيالاً
 مشيةً يجتويه منها الصَّعيد
 من دَرى أن جسمَهُ من طعامِ
 للصَّعيد المُمْلِهُ^(١) مَعْدود
 أيُّ هذا المُدِلُّ بالمال مهلاً
 إنَّ أمَّ المَنونِ بَعْدُ وَلود
 وهي حبلى يكاد يحبوا إليها

(١) المُمْلِهُ: الذي يقله. أي يحمله.

فِي ذَرَاكَ الْمَخَاضُ وَالتَّوَلِيدُ
 فَإِذَا مَا أَتَتْ وَحْتَمًّا سَتَأْتِي
 بِوَلِيدٍ بِهِ الْبِشَائِرُ سُودٌ
 مِنْ نَعِيِّ بِهِ يُسَرُّ الْمُعَادِي
 وَنُوحٍ بِهِ يُسَاءُ الْوُدُودُ
 بَزْمُكَ الْبِشِيرُ بِشِرَاهُ قَسْرًا
 وَهِيَ مِمَّا أَتَاهَكَ التَّجْرِيدُ
 لَا تُعَالِجُ بِالْمَالِ كَسْرَ فُؤَادٍ
 مِنْ فَقِيرٍ فَمَا لِمَالِ عَهْدٍ
 وَهَبِ الْمَوْتَ قَدْ تَأَنَّكَ حِينًا
 حَاصِدًا أَيُّهَا الْهَشِيمُ الْحَصِيدُ
 فَلِيَا لِيكَ شِيمَتَاهَا قِيَامُ
 بِالْفَتَى تَارَةً وَأُخْرَى قُعُودُ
 وَتَأْمَلُ فَإِنْ أَحْوَالَ مِنْ حَوْ
 لَكَ طُرًّا لِقَوْلَتِي تَأْيِيدُ
 فَلَنْ كَانَ وَرْدُكَ الْيَوْمَ رِفْهًا
 كُلُّ حَوْضٍ عَنْهُ الْفَقِيرُ مَذُودُ
 فَلَقَدْ تَطَرَّقُ الْعَوَادِي بِمَا يَنْدُ
 بَبْتُ فِيهِ مِمَّا تَرْوَحُ الْوَرِيدُ
 فَإِذَا بِالْحِيَاضِ مِنْهَا يُوَاتِي
 مَاضِي الْفَقْرِ كَيْفَ شَاءَ الْوُرُودُ
 وَإِذَا بِالصَّدِي الْمَلِحِ تَلَطَّى
 مِنْ حَدِيثِ الْإِمْلَاقِ مِنْهُ وَقُودُ
 كَمْ رَأَيْنَا مِنْ بَيْتٍ يُسَرُّ مِنْعٍ
 ظِلُّ مَا ظَلَّ وَهُوَ عَالٍ مَشِيدُ
 سَاكِنُوهُ لَمْ يَشْكُكُهُمْ مِنْذُ حَلَّوْا

جَانِبَ بَيْتِهِ مِنْ رِيحِ أَنْسٍ رُكُودٍ
 كُلُّ شَيْءٍ مِمَّا يُجِجُ سُرُورًا
 وَارْتِيَا حَافِي سَاحَتَيْهِ عَتِيدٍ
 ثُمَّ لَمَّا طَغَى ذَوُّهُ وَتَاهُوا
 خَرَّ مِنْهُ الذُّرَى وَخَانَ الْعَمُودُ
 فَإِذَا الْبَيْتُ عَبْرَةُ الدَّهْرِ يَشْفِي
 وَاعْظًا مِنْهُ رَكْنُهُ الْمَهْدُودُ
 وَكَأَنِّي مِنْ صِفْرِ كَفٍّ تَأْتِي
 عَنْهُ حِينَ مَا يَشْتَهِي وَيُرِيدُ
 مَرَحَيْنَ لَهُ وَلَمْ تَرَفِي كَ
 فَقَيْتُهُ مِمَّا بِهِ يُعَاشُ زُنُودُ
 كُلُّ زَنْدٍ يُورِي بِكَفٍّ سَوَاهُ
 هُوَ فِي رَاحَتَيْهِ كَابٍ صُلُودُ
 كَابِدَ الْعُرْيِ وَالْمَجَاعَةَ حَتَّى
 مُنْزِيَتَاهُ عِبَاءَةٌ وَتُرِيدُ
 كُلَّمَا اللَّيْلُ جَنَّ جَنَّ طَوَاهُ
 صَائِحًا مَا لَمْ صَاحِبَتْ هُجُودُ
 وَإِذَا مَا غَدَا غَدَا يُسْمِعُ الصُّ
 مَّ قُلُوبًا قَمِيصُهُ الْمَقْدُودُ
 ثُمَّ لَمَّا أَنْ أَوْشَكَ الْيَأْسُ يَمْضِي
 حَكْمُهُ فِي رَجَائِهِ وَيَسُودُ
 أَدْرَكَتْهُ مَغِيثَةٌ رَحْمَةٌ أَلَدُ
 لَهُ فَأَضْحَى يَخْضَرُّ مِنْهُ الْعُودُ
 فَرَأَى يَابِسَ الْمَعِيشَةِ رَطْبًا
 وَذَمِيمَ الْحَيَاةِ وَهُوَ حَمِيدُ

****□

(١) ظاهره: عاونه.

(٢) قد: قطع.

(٣) عز: قل حتى لا يكاد يوجد.

أُوحِدَ الظُّبَاءَ

يَرُوعُ فُؤَادِي بِالْجَفَا مِنْ أُوْدُهُ
إِذَا لَمْ يَرُعْ مِنْهُ فُؤَادِي بُعْدُهُ
وَيُعِدُّ حَبِيبَ النَّفْسِ يَقْتُلُ وَحْدَهُ
فَكَيْفَ إِذَا مَا ظَاهَرَ الْبُعْدَ صَدُّهُ^(١)
فَمَا سَلَّ سَيْفًا صَارِمًا مِنْ صَدُودِهِ
فَكَانَ سِوَى قَلْبِي الْمَعَذَّبِ غَمْدُهُ
وَلَا شَحَذَتْ أَيْدِي تَنَائِيهِ صَارِمًا
فَقَدْ سِوَى أَحْشَاءِ صَبْرِي حَدُّهُ^(٢)
وَمَنْ كَانَ بِالطَّبِيبِ النَّفْثُورِ غَرَامُهُ
فَأَتَعَسَّ جَدُّ فِي الْبَرِيَّةِ جَدُّهُ
تَلَوْتُ بِعَيْنَيَّ مَسْمَعِي صُورَةَ الْبَهَا
بَلْ فَظَلَّ لَهُ مِنْهُ تَكُونُ عِقْدُهُ
فَأَمَنْ قَلْبِي أَنَّهُ أُوْحِدَ الطُّبَّاءَ
جَمَالًا وَأَنْ قَدْ عَزَّ فِيهِنَّ نِدُّهُ^(٣)
غَزَالَ صَرِيمٍ فِي الْكُوَيْتِ كِنَاسُهُ
وَقَيُّ صَوْمَةٍ بَيْنَ الْخُلُوعِ وَرَنْدِهِ
فَمَنْ رَوْضِ حُسْنِ الصَّبْرِ فِي الْقَلْبِ رَعِيَّةُ
وَمِنْ مَا عَزَائِي فِي الْجَوَانِحِ وَرْدُهُ^(٤)
تَوَاصَلَ مِنْهُ الْوَصْلُ لِي قَبْلَ عِلْمِهِ

(١) النذب: الخفيف في الحاجة، السريع الظريف.

بَأْنِي عَلَى حُكْمِ الصَّبَابَةِ عَبْدُهُ
 فَلَمَّا دَرَى أَوْرَى لَظَى الْهَجْرِ وَاعْتَدَى
 يُعَذِّبُنِي فِيهَا كَأَنِّي ضِدُّهُ
 وَأَشْفَعُ مِنْ شَعْرِي إِلَيْهِ بِشَافِعٍ
 عَلَى كُلِّ ظَبْيٍ غَيْرُهُ عَزَّ رَدَّهُ
 وَأَرْسِلُهُ مَعَ كُلِّ نَدْبٍ إِخَالُهُ
 يَهْوُنُ لَهُ حَتَّى مِنَ الْبَدْرِ قَوْدُهُ (١)
 فَيَرْجِعُ مِنْهُ خَائِبَ السَّعْيِ قَائِلًا
 غَزَالُكَ هَذَا لَيْسَ يُمَكِّنُ صَيْدَهُ
 سَعَيْنَا لَهُ فِي كُلِّ مِنْهَجٍ حِيلَةٌ
 لَصَيْدِ ظَبْيَاءِ الْإِنْسِ كُنَّا نُعِدُّهُ
 وَقُلْنَا إِذَا لَمْ تَشَفْ صَقْرًا بِزُورَةٍ
 فَمَنْ وَجَدَهُ الذَّاكِي سَيَحْوِيهِ لَحْدُهُ
 فَقَالَ دَعُوهُ يَدَّعِي الْحُبَّ كَاذِبًا
 وَكَيْفَ إِلَى الْأَعْمَى تَسْرِبَ وَجَدُهُ
 طَرِيقُ الْهَوَى لِلْمَرْءِ رُؤْيَاهُ عَيْنُهُ
 وَنَهَجُ هَوَى صَقْرٍ عَمَاهُ يَسُدُّهُ
 وَإِنْ لَمْ يَمُتْ فِي الْحُبِّ صَقْرٌ كَمَا ادَّعَى
 فَمُسْتَحْكُمُ الْإِعْسَارِ سَوْفَ يَهْدُهُ

□

(١) صفتني: أوثقتني وقيدتني. والصفاد ما يوثق به ويقيد.

ذكرى مولد الرسول (ﷺ)

رَفَعَ اللَّهُ مَجْدَ بَيْتِ الْخَضَّادِ
وَذَوَيْهَا مِنْهُ بِخَيْرِ عِمَادِ
فَعَلِيٍّ مَعَ الصَّلَاةِ سَلَامٌ
فِيهِ يُمْلِيهِمَا جَمِيلُ اعْتِقَادِي
سَيِّدَ الرُّسُلِ كُلِّمَا رُمْتُ مَدْحًا
لَكَ أَرْجُو بِهِ صَلَاحَ مَعَادِي
وَتَأَهَّبْتُ لِدُنُوِّ إِلِيهِ
بِقَوَافِ مَا مِلَّنَ عَنْ إِنْجَادِي
صَفَّدْتَنِي يَدَا قُصُورِي عَنْهُ
فَأَنَا عَنْهُ مِنْهُمَا فِي صِفَادِ^(١)
لَيْسَ فِي حَلَبَةِ الثَّنَاءِ عَلَى مَجْدِ
دِكَ أَهْلًا لِلْجَرِيِّ مِثْلُ جِيَادِي
وَكَفَانِي بِالْعَجْزِ عَذْرًا مَبِينًا
وَعَلِيهِ يَوْمَ الْلِقَاءِ اعْتِمَادِي
فَاعْفُ وَاصْفَحْ فَأَنْتَ لِلْعَفْوِ وَالصَّفْحِ
حِمْ لِمِثْلِي فِي النَّاسِ خَيْرُ جَوَادِ
هَذِهِ لَيْلَةُ الْوِلَادِ وَفِيهَا

(١) يريد: يغبر ويسود.

(٢) الإسعاد: الإعانة والمساعدة.

(٣) مبير: مهلك.

(٤) بسل: تقال بمعنى الحرام، وتقال بمعنى الحلال. وهنا يراد بها معنى الحرام.

لك يشدو بمدحة كل شاد
 ولِعَجَزِي عنه جَعَلْتُ إِلَى الصَّمِّ
 حَتِ برغمي بين الشُّدَّةِ استنادي
 أنا ما زلتُ من همومي أُسْرِي
 تحت ليلٍ يَرْبُدُ كلَّ اِرْبَادٍ^(١)
 وَرَضِيُّ الْقَرِيضِ لِلشَّاعِرِ الْمَهْ
 موم ما كان قَطُّ ذَا إِسْعَادٍ^(٢)
 فَإِذَا مَا أَذْنْتُ لِي بِالتَّشْكِي
 من همومٍ عَلَيَّ ذَاتِ احْتِشَادٍ
 فَشَكَاتِي إِلَيْكَ مِنْ كُلِّ مُغْوٍ
 وَمُضِلٍّ بَاغِي الْمَقَالَةِ عَادٍ
 قَدْ أَضَلُّوا بِاسْمِ الدِّيَانَةِ مَمَّنْ
 جَهَلُوا كُلَّ رَائِحٍ أَوْ غَادٍ
 كَمْ أَمَاتُوا لَكِي يَعْيشُوا نَفوسًا
 لَمْ تَزَلْ بَعْدُ حَيَّةَ الْأَجْسَادِ
 فَادْعُ يَا خَيْرَ مُنْقِذِينَ عَلَيْهِمْ
 بِزَوَالِ يَعْصُمُهُمْ وَنَفَادِ
 مَا لَجُرِحِ الْعَرُوبَةِ الْيَوْمَ - إِلَّا
 أَنْ يَزُولُوا عَنْ وَجْهِهَا - مِنْ ضِمَادٍ
 لَمْ يَكُنْ قَوْمُكَ الْكَرَامُ عَلَى جَهْ
 لٍ مَبِيرٍ لَوْلَا هُمْ فِي تِمَادٍ^(٣)
 أَوْ هَمُوهُمْ بَأَنَّ وَرْدَ حَيَاضِ الدِّ
 عِلْمٍ بَسَلُ دِينًا عَلَى كُلِّ صَادٍ^(٤)
 فَعَدَا الْقَوْمُ مِنْهُمْ فِي اقْتِرَابِ

(١) عن: غلب وقهر، ويريد هنا أنه جافاهم. عدتهم: صرفتهم.

ومن العلم كُلُّهُ في ابتعاد
وإذا العلمُ لم يَشْعُ بين قومٍ
شاعَ فيهم هلاكُهُم باطِّرادٍ
كلُّما قام مخلصٌ ينصحُ النَّاسَ
سَ وَيَهْدِيهِمْ سَبِيلَ الرِّشَادِ
مُتَوَحِّجٌ نَشْرَ العلومِ وإِطْلَا
عَ شَمُوسِ العلومِ فينا الهَوادي
كاشِفٌ عن فَوَائِدِ العلمِ مَبْدِ
كلُّ ما الجهلُ معقُبٌ من فسادِ
طالبٌ أن يُحَارِبَ الجَهْلُ بالعلْمِ
مُجِدُّ في نُصْحِهِ ذو اجتِهَادِ
كَفَّرَتْهُ عَمَائِمُ قَرَّبَ الجَهْلُ
لِإِلَيْهَا مِنَّا بَعِيدَ المُرَادِ
فهي تخشى إذا اسْتَنْزَنَّا عُقُولاً
فَوُتَ خَافِي أَغْرَاضِهَا والبَادِي
تَتَّقِي أن يُحَرِّرَ العلمُ مَنْ أَلَدِ
قَوُوا إِلَيْهَا لَجْهَلِهِم بِالْقِيَادِ
وانقِيَادُ السُّوَادِ مِنَّا إِلَيْهِ
نَ لَعَمْرِي من مَهْلِكَاتِ السُّوَادِ
وقدِ انقَادَ جَاهِلًا فَاجْرِيَا دَمَ
عِي عليه حزنًا وَذَبُّ يَا فُؤَادِي
فَرَّقْتُنَا تِلْكَ العَمَائِمُ حَتَّى
أَيَّاسْتُنَا من أَلْفَةٍ وَاتِّحَادِ

(١) العسجد: الذهب.

وإذا عَزَّ الاتِّحادُ بَنِي العُزِّ
 بِعَدَّتِهِمْ عن الحياةِ العَوادي^(١)
 أصبحَ اليومَ حامِلوها علينا
 للزمانِ العادي من الأجناد
 قسَّمونا باسمِ الديانةِ أقسا
 ما ليحْظُوا بالعسجدِ المُستَفاد^(٢)
 ثم قالوا كذلكَ الدِّينُ والدِّينُ
 من بَوادٍ والكلُّ منهم بَوادٍ
 أبْلِيلُ التفريقِ الدِّينِ يَبْغِي
 من ذويه دَوامَ مُرْدِي الرُّقادِ
 لا لعمري بل الديانةُ تقضي
 باجتماعِ الأحزابِ والأفرادِ
 ما أتى الدِّينُ نَقْمَةً وهلاكًا
 بل حياةً ورحمةً للعبادِ
 أحياءُ الأقوامِ ما استثمروه
 من بذورِ اجتماعهم والبوادِ
 أم تَرَوْنَ الحياةَ فيما جَنَوْهُ
 من مَجانِي شَتَاتِهِم والتَّعادي
 أيُّ شعبٍ إذا تَنافَرَ لم يَشْ
 لكُ انتِقاَصُ الحياةِ بعدَ ازديادِ
 فإلى الوحدةِ الحميدةِ عُقْبَى
 نَادِ يا مُصلِحَ العروبةِ نَادِ

(١) وري الزند ورياً: اتقد.

(٢) النَّاد: الداهية.

(٣) الرقاق الحداد: يريد بها السيوف.

فهي بعدَ الإله خيرُ كفيلٍ
 ببلوغِ المُنَى وخيرُ عَتَادٍ^(٢)
 هل رأيتُم لأمةٍ في المَعَالِي
 قبلَ جَمْعِ القُلُوبِ وَرَيَ زِنَادٍ^(١)
 نحنُ أبناءُ يعربٍ لو عَقَلْنَا
 إخوةً في الرجوعِ للميلادِ
 والمَعَدِّي يُعَرِّبِي على حَا
 لِي رَخَاءٍ من دهرنا واشتدادِ
 وعلى الإخوةِ الكرامِ التَّصَافِي
 لا التَّنَافِي كسائرِ الأضدادِ
 فعَلَامَ افترقْنَا وإلى ما
 نحنُ نشقى منه بكلِّ نَادٍ^(٢)
 جاءنا الدينُ جامعًا لا مُشْتَبَاً
 فاجمَعُونَا فالجَمْعُ أصلُ السَّدَادِ
 وانقُذُوا كلَّ قائلٍ بافتراقٍ
 تعلموا زَيْفَهُ لدى الانتقادِ
 فهو إمَّا يُعَكِّرُ الماءَ حتى
 يتسَنَّى له طريقُ اصطِيَادِ
 أو غَيبِيٍّ والكلُّ من ذا وهذا
 ليس إلا إلى المهالكِ حَادِ
 فانصحوهم فإن أنابوا وإلا
 فتَوَقَّؤُوا أخطارَهُم بالجهادِ

(١) صقر قريش هو عبدالرحمن الداخل مؤسس الدولة الأموية بالأندلس.

(٢) طير الأيادي يكنى به عن النقود.

جَرِّدُوا كُلَّ مِقْفُولٍ وَيَرَاعِ
لَسْتُ أَدْعُو إِلَى الرِّقَاقِ الْحِدَادِ^(٣)
وَأَبِينُوا لِلنَّشْءِ مَا هُمْ عَلَيْهِ
مِنْ ضَلَالٍ وَحِطَّةٍ وَعِندَادٍ
فَعَلَى كُلِّ ذِي حِجَى وَبَيَانٍ
تَبِيعَاتُ الْحَيَاةِ فِي الْأَوْلَادِ
وَبِقَاءِ الْمَخَاطِبِ شَقَاءُ
لِبَنِينِنَا، وَبَعْدُ فِي الْأَحْفَادِ
وَلِكُلِّ مَنَا وَمِنْهُمْ وَلَا شَكَّ
لَكَ جَزَاءُ الْإِلَهِ بِالْمَرْصَادِ
فَهُوَ عَدْلٌ وَعَدْلُهُ لَا يُسَاوِي
بَيْنَ أَهْلِ الْإِغْرَاءِ وَالْإِرْشَادِ
إِنَّمَا كَانَتْ الْعِمَائِمُ عُنُودًا
نَ الْمَعَالِي وَالْمَجْدِ فِي الْأَجْدَادِ
يَوْمَ كَانُوا مَلُوكَ هَدْيِ الْبَرَايَا
فِي دَمَشَقٍ وَبَعْدُ فِي بَغْدَادِ
وَبِلَادُ رَهَتْ بِصَقْرِ قَرِيشٍ
يَوْمَ تَحْلِيْقِهِ بِتِلْكَ الْبِلَادِ^(١)
فَتَنَّتْهَا غَوَاتُنَا الْيَوْمَ لَا عَا
شَوْا فَخَاخًا لَصِيدِ (طَيْرِ الْأَيَادِي)^(٢)
نَافَسُوا كُلَّ أَيْمٍ وَيَتِيمٍ
وَكَسِيرِ الرِّجَالِ وَالْأَعْمَادِ
فِي سَوَالِ الزَّكَاةِ وَالرَّقْدِ مِنْ كُ
لِّ مُزَكٍّ وَكُلِّ ذِي إِرْفَادِ^(٣)
أَقْوِيَاءُ عَلَى التَّكْسِبِ لَوْ شَاءَ

وُوا لَكَانُوا كَسَائِرِ الْأُمُجَادِ
 وَمِنْ الْعَارِ وَالْأَثَامِ عَلَى مَنْ
 لَمْ يُغْنِهِ الزَّمَانُ بِاسْتِعْدَادِ
 أَنْ تَرَاهُ كَغَيْرِهِ مِنْ ذَوِي الْعَا
 هَاتِ فِي مَدَّةٍ يَدُ اسْتِمْدَادِ
 لَا تَلُومُوا عَلَى الْعَمَائِمِ مِنْ صَا
 لَ بَجَنْدٍ مِنَ الْقَوَافِي الشُّدَادِ
 رَفَعُوهَا عَلَى الرُّؤُوسِ لَكَيْمَا
 يَضَعُونَا بَعْدَ الرُّبَا فِي وَهَادِ
 فَبِأَيْدِي الْعِدَا لِكُلِّ غِرَاسٍ
 مِنْ عَلَانَا كَانُوا أَدَاةَ حَاصِدِ
 نَحْنُ لَوْلَا شُرُورُهُمْ مَا غَدَوْنَا
 لِسَيُوفِ الْعِدَا مِنَ الْأَغْمَادِ
 كَلِمَا صَالَتْ الْأَعَادِي عَلَيْنَا
 مَهَّدُوا بِالشَّقِّاقِ طُرُقَ الْأَعَادِي
 مَا وَجَدْنَا وَقَدْ بَحَثْنَا طَوِيلًا
 غَيْرَهُمْ لِلْبَلَاءِ مِنْ قُودِ
 افْتَقَدْنَا مَجْدَ الْجُدُودِ فَاُنْبَا
 نَا فَصِيحًا لِسَانُ كُلِّ افْتِقَادِ
 أَنَّ رَكْنَ الْمَجْدِ الَّذِي شَيَّيْدُوهُ
 هَدَمَتْهُ عَمَائِمُ الْأَوْغَادِ
 وَعَجِيبٌ أَنْ نُحَسِّنَ الظَّنَّ حَتَّى

(١) الأطواد: جمع طود، وهو الجبل العظيم.

(٢) جميع: مجتمع.

(٣) ثوب ضاف: سايغ طويل، والضوافي: السوايغ، والأبراد جمع برد وهو نوع من الكساء.

نَتَّظَنَّا هُمْ مِنَ الزُّهَادِ
ادَّعَوْا أَنَّهُمْ لَتَثْبِيْتِ دِينَ الْـ
لَّهُ فِينَا كَانُوا مِنَ الْأَطْوَادِ (١)
فَهَلِ الدِّينُ رَدُّ كُلِّ جَمْعٍ
مِنْ بَنِي قَوْمِنَا إِلَى أَحَادِ (٢)
مِثْلُ مَا يَشْتَهِي الْعَدُوُّ إِذَا مَا
شَاءَ وَضَعَ الْأَغْلَالِ فِي الْأَجْيَادِ
وَهَلِ الدِّينُ بَذْرُ كُلِّ شِقَاقٍ
مِثْمَرِ الْبُغْضِ مُعْقِبِ الْأَحْقَادِ
أَمْ تَرَاهُمْ مِنْ ادَّعَائِهِمْ الْخَـ
لَابَّ جَرُّوا ضَوَافِي الْأَبْرَادِ (٣)
لِيَذُرُّوا فِي عَيْنِ كُلِّ غَيْبٍ
وَيَلِيْدِ مِنَّا أَضْرَّ رَمَادِ
إِنْ أَيْ التَّنْزِيلِ لَوْ قَرَّوْهَـ
أَمَلِي الْوَعْدِ خَائِفِي الْإِيعَادِ
لَعَدَوْا بَيْنَنَا وَبَيْنَ التَّنَافِي
وَالْتَّجَافِي سَدًّا مِنَ الْأَسْدَادِ
وَأَعَادُوا ذَوِي الشَّمَاتَةِ بِالْعُرِّ
بِ جَمِيعًا وَهُمْ مِنَ الْحُسَّادِ
رَبُّ فَالْطُّفْ بِنَا وَأَيْقِظْ ذَوَيْنَا
مِنْ مَنَامٍ عَلَيْهِمْ ذِي امْتِدَادِ

****□

(١) قالها في المرحوم الشيخ سالم المبارك الصباح.

كلاهما في ازدياد^(١)

كَلَّمَا زَرْتُمْكُمْ أَمَرْتُمْ بِشَيْءٍ
مِثْلُهُ يَقْتَضِي مَزِيدَ الْوِدَادِ
وَلَكُمْ مِنْنِي الْمَوَدَّةُ كَانَتْ
مِثْلَ شُكْرِي كِلَاهُمَا فِي ازْدِيَادِ
ثُمَّ صَارُوا إِلَى تَنْبَاهٍ عَنِ الْإِنْدِ
مَاءٍ مُعْيٍ قِصَائِدِي وَفَوَائِدِي
فِي إِلَى كَمٍ مِنَ الْجَمِيلِ تُوَالُو
نَ أُمُورًا بِهَا مَلَكَتُمْ قِيَادِي
مَا تَرَكْتُمْ مِنْ مَنْزِلٍ فِي فَوَائِدِي
لِسَوَاكُم مِنْ حَاضِرٍ أَوْ بَادِ
جِئْتُ لِلرَّفْدِ وَحْدَهُ فَإِذَا بِي
مِنْكَ أَحْظَى بِمُرْفِدٍ وَبِهَادِ
مِنْذَ حَرَضْتَنِي عَلَى بَذْلِ جِدِّي
فِي تَلْقَى الْفَصْحَى وَبِذْلِ اجْتِهَادِي
كَانَ شَغْلِي جَمِيعُهُ فِي نَهَارِي
بَلْ وَلَيْلِي تَطَلُّبًا لِلضَّادِ
وَلَقَدْ ذَقْتُ طَعْمَهَا الْحَلَوَ حَتَّى
لَيْسَ إِلَّا مِنْأَلْهَا مِنْ مَرَادِي
وَلَكِ الْفَضْلُ لَيْسَ لِي أَنْ تَأْتِيَ
لِي مَا رُمْتُ مِنْ لُغَى الْأَجْدَادِ



صَغَّرَ اسْمَ الْكُوَيْتِ مِنْ كَانَ سَمَى
قَبْلَ مَاتَاكَ يَا أَبَا الْأَمْجَادِ
وَحِجَابُ الْغَيُومِ إِذَا ذَاكَ يُخْفِي
مِنْكَ نَزَرَ الْأَشْبَاهِ وَالْأَنْدَادِ
وَلَهُ الْجَهْلُ بِالْمَغْيِبِ عَنْهُ
حِينَ سَمَى الْكُوَيْتَ عُذْرُ بَادٍ
لَوْ دَرَى أَنَّهَا سَتُشْرِقُ شَمْسًا
مِثْلَهَا الْيَوْمَ فِي سَمَاءِ الْبِلَادِ
تَتَعَالَى هَذَا الْعُلُوُّ وَتُزْهِى
كُلُّ رَأْيٍ بِنُورِهَا الْوَقَّادِ
لِحَبَاهَا التَّكْبِيرَ غَيْرَ مُحَابٍ
وَتَفَادَى التَّصْغِيرَ كُلَّ التَّفَادِي
فَلْتَعِشْ لِلْعُلَا وَلِلْمَجْدِ يَا (سَا)
لَمْ سَيْفًا تَخْشَى شَبَاهُ الْعَوَادِي
لَمْ تَفُزْ قَبْلَكَ الْكُوَيْتُ بِمَنْ لَمْ
يَرَفِيهَا يَوْمًا مِنَ الْأَعْيَادِ
مِثْلَ يَوْمِ يَتِمُّ لِلْخُصَادِ فِيهِ
مِنْ ظُهُورِ مَا تَمَّ وَقْتُ إِيَادِ
حَقَّقَ اللَّهُ مَا تُحِبُّ فَقُلِّبِي
مِنْ هَوَاهَا قَدْ هَامَ فِي كُلِّ وَادِ
سَتِرَانِي مُزَوِّدًا مِنْ جَنَاهَا
مِثْلَ مَا تَشْتَهِي بِأَطْيَبِ زَادِ
فَغَرَامِي يَزْدَادُ مِنْهَا بِحُسْنِ
لَمْ تَنْلُ مِثْلَهُ وَجْوهُ الْخِرَادِ

لو أحسَّ الجَمَادُ منه بشيءٍ
لرأَيْنَا به جنونَ الجَمَادِ

****□

(١) المين: الكذب.

يا خيالي

خيال حقيقتي بعدي ستبقى
تُذَكِّرُ بي صِحابي والأعداي
فما بُغِضِي وإنْ فَنَيْتُ عَظامي
بـفـانٍ ما رَأَوْكَ ولا وِداي
وبين هـواهم إِيَّاي مَينًا
ومَقَاتِهِمُ عِظَاتُ السَّواد^(١)
فَجَدَّدَ فِيهِمْ حُبِّي وَبُغْضِي
ككلِّ مَذْكَرٍ بين العباد
عسى تجديدُك الضَّدين يَغْدُو
وفيه لِعِشْرِي عِظَاتَا رِشَاد
فلم يثمر سوى هَذَيْنِ غَرْسِي
مَسَاعِي طَوَّلَ عَمْرِي فِي بِلَادِي
أَبَى تَقْدِيرَهَا وَطَنِي فَصَاحَتْ
أَعْبُنُ مَذْغُورَتِي إِلَى الْحَصَادِ
أُجْزَى غَارِسِي غَبْنًا طَوِيلًا
أَشَدُّ عَلَيْهِ مِنْ خَرْطِ الْقَتَادِ
وكانت صِيحَةً زَهَبَتْ ضِياعًا
كما لو أنها انبَعَثَتْ بِوَادِ
فَدَعْنِي أَشْتَكِي مَكْرَهُ غَبْنِ
جَنَاهُ عَلَيَّ لِلْوَطَنِ اجْتِهَادِي

وَعِشْ لَا غَبْنَ يُوجِعُ مِنْكَ قَلْبًا
وَهَلْ وَجَعٌ لَطِـرْسٍ أَوْ مِـدَادٍ
بَرَزْتَ إِلَى الْوُجُودِ بِغَيْرِ حِسٍّ
فِيَا لَيْتِي شَبِـيْهُكَ مِنْ جَمَادٍ
فَالَوْلَا الْحِسُّ لَمْ يَأَلَمْ لَخَطْبٍ
مُمِضٌ يَا خِيَالِي مِنْ فَوَادِي
وَهَلْ هَذَا الْوُجُودُ سِوَى خَطُوبٍ
مُمِخَّاتٍ جَدِيدٍ أَوْ مُعَادٍ
وُجُودٌ وَدَّتِ الْعُقَلَاءُ أَنْ لَوْ
بَقُّوا فِي الْغَيْبِ عَنْهُ وَالْبِعَادِ
تَمَنَّوْا أَنَّهُمْ لَا شَيْءَ ظَلَّوْا
مَدَى مَا لِلْوُجُودِ مِنْ امْتِدَادٍ
فَمِنْهُ لِأَلَى يَحْوِي جَمِيعًا
تَكُونُ مَصْدَرُ النَّوْبِ الشَّدَادِ
وَوَجْهَ السَّرِّ فِيهِ مَا اجْتَلَتْهُ
أَنْوَاسُ عَنْهُ تَسْأَلُ كُلُّ هَادٍ
أَطْلَتْ تَطْلُعِي طَوْعَ اشْتِيَاقِي
إِلَى ذَاكَ الْحَيَِّا الْغَيْرِ بَادٍ
فَلَمْ أَرَهُ وَعَنْهُ لَمْ يُتَحْ لِي
سُؤْلُ الْيَائِسِينَ مِنَ الْمُرَادِ

إلى لوامي في العزلة

إذا وَجَدَ الْفَتَى يَوْمًا سُرُورًا
بِمَجْتَمَعِ الْوَرَى أَوْ بَانْفِرَادٍ
فَعَمْنُهُ لَا يَمِيلُ وَإِنْ تَوَالَى
عَلَيْهِ لَوُمُّ أَلْسِنَةِ حِدَادٍ
وَكَمْ يَوْمٍ سُرِرْتُ بِهِ وَحِيدًا
وَمَا سَرَرْتُ مَخَالِطَةَ فُؤَادِي
فَعَنْ لَوُمِّي إِلَى عُذْرِي وَإِنْ لَمْ
تَرَوْا لِي فِي انْفِرَادِي مِنْ سَدَادٍ
فَمَا يُجِدِي الْمَلَامُ وَقَدْ تَنَافَى
تَمَامًا مَعَ مَرَادِكُمْ مُرَادِي
إِذَا بِي عُزَلْتِي أَفْضَتْ لَغْيٍ
فَإِنَّ الْغْيَّ مِنْهَا جُ الرِّشَادِ
وَهَلْ شَكَرْتُ أَوْ اسْتَبَقْتُ صِلَاحًا
نَفُوسٌ مَا شَكَّتْ مَخْضَ الْفَسَادِ
إِذَا مَا الْخَيْرُ لَمْ يُسَبِّقْ بِشَرٍّ
بِهِ كَانَ الْفَتَى نَزَرَ اعْتِدَادِ
وَمَا فِي النَّوْمِ مِنْ طَعْمٍ لَذِيذٍ
لَعَيْنٍ لَمْ تَذُقْ طَعْمَ السُّهُادِ
وَفَضْلُ الْمَاءِ لَا يَبْدُو لِمَنْ لَمْ

(١) المحيا: الوجه.

يَرِدُ مِنْهُ زُلَالاً وَهُوَ صَادٍ
فَإِنْ نَفْسِي أَضَلَّتْنِي صَوَابِي
فَمَا لِي غَيْرَهَا مِنْ بَعْدُ هَادٍ
فَمَا هِيَ فِي يَدَيَّ هَادٍ سَوَاهَا
إِلَى مَا شَاءَ تَارِكَةٌ قِيَادِي
وَلَيْسَتْ فِي الْحَيَاةِ إِلَى دَلِيلٍ
سِوَى تَجْرِبِهَا ذَاتَ انْقِيَادٍ
فَعَمَّا سَاءَ مِنْ أَمْرِ لِمَا لَمْ
يَسُؤْهَا سَيْرُهَا بِي فِي أَطْرَادٍ
وَلَيْسَ لَتَرْكِ أَمْرٍ أَوْ لَزُومٍ
لَهُ مِثْلُ اخْتِيَارِ النَّفْسِ حَادٍ
وَهَلْ حَسُنَ الْقَرَارُ عَلَى الرُّوَابِي
لَمَنْ لَمْ يَخْبُرُوا قُبْحَ الْوَهَادِ
دَعُوا نَفْسِي وَعُزِّلَتْهَا إِلَى أَنْ
تَرَى فِيهَا مُحَيَّا الْخُرْبَادِ^(١)
وَحِينَئِذٍ تَكُونُ كَمَا أَرَدْتُمْ
مُلَازِمَةً الْمَجَامِعِ وَالنَّوَادِي

العزلة

وجدتُ الإنفرادَ يُريحُ نفسي
فملتُ بجمليتي للإنفرادِ
فررتُ من اجتماعاتِ البرايا
وبي منهنَّ موجعةُ الفؤادِ
ولا تَنقِمُ عليَّ البُعدُ عنهم
فنفسي استعذبتُ ثَمَرَ البُعادِ
وخُذْ لكَ غيرَ منهاجي سبيلاً
فلمستُ لعاذلٍ طوعَ القِيادِ

□

(١) الأديب عبدالهادي الجواهري زار الشاعر في بيته، فقدم له الشبيب هذه القصيدة.

الفضل فضل البادي^(١)

شُكْرِي أَكْرَرُهُ لِعَبْدِ الْهَادِي
فَعَمَلِي مِنْهُ الْيَوْمَ فَضْلُ بَادٍ
سَبَقَتْ زِيَارَتُهُ مَحَلِّي زَوْرَتِي
لِحَلِّهِ وَالْفَضْلُ فَضْلُ الْبَادِي
مَا كُنْتُ أَحْلَمُ أَنْ أَفُوزَ بِزَوْرَةٍ
مِنْهُ لِهُونِ مَكَانَتِي بِبِلَادِي
لَكِنْ حَادَاهُ إِلَيَّ فَحَرُطُ مَرْوَةٍ
وَكَفَى بِهَا نَحْوِي لَهُ مِنْ حَادٍ
إِنَّ الْكُوَيْتَ أَدِيبُهَا فِي شِقْوَةٍ
مَمْتَدَّةٍ لَيْسَتْ بِذَاتِ نَفَادٍ
فَكَأَنَّهُ فِيهَا لَطُولُ شِقَائِهِ
فِي نَارِهِ «فِرْعَوْنُ» ذُو الْأَوْتَادِ
فَهَلِ الْأَدِيبُ كَذَا بِكُلِّ مَكَانَةٍ
«مِصْرٍ» عَرِينِ الْأُسْدِ أَوْ «بَغْدَادِ»
إِنْ كَانَ هَذَا فَالْمَوْدُبُ حَقُّهُ
تَطْوِيقُ لَبَّتِهِ بِحَايَةِ وَادٍ
كَيْلَا يَعُودَ يَبْتَ مِنْ آدَابِهِ
شَيْئًا بِمَجْلِسِ مَعْشَرٍ أَوْ نَادٍ
هِيَ هَاتِ مَا تِلْكَ الْبِلَادُ مُضِيعَةٌ
حَقُّ الَّذِي يُعَلِّي لَوَاءَ الْخُضَادِ

لكنما وطني - ولستُ بقائسٍ
بلدًا به - عن مُشبهٍ بِرُقَادٍ
ما كان حَقِّي أن أُطيلَ بموطني
ذي الرِّيِّ شكوى ذي الأوامِ الصَّادي
لوقام للأدباء فيه مُقدَّرُ
يضعُ الهجينَ وراءَ كُلِّ جَوادٍ

(١) تربط الشاعر صقرًا بحافظ وهبة صداقة متينة يوم كان في الكويت. وعندما التحق حافظ وهبة بالملكة العربية السعودية موظفًا ثم سفيرًا، ومرت سنوات زار الكويت بضعة أيام، فأرسل الشاعر إليه هذه القصيدة يعتذر فيها عن زيارته للسلام عليه.

قيوده عماه^(١)

أحافظ وهبته قد كدت أتى
إليك مسلماً لولا قيودي
مجيئي للسلام إليك حقٌ
ولست أجز عن حق قعودي
ولكن بي قيودي مائلات
إلى ما أشتهي عنه محيدي
فبي مالت قيودي مرغماً
لإخالي بواجبي الأكيد
قيوداً لو بها شدت أسود
لخاف من المها ضاري الأسود
وقدماً قد رسفت بها طويلاً
لمؤدود الزيادة أو ودود
وكنت بها على الرسفان أقوى
فأضعف طول حمليهن عودي
فها أنا لا أطيق بها حراكاً

(١) أودى به: ذهب به.

(٢) عضده: أعانه.

(٣) الصبيب: الموضع المنحدر.

(٤) صدف عن الشيء: عدل عنه ومال. والصدى: شدة العطش.

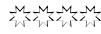
(٥) الرواء: حسن المنظر.

(٦) البلاغ: الكفاية، أي ما يكفي.

وإن هي لم تُصنع لي من حديد
 وحسبي بالعمى قيئاً مُمضاً
 فبالصبر الجميل أذاهُ مُودي^(١)
 فكيف به إذا عَخذتْ أذاهُ
 على الإنسان عاثرة الجُود^(٢)
 لعمري لم أُرِدْ ماءً لغيري
 يَطيبُ الطعمُ منه لدى الورود
 فلم تَمزجْهُ أيدي سوءِ حظي
 بمُغرٍ عنه نفسي بالصدود
 أحومُ عليه حومَ الطيرِ عطشى
 فمن صَبَبِ أَظْلُ إلى صُعود^(٣)
 وأصدِفُ بعدَ طولِ الحومِ عنه
 وفي نفسي صداها ذو وقود^(٤)
 فها أنا لم أزلْ - والكُلُّ راوٍ -
 على ظمأٍ مُضِرٍّ بي مُبيد
 كَأني في الكويتِ على رُوها
 سَكنتُ مَفازةً حَفَّتْ بِبيد^(٥)
 شكوتُ إلى كثيرٍ من بنيها
 بأشعاري من البؤسِ الشديد
 ولو أني حصلتُ على بلاغي
 لما أعلَمتُ بالشكوى قصيدي^(٦)
 فما أشكو على طولِ اشتكائي
 ولو بالتافهِ النَّزْرِ الزَّهيد

(١) بعل بالشبي بعلاً - كفرح فرحاً -: صُبر وتبرم ولم يدر كيف يصنع فيه.

فكنتُ كأنني أشكو احتياجاً
بَعِثْتُ به إلى صُمِّ رُقُود^(١)
وما ذنبي سوى أنني بنصحي
صريحٍ في النثير وفي النُضيد
فهل حظُّ الأديب بـكلِّ أرضٍ
كحظي غيرُ مأمولِ السُّعود
وهل نَحَسْتُ سِوَاي فتى صريحاً
صراحته بإرشادٍ مُفيد
أفدني تستفيدُ خلعي رداءً
عليك من الثنا أضفى البرود



أحافظُ كلَّ مكرمةٍ ومَجْدٍ
طريفٍ حين يُذكَّرُ أو تَلِيدٍ
شكوتُ إليك والمنحوسُ يشكو
بلاياه إلى الحرِّ السَّعيد
فإمّا أن يكون له مُعيناً
على إبراءِ مِقْدَحِهِ الصَّلُود^(٢)
وإمّا أن يُعَزِّيَهُ وحَسْبِي
عزاءُ منك بالقولِ السَّدِيد
أردتُ بِكَلِمَتِي هذي اعتذاراً
ولستُ بها لشكوكِ المُرِيد
ولكنَّ الأنينَ يشوبُ قسراً
به أقواله واهي الوَرِيد
أحافظُ قد أضاعَتني بلادي

(١) السفح: السود، جمع الأسفع.

على حفظي لها حُسْنَ العُهود
فمحمودُ العُهودِ لديّ باقٍ
لغيرِ بَلَى بمنظرهِ الجديد
وبالمذموم أفضى من فؤادي
تَناسيه إلى النُّسبي الحميد
أريها من وجوه النُّصح بيضاً
بحكم هوى لها عندي عَهِيد
ولم تبرح تلاقيني بِسُفْعٍ
مخيفاتٍ من البغضاء سُود^(١)
ولستُ على إدامةِ بَخْسِ حَقي
وطولِ الغَمَطِ بالرجُلِ الجاليد
فهل لي في سِواها عن جماها
بديلٌ من قريبٍ أو بعِيد
طريدٌ ضياعها عنها سأمضي
فأَيُّ الأرضِ أصْلَحُ للطَّريد
فبالأقطار أدري أنت مني
وبالأحرار فيها والعبيد
سئمتُ إقامتي ما بين قومٍ
عليّ بهم ذَكَتْ نارُ الحُقوقِ
وما بذرتُ يَدَيَّ بُذورَ سوءٍ
فمنَ بذري أقولُ أتى حَصيدِي
رشيدهم يُجامِلُ بانتقاصِي
وقصدِ إساءتي غيرَ الرُّشيدِ
فما عُذْرُ الذُّكِيِّ إليّ منهم
فإني عارفٌ عُذْرَ البَلِيدِ

(١) العتيد: الحاضر المعد. عتد الشيء، وعتاده: أي عتاده، أراد بها المصدر.

لحكمة أتينا الدنيا

ليس في الأرض من طريقٍ يُؤدِّي
سالكه أو بعضهم للسعادة
فلها اسم بين الأنام شهيدٌ
ومسماه مُستحيلُ الشَّهاده
ما رأينا إلا شقاءً عتيداً
لبني الأرض كُلِّهم أو عتاده^(١)
وعلى العلم بالشَّقاء ترانا
نتمنَّى من البنين الزَّياده
أُمحِبُّ أولاده الوالد المسد
كَيْنُ أُم كان مُبغضاً أولاده
إِنْ يَكُنْ والد البنين مُحِبّاً
فلماذا قد فَكَّ باب الولاده
وهو بابٌ مُدْمَرٌ منه إلى الدُّنْ
يا تمنى في وجهه إيصاده
أفَيرضى المُحبُّ أن ينظرَ المحد
جبوب يشكُّو من الشَّقاء اشتداده
أو يَكُنْ حاقداً يُريد انتقاماً
فسأله ماذا نَمَّا أحقادَه
إنَّما يحقدُ الحَقُّودُ على مَنْ

(١) الحياوين: هنا جمع الحيوان، وهو ما يقع على كل شيء حي.

قَدْ رَأَهُم بَيْنَ الْوَرَى أَضْدَادَهُ
 وَبَنُوهُ فِي عَالَمِ الْغَيْبِ لَمْ يَأْ
 تُوا بِأَمْرِ يَسُوءٍ مِنْهُ فُؤَادَهُ
 وَإِذَا لَيْسَ عَنْ هَوًى أَوْ لِبُغْضٍ
 رَامَ ذُو النَّسْلِ نَسْلَهُ وَأَرَادَهُ
 بِلِأَمْرِ أَرَادَهُ اللَّهُ تَمَّتْ
 مِنْ بَنِيهِ إِلَى الْوُجُودِ الْوَفَادَهُ
 وَإِذَا مَا أَرَادَ رَبُّكَ أَمَرًا
 بَدَأَ الْأَمْرَ قَادِرًا وَأَعَادَهُ
 أُوجِدَ الْوَالِدُ الْقَدِيمُ لَسِرٍّ
 سَابِغِ الْكُتْمِ يِقْتَضِي إِيجَادَهُ
 فَاتَى الْوَالِدُ الْقَدِيمُ إِلَى الدُّنْ
 يَا اضْطَرَارًّا كَمَا أَتَتْهَا الْجَرَادَهُ
 ثُمَّ أَغْرَاهُ بِالتَّنَاسُلِ إِغْرَا
 ءَ إِلَيْهِ أَلْقَى اضْطَرَارًّا قِيَادَهُ
 فَتَلَقَّى الْوُجُودُ مِنَّا مَسُوقًا
 فَمَسُوقًا كَمَا تَلَقَّى جَمَادَهُ
 وَتَلَقَّى أَعْلَى الْحَيَاوِينَ وَالْأَدُ
 نَى وَأَزْهَارَ نَبْتِهِ وَقَتَادَهُ^(١)
 فَتَرَانَا نَحْيَا وَنَهْلِكَ مِثْلَ الزُّ
 زْدِ لَاقَى مِنْ بَاذِرِيهِ حَصَادَهُ
 بِذُرُوهُ وَلَمْ يَشَأْ ثُمَّ قَامُوا
 بِحَصَادٍ - وَمَا اشْتَهَاهُ - أَبَادَهُ
 وَأَرَانَا مُنْذُ الْوِلَادَةِ حَتَّى الدَّ
 مَمُوتٍ فِي لَا إِرَادَةٍ أَنْدَادَهُ

لو ملكْتُ التَّصَرُّفَ الحُرَّ لم أُخْ
 خُضَعْ لطبعي وقد عَلِمْتُ فسادَه
 لا ولا مِلْتُ عن طريقِ حِجائي
 بَعْدَ عِلْمِي صلاحَه ورشادَه
 ليس لي مِنْ إرادةٍ في مَقالٍ
 قَبِيلٍ عَنِّي أَسَاءَهُ أو أَجَادَه
 ما أَرَاهُ مؤهِّلِي لثَناءٍ
 تَقْتَضِيهِ لِمَن أَجَادَ العادَه
 أو أَرَاهُ مُبَرِّراً لانتِقادي
 مِنْ مُمِرٍّ لِمَنُ أَسَاءَ انتِقادَه
 وكقولي جَمِيعُ فِعْلي فما تَمَّ
 لَكَ كَفِّي انحلالَه وانعِقادَه
 إِنَّمَا كَانَتْ الإِرادَةُ لِلْمَوْ
 دِعِ - ما شاء - مِنْ طِبَاعِ عِبَادَه
 فَإِلَى طَبِيعِهِ المُرَكَّبِ فِيهِ
 أُعْزِ إِسْرَافَ مُسْرِفٍ واقتِصادَه
 لا يُطِيقُ المَخْلُوقُ تَبْدِيلَ طَبِيعِ
 بِسِوَاهُ وَإِنْ أَطَالَ جِهادَه
 قَسوَةُ الصَّخْرِ لَمْ تُعِدِّهَا لِيانًا
 لَطِمَاتُ الأمْوَاجِ مِنْهُ صِلادَه
 لا ولا الصَّخْرُ قَدْ ثَنَى لِيِنَّ الما
 ءِ قَسِيًّا وَقَدْ أَدَامَ جِلادَه
 كانَ هَذَا الحِكْمَةُ واكتِناءُ الدِّ
 كُنْهِ مِنْهَا أَعْيَا الحِجَا واجْتِهادَه

ذاك ما لا أحولُ عنه اعتقاداً
تاركاً كلَّ ناظرٍ واعتقادَه

(١) عراه يعرّوه: غشيه. والغير: الحوادث.

(٢) يعزّ عليه هي جواب قوله في أول القصيدة «أمن كَوْنُ الكون...» ويريد أن من كون الكون لا يغلبه ولا يعجز عن أن يعيد تكوينه. والرفّت مصدر رفّته يرفّته رفّتاً: كسره ودقّه أو جعلها جمع رفّات وهو الحطام وكل ما دق فكسر.

(١) رمّ صار رمة. ودثر: قدم وصار دارساً.
(٢) الدكناء: الضاربة إلى السواد. والخرق: الفلاة الواسعة.

أَدِمُ بِكَ إِيمَانِي

أَمَنْ كَوْنُ الْكَوْنِ الْعَظِيمَ بِمَا بِهِ
من المدهشاتِ الحائراتِ بها الْفِكْرُ
وَسَنْ نَوَامِيْسًا عَلَيْهِنَ قَدْ جَرَى
قَرُونًا مَلَايِينًا وَلَمْ تَعْرِهَا غَيْرَ^(١)
وَأودَعَ فِينَا مِنْ لَطَائِفِ صُنْعِهِ
وَمُحْكَمِهِ مَا الْعَقْلُ مِنْ بَعْضِهِ انْبَهَرَ
يَعِزُّ عَلَيْهِ أَنْ يُعِيدَ كَمَا يَشَاءُ
إِذَا أَوغَلَّتْ فِي رَفْتِهَا هَذِهِ الصُّورَ^(٢)
أَيَبْدَأُ مِنْ لَا شَيْءٍ تَكْوِينِ خَلْقِهِ
وَيَدْرِكُهُ عَنْ أَنْ يَعُودَ بِهِ خَوَرُ
إِذَا مَا اسْتَحَالَ الْعَوْدُ فَالْبَدَأُ مِثْلُهُ
وَأَرْسَخَ مِنْهُ فِي اسْتِحَالَتِهِ مَقَرُّ
مِنَ الْبَدَأِ عَوْدُ الشَّيْءِ أَدْنَى صَعُوبَةٍ
بِحُكْمِ النُّهْيِ فَاسْأَلْ نُهُاكَ عَنِ الْخَبَرِ^(٣)
وَمَنْ عَجَبَ إِقْرَارَهُمْ بِابْتِدَاعِهِ
بِدَائِعَ مَنْ لَا عَيْنَ قَبْلُ وَلَا أَثَرُ
وَقَدْ أَنْكَرُوا أَنْ يَسْتَطِيعَ إِعَادَةُ

(١) أثبتنا هذه القصيدة لأنها تزيد (١٥) بيتاً عن نفس القصيدة المعنونة (ذكرى الشهيد علي بن الشيخ سالم الصباح).

(٢) نصف البيت هذا ليس للشاعر صقر وإنما ضمنه شعره انظر ص ٦٦٦ من هذا المجموع.

لما هو منشيه إذا رمَّ أو دَثَرَ^(١)
 ولو وَحَّدُوا الْأُمُورَ زَالَ تَعَجُّبِي
 ولكنه للفرق مالت يدُ النظر
 وأعجبُ منهم من ترى الله عينه
 بآثاره من كلِّ ما جَلَّ أو صَغُرَ
 ويصبحُ في شكٍّ مريبٍ فَوَّادُهُ
 بإثباتٍ مَنْ في كلِّ شيءٍ له ظَهَرُ
 ولكن إذا ما الله أَعْمَى من الفتى
 بصيرته لم تُجِدْ حِدَّةَ الْبَصَرِ
 فَيَا مَنْ به أَمَنْتُ غَيْرَ مُقَلِّدٍ
 أَدُمُ بِكَ إِيْمَانِي بَعِيدًا عَنِ الْخَطَرِ
 فكم شبهةٍ دكْنَاءَ جَنِّ ظَلَامُهَا
 فكدتُ أَضِلُّ الْخَرْقَ فِيهِ إِذِ اعْتَكَرُ^(٢)
 ولو لم تُنِرْ سُرُجُ الْعَنَايَةِ لِيَلَهَا
 لأَفْنَيْتُ فِيهِ الْعُمُرَ أُسْرِي عَلَى غَرَرِ

(١) الإمر: الأمر العظيم الشنيع.

يقولون^(١)

ذكرى الشهيد الشيخ علي بن الشيخ سالم الصباح

يقولون لي إنّنا عهدناك يا صَفَرُ
إلى الصبرِ تدعو كلَّ من أَحْزَنَ الدَّهْرُ
وتُوصي بِإِمْسَاكِ الدَّمْعِ ذَوِي البُكَاءِ
إذا ما غَدَتِ تُبْلِيهِمُ النُّوْبُ الغُيْبُ
فما لكَ قد أَصْبَحْتَ أَجْزَعَ جازِعٍ
كأنَّكَ قَبْلَ اليومِ لم تدرِ ما الصَّبْرُ
وما لبحورِ الدَّمْعِ مَدَّتْ ولم يَكُنْ
لِيُدرِكها ما بين أَجْفَانِكَ الجَزْرُ
فقلتُ لهم قد كان ذاكَ ولي حِجًّا
فزايِلَ مُذْ زالَ ابنُ سالمِ الحِجْرِ
فَقَتْلُ (عَلِيٍّ) لم يَدَعْ لي من نُهْيٍ
فأَعْرِفُ ما خَيْرُ الأُمُورِ وما الشَّرُّ
فإن فاضَ دَمْعُ العَيْنِ مِنِّي كَأَبَةٍ
(فليس لعين لم يفيض ماؤها عذر)^(٢)
وإن حال ما بيني وبين جَلادَتِي
أَسَى كاد أن يَنْشَقَّ من وَقْعِهِ الصَّدْرُ
فما أنا من يَسْطِيعُ رَدَّ يَدِ الأَسَى
إذا ما لِقَلْبِي مَدَّها حادِثُ إِمْرٍ^(٣)
وما بين أحداثِ الزَّمانِ مُضارِعُ

لذلك في أيامه حادثٌ مُرٌّ
 فلا تعذّلوني إن بكيتُ على فتًى
 بَكَتُهُ كما أبكي مكارمه الغُرّ
 فما برحتُ ترجو النّمُو مكارمُ
 على حبّها منه انطوى ناشئٌ حرٌّ
 على أنه ما غابَ إلا وكلُّها
 بأفقٍ علاه دونها الأنجمُ الزُّهر
 ففي رحمةِ الرحمنِ منه غضنفرٌ
 إلى موته كان الحفاظُ هو الجسر
 ولا برحَ (الرقعي) يسقيه هاطلٌ
 من الغيثِ يحكي أدمعي فيضهُ الغمر
 فبين روابيه الشهيدُ ابنُ سالمٍ
 بأيدي الحفاظ المُرّ خطُّ له قَبْر
 بأيدي المنايا كلُّ حيٍّ سينطوي
 وإن طال في الدنيا الغدورُ له عُمر
 ولكنَّ حُسْنَ الذكرِ ليس بمنطوي
 طوال الليالي يا (علي) له نَشْر
 فنم غيرَ محزونٍ فذكرُك خالدٌ
 حميدٌ وهل ماتَ امرؤُ وله ذِكْر
 وما أنت من يحيا حياةً وإنما
 حَيَاتَيْنِ تحيا ما لشمسِهما سِتر
 حَيَاتَيْنِ تحيا يا (علي) شهادةً
 وذكرى وهاتان السعادةُ والفخر

(١) الشطر مضمن من بيت لأبي تمام، وتمامه: فليس لعين لم يفض ماؤها عذر.

هكذا صقر

أَتَيْتُكَ مِمَّا أَنْتَ جَانِيهِ تَائِبًا
وما زال في أحبابه هكذا صَقْرُ
فإن كان يَرْضَى من أَحَبُّ بتوبتي
من الذنبِ يَجْنِيهِ أَتُبُّ وله الشُّكْرُ
ومهما استَمَرَّوا عَكَسَ أَمْرِي فَالْهُوَى
لدى الصَّبِّ يَحُلُو فيه أَنْ يُعَكَّسَ الْأَمْرُ
وما دمتُ أُسْتَحْلِي الذي أَنَا صَانِعُ
فيا زَيْدُ قُلْ ما شئتَ فِيَّ ويا عمرو
إذا المرءُ أَرْضَى نَفْسَهُ وَحَبِيبَهُ
فليس لأَقْوَالِ الْوَرَى عنده قَدْرُ
وَأَهْنَأُ عُشَّاقِ الْبَرِيَّةِ عَيْشَهُ
فَتَى سَمِعَهُ عَمَّا يُقَالُ بِهِ وَقَرُ
فَمَنْ تَتَدَاوَلَ سَمْعُهُ أَلْسُنُ الْوَرَى
فِيوشِكُ أَنْ لَا يَسْتَقِلَّ لَهُ فِكْرُ
وكلُّ أَمْرٍ أَصْغَى إِلَى كُلِّ قَائِلٍ
غدا كلُّ عُرْفٍ وَهُوَ فِي نَفْسِهِ نُكْرُ
فلا تَسْتَمِعْ ما زَخَرَفُوا مِنْ مَقَالِهِمْ
فكم زَخَرَفُوا لِلصَّبِّ ما ضَمِنَهُ الشَّرُّ
وَمَنْ غُرَّ مِمَّنْ لَمْ يُجَرِّبْ فَمَا أَنَا
لتَجْرِيتِي ما يَصْنَعُ النَّاسُ مَغْتَرُّ

من الناس مَنْ أَقْصَى أَمَانِيهِ أَنْ يَرَى
 لِبَاسَ الْعَشِيقَيْنِ الَّذِي يَنْسِجُ الْهَجْرُ
 فَمَا كُلُّ مَنْ أَحْلَى لَكَ الْقَوْلَ مُخْلَصٌ
 وَلَا كُلُّ إِنْسَانٍ سَجِيئَتُهُ الْخَيْرُ
 فإِيَّاكَ مِمَّا قَلِيلٌ أَنْ تَقْطَعَ الَّذِي
 بِهِ مِنْكَ يَوْمَ الْحَزَنِ يَنْشَرُحُ الصَّدْرُ
 فَيَا رُبَّمَا يُصِيبُكَ بَعْدَ وَصَالِهِ
 وَقَدْ حَطَّ مِنْكَ الْقَدَرُ فِي عَيْنِهِ الْغَدْرُ
 فَتَدْنُو وَيَنْأَى وَالْخِيَانَةُ غُبُّهَا
 نَدَامَةُ أَهْلِهَا الشَّدِيدَةُ وَالْخُسْرُ^(١)
 وَمَنْ عَزَّهُ مِنَّْا لِقَاءَ حَبِيبِهِ
 غَدَا كُلُّ حُلُوٍّ وَهُوَ فِي ذَوْقِهِ مُرٌ^(٢)
 وَعَادَ الْفَضَاءَ الرَّحْبُ وَهُوَ لَضِيقِهِ
 عَلَيْهِ - كَمَا تَقْضِي قَطِيعَتُهُ - قَبْرُ
 وَبَاتَ يَرَى الدُّنْيَا كَمَا هِيَ كَلِمَا
 عَلَيْهِ انْطَوَتْ أَيَّامُهَا نُوبٌ غُبْرُ
 فَلَوْلَا التَّلَاقِي عَنْ هَوًى لَمْ يَكُنْ عَلَى
 مُمِضَّاتِ مَا الدُّنْيَا تَرِيدُ بِنَا سِتْرُ
 وَلَوْلَاهُ لَمْ تُبْصِرْ عَلَى أَرْضِهِ فَتًى
 يَوَدُّ وَيَهْوَى أَنْ يَطُولَ بِهِ الْعُمُرُ
 فَمَا كَانَتْ الدُّنْيَا لِتُعْمَرَ حَقْبَةً
 بِسُكَّانِهَا لَوْ فَاتَهَا ذَلِكَ السَّرُّ

(١) غيها: عاقبتها.

(٢) عزه: غلبه.

وَمَنْ لَمْ يَذُقْ يَوْمًا لِقَاءَ عَلَى هَوَى
فَبِي مِنْ تَحَسُّيْ بِنْتِ كَرَمَتِهِ سُكْرُ
وَمَنْ لَمْ يُوَدِّبْهُ بِهِجْرٍ حَبِيبِهِ
زَمَانُ فَبِالْهَجْرَانِ أَدَبَنِي الدَّهْرُ
فَعِنْدِي - مَا لَمْ يُبَلِّ هَجْرُ أَحَبَّتِي
فَوَادِي - لَهُمْ عَنْ كُلِّ بَادِرَةٍ عُذْرُ
فَإِنْ تَنَفَّدَ الْأَعْذَارُ يَوْمًا وَلَمْ تَزَلْ
إِلَيَّ جَنَائِيَاتُ الْأَحَبَّةِ تَنْجَرُ
لَجَأْتُ إِلَى الصَّبْرِ الَّذِي قَطُّ لَمْ يَخُنْ
عَلَيْهِمْ وَلَكِنْ عَنْهُمْ خَانَنِي الصَّبْرُ
حَيَاةُ الْفَتَى - مَا لَمْ يُسَرَّ - حَمَامُهُ
وَصَحَّاتُهُ سَقَمُ وَثَرُوتِهِ فَقْرُ
وَلَمْ أَرَفِ فِي الدُّنْيَا سُرُورًا سِوَى الَّذِي
يُخَيِّلُهُ مَنْ وَصَلَ أَحِبَابَنَا سِحْرُ
فَصِلْ وَالْقَى مَنْ أَحَبَبَتْهُ تَجِدِ الدُّنْيَا
سَهُولًا وَإِلَّا فَالدُّنْيَا مَسْلُكٌ وَعَرُ

****□

أندر شيء الحر^(١)

يقولون لي في وجهك الحزن قد بدا
وفيه لنا لاح التضجُّر يا «صقر»
فقلت لهم «عيسى القطامي» عازمٌ
على سفر فالقلب منِّي به جمرٌ
وهل لي سوى «عيسى» إذا الضرُّ مسَّني
بلقياهُ عني ينجلي الهمُّ والضرُّ
وهل بعدَ «عيسى» الحرُّ لي من مؤانسٍ
وأندر شيءٍ في الأنعام هو الحرُّ
ومن ذا سواه إن شكوتُ أعانني
وإن أهفُ وافاني ولي عنده عُذرٌ
فكم من جميلٍ جاني منه كاملٌ
يحفُّ به من طيب شيمته الشُّكر
كأنِّي الذي أسدي الصنيعَ وهكذا
من الناس من تزكو خلائقُه الزُّهرُ
وكم لقطتُ أذنايَ لآلاءِ لفظه
فأهدتُه نحو الصدرِ فانشرح الصدرُ
ولولؤ لفظِ الحرِّ أوفرُّ بهجةٍ
وأثمنُّ من درٍّ به يسمح البحرُ

(١) نظمها عندما عزم عيسى القطامي على السفر إلى بغداد لطبع كتابه «دليل المحتار في علم البحار».

متى تنجز الوعد

أَلَمْأَ عَصَى «صَقْرًا» عَلَى الظَّمَا الصَّبْرُ
وَأَوْشَكَ أَنْ يَنْبَتَ مِنْهُ بِهِ الْعُمُرُ
وَعَدْتُ بِإِنْقَاعِ الصَّدَى وَعَدَ مَا طَلِ
كَأَنَّكَ تَخْشَى أَنْ يَبْوَخَ لَهُ حُرٌّ^(١)
فَقَدَّمْتُ مِنْ شُكْرِي إِلَيْكَ جَمِيلَهُ
فَلَمْ يَلْقَ تَقْدِيرًا لَدَيْكَ لَهُ الشُّكْرُ
أَطَلْتُ مَقَامِي بَيْنَ يَأْسِي وَالرَّجَا
وَسَهْلُ مَقَامِ الْمَرْءِ بَيْنَهُمَا وَعَرُ
فَقَدْ تَمَّ أَوْ قَدْ كَادَ عَامٌ وَمِثْلُ مَا
وَعَدْتُ بِهِ يَكْفِي لِإِنجَازِهِ شَهْرُ
فَإِنْ كَانَ مَا حَاوَلْتَ بِالْوَعْدِ حِيلَةً
لَيْسَعَى بَلَا عَرَفَ بِشُكْرِي لَكَ الشُّعْرُ
فَذَلِكَ أَمْرٌ لَيْسَ يَنْوِيهِ مَبْتَغٍ
مَزِيدُ الْعُلَا مَا دَامَ فِي رَأْسِهِ حِجْرٌ^(٢)
وَذَاكَ لِأَنَّ الشُّكْرَ يَغْدُو وَحَالُوهُ
إِذَا ذَكَرُوهُ حَوْلَ حِيلَتِهِ مُرٌّ
وَإِنْ كُنْتَ تَنْوِي بَعْدَ مَوْتِي سَقَايَتِي
إِذَا ضَمَّنِي يَوْمًا مِنَ الظَّمَا الْقَبْرِ

(١) يَبْوَخُ: يَسْكُنُ وَيَفْتَرُ.

(٢) الْحَجَرُ: الْعَقْلُ.

فَقَصْدُكَ هَذَا مُذَكِّرِي قَوْلَ بَعْضِهِمْ
«إِذَا مِتْ ظَمَانًا فَلَا نَزَلَ الْقَطَرُ»^(١)
وظَنَّنِي فِيكَ الْيَوْمَ أَنْ تَمَحُّوَ الَّذِي
بِإِثْبَاتِهِ يَعِدُوكَ حَمْدِي وَالْأَجْرُ
وَيَحْزَنُنِي أَنِّي كَتَبْتُ وَلَمْ تُجِبْ
كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ طِرْسٌ لَدَيْكَ وَلَا حَبْرٌ
وَلَوْ كَانَ هَذَا وَاقِعًا كُنْتُ عَازِرًا
فَعِنْدِي لِإِخْوَانِي إِذَا عَجَزُوا عُدْرَ
وَمَا كَانَ عَنْ عُدْرٍ وَلَكِنْ تَهَاوَنُ
وَحَاشَاكَ أَنْ تُلْفَى وَشِيْمَتُكَ الْغَدْرُ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيكَ الْوَفَاءُ سَجِيَّةً
لَمَا مَسَّ مَطْوِي الْعِتَابُ لَكَ النِّشْرُ

(١) هو عن بيت لأبي فراس الحمداني ضمنه في شعره وبيت أبي فراس:
معللتني بالوصل والموت دونه إذا متُّ ظماناً فلا نزل القطر
وهو من قصيدته في ديوانه صفحة ١٥٧ والتي مطلعها:
أراك عصي الدمع شيمتك الصبر أما للهوى نهى عليك ولا أمر

كلمة البركة^(١)

لئن زاد عني صاحبي مُعْدِمًا شكى
له ظمًا يومًا فلا مَرَّ بي القَطْرُ
ولا زال في جنبِي أو في قَرَارَتِي
لتضييع ما استودعتُ من مائه قَطْرُ
ولا ابتُلُّ مما يسكبُ المِزْنُ (شَتْرُهُ)
إذا فاضَ من مسكوبِهِ غيرُهُ (شَتْرُ)
وما كان «صَقْرُ» من يذود ذوي الظُّما
عن الوردِ فليمكُثْ على جُودِهِ «صَقْرُ»
فعهدي به للحمدِ والأجرِ صابِيًا
وما خيرُ من لم يُصْبِهِ الحمدُ والأجرُ
وما الحُرُّ من يَروى ويعطشُ جارُهُ
ولكنَّ من بالعكسِ يأتي هو الحُرُّ
ويا واردي رفقًا بمشيكِ وأتَّئِدُ
وإلا فظَهَرانَا دنا منهُما الكَسْرُ
وإن كان سهلًا جَبْرُ ظهري فلم يكن
ليسهُلَّ بعدَ الكَسْرِ من ظهركَ الجَبْرُ
وإياك والوطءِ العنيفِ فربما
غدا لِكَلَيْنَا فيه أو بعضِنا ضُرُّ

(١) حفر الشاعر في بيته بركة لخزن الماء يوم أن كانت أزمة الماء شديدة في الكويت، فقال هذه القصيدة بهذه المناسبة. غير أنه لم يستعمل هذه البركة إلا شهرًا ثم ردمها.

وإن رُمْتَ في جوفي النزولَ فما أرى
بذلك بأسًا عندما حاجةٌ تعرو
ولكن له شرطان لا بدَّ منهما
هما في تدليكِ الترفُّقِ والطُّهرِ
وكن أخذًا بالنصحِ منِّي فربَّما
إلى مأخذي بالنصحِ منك ستُضطرُّ
لعلَّكَ في آتيكِ تحتاجُ رأفتي
كما بي إليها منك في حاضري فقُر
فما لكِ لينا صورةٌ مستمرةٌ
على كيمياءِ الدهرِ ما بقي الدهرِ
ويا ربما حَلَّتْ حياتُك تربتي
وحلَّ جمودي فيك وانعكسَ الأمرُ
فأصبحتَ في ماضي زمانِكَ بركةً
وأصبحتَ إنسانًا كما شاءَ الدَّورُ
فنحنُ وأنتم في الزمانِ ودوره
سواءٌ لكلِّ يعتلي مرةً قدرُ
دوآلكِ نعلو بالحياة وأنتم
علينا بها تعلون طورًا ولا فخرُ
فأحوالنا رهنُ التحوُّلِ ما غدا
عليها ليومٌ أو ليلتهِ مرُّ
وكم قد تبادلنا بما مرَّ صورةً
وشكلاً ولكن مات في نفسك الذُّكرُ
وإن قلتَ إن الدَّورَ شكٌّ به الحِجَا
وكشفُ ظلامِ الشكِّ أمرٌ به عُسرُ
أقلُّ لك قولاً ليس للشكِّ منهجُ
إلى صدقه في ما يرى الحِسُّ والحِجَرُ

أَلَمْ أَتَكُونُوا مِنْ جِسْمٍ جُودِكُمْ
وَأَعَزَّازُهُمْ عَرَفُوا وَإِذْلَالُهُمْ نُكْرُ
وَأِنْ لَمْ يَكُنْ كُلِّي فَجُلِّي مِنْهُمْ
وَإِنْ ظَنُّ غَيْرٌ غَيْرَ ذَلِكَ أَوْ غُمُرُ^(١)
أَعَادَهُمْ إِكْسِيرُ طَوْلِ زَمَانِهِمْ
وَهُمْ - ضَمْنُ عَفْرِ أَنْتَ وَاطْنَةُ - عَفْرِ^(٢)
وَأَيُّ رَوَابِي الْأَرْضِ أَمْ أَيْ وَهْدِهِمَا
لَأَسْلَافِكُمْ مَا خُطُّ أَثْنَاءَهُ قَبْرِ
فَإِنْ لَمْ تُرَاعُونِي فَرَاعُوا أَبْوَةً
بِهِمْ غُصَّ نَجْدُ الْأَرْضِ وَامْتَلَأَ الْغُورُ
وَهَا أَنْتَ بَلْ كُلُّ أَمْرٍ خَلْفَ جَدِّهِ
يَجِدُ بِهِ مِنْ مَرِّ أَيَّامِهِ سَيْرُ
عَلَى أَنْنِي مِنْكُمْ وَمَنْنِي أَنْتُمْ
لَأَنِّي بَعْضُ الْأَرْضِ وَهِيَ لَكُمْ جِذْرُ
إِذَا سَأَلَ الْفِكْرَ الْفَتَى عَنْ تُرَابِهِ
أَجَابَ جَوَابًا طَبَقَ مَا قَلَّتْهُ الْفَكْرُ
وَهَلْ سَارَ ذُو عَقْلٍ صَحِيحٍ عَلَى الثَّرَى
وَفِي سِيرِهِ الزُّهُوُّ الذَّمِيمُ أَوْ الْكِبَرُ
فَمَا اخْتَالَ مَنْ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ غَيْرُ مَنْ
أَدَامَ لَهُ السُّكْرُ الْغُرُورُ أَوْ الْخَمْرُ
وَلَوْ مَيَّ عَلَى الصَّاحِينَ إِلَّا إِذَا انْبَرَوْا
لَتَأْدِيبُ مَنْ أَنْسَاهُمْ الْأَدَبَ السُّكْرُ
فَمِثْلُ غَوَاةِ الْقَوْمِ يُلْفِي رَشِيدَهُمْ
إِذَا ضَلَّ عَنْ تَأْدِيبِهِمْ وَلَهُ صَبْرُ

(١) الغمر: الذي لم يجرب الأمور.

(٢) العفر: التراب.

ومن يستطع وعظ الغواة ولم يعظ
فعن أزره من صناعهم لم يمل وزر
من الشر ترك النصيح من ذي كياسة
مطيق لذي غي إذا ذكر الشر
وخير الوري إن يغرق الفلك من هدى
إلى العبر غرقاه إذا خفي العبر^(١)
وليس الذي ينحوه عن خبرة به
ويعرض عن قوم به ما لهم خبر
وهل ترفع الأفعال من أرشد الوري
وليس لهم من نصب إرشاده جر

(١) العبر: الشاطئ.

إلى السيد طالب باشا النقيب^(١)

ما في العراق لشمسٍ فضلكَ مُنْكَرُ
أُنَى وقد سَمَقَتْ تُنِيرُ فَتَبْهَرُ
شمسٌ من الفضلِ المبينِ قد اهتدى
بضياؤها مذ أشرقَتْ من يُبْصِرُ
شمسٌ لها من ذي المعالي «طالب»
شَرَفٌ فليست عن سِوَاهُ تُصْدرُ
شمس إذا أخفى شَبِيهَتَهَا الدُّجَى
أوراحٌ يُخفي من سناها العُثَيْرُ^(٢)
فهى التي مذ أشرقَتْ قد أقسمَتْ
أن لا تُرى يوماً بشيءٍ تُسْتَرُ
لكن بها عَشِيَتْ عُيُونُ عَصَابَةٍ
حَسَدَتْكَ شمسَ الفضلِ وهى تُنَوِّرُ
فغدَتْ من الحسدِ المذيبِ قلوبُهم
تشكو لظَى فيها يُشَبُّ وَيُسْعَرُ
والأهلُ للشُّكرِ أن من يشقى بهِ
قومٌ وأقوامٌ تُسَرُّ وتُحْبَرُ
ومحبتي الفضلِ المبينِ وأهلُهُ
طبعٌ لعمري في لا يتغَيَّرُ

(١) عندما زار الكويت سنة ١٣٤٣ بعد رجوعه من منفاه الأخير. وقد أعدها صقر لتلقى في احتفال النادي الأدبي لكن السيد طالب غادر الكويت قبل الحفلة.

(٢) العثير: الغبار.

فلذا تراني جئتُ أهدي مِدْحَةً
فيها لك الإخلاصُ مني يَظْهَرُ
ومحبتني إياكَ مجهودُ الذي
هو كلُّ ما يحويه مثلي مُعْسيرُ
أما الكويتُ فإنها قد أَصْبَحَتْ
بِحُلُولِكَ السامي بها تَتَبَخَّرُ
ولَما عَجِيبٌ أَنْ تَبَخَّرَ بِلَدَةٍ
فخراً ومثلُكَ راحَ فيها يَخْطُرُ^(١)
إنّا عرفنا فيك كلَّ مَزِيَّةٍ
يُثْنِي عليها ذو الحِجاءِ وَيَشْكُرُ
فلذا بمقدمكَ الكويتُ قد اغْتَدَى
حَظٌّ عَظِيمٌ لِلكويتِ وَمَفْخَرٌ



لما رجعتَ إلى العراقِ مسلماً
مما عليك من السَّياسَةِ يُحَذِّرُ
أَعْلَنْتُ صوتي بين قومي قائلاً
اليومَ عادَ إلى شَراهُ القَسُورِ^(٢)
وهل العراقُ الرَّحْبُ إلا غابَةٌ
من «طالبٍ» فيها الشجاعُ غَضَنْفَرُ
يا «طالبَ» العلَّيَّاءِ نلتَ من العُلا
ما لم يَنْزِلْ شَرواهُ نجمُ أنْهَرُ
فغدوتَ في أفقِ الفضائلِ كوكباً
عالٍ^(٣) كما تهوى الفضائلُ يُسْفِرُ

(١) في تاريخ الكويت: «... بلدة أنساً إذا ما رحت فيها تخطر».

(٢) القسور: الأسد، والشرى من مواضع الأسد

فَخِصَالُكَ الْغُرُّ الزَّوَاهِرُ إِن غَدَا
إِحْصَاؤُهُنَّ عَلَى أَمْرٍ يَتَعَسَّرُ
فَلَكُمْ تَعَالَتْ أَنْ يَحِيطَ بِعَدِّهَا
يَا ابْنَ الْأَمَاجِدِ قَبْلُ مِنْ هُوَ أَشْعَرُ

فهد الكريم فرع خير^(١)

يا نجلَ سالمِ الذي أخلاقُهُ
أثنى عليها النثرُ والأشعارُ
من أفضلِ الأقواتِ عندي حنطةٌ
منها غدت أهلُ الكويتِ تُمَارِ
لكنْ إجادَةُ طَبْخِهَا أوْ خَبْزِهَا
حَرَّنَا بِهَا وَأَظُنُّ أَنْ سَنَحَارِ
قالوا إذا كررْتُمُ صُنْعًا لَهَا
أتقنتموه فكَذَّبَ التُّكْرَارِ
كم مَرَّةً جَاءَتْ تَجَارِبُنَا بِهَا
عكسَ الذي نهواه أوْ نخْتَارِ
كل التجاربِ قد ذهبنَ بِهَا سُدَى
فجميعُهُنَّ متاعِبٌ وخَسَارِ
والجوعُ لم يتركْ لَنَا وَقْتًا بِهِ
تصفو - لكي نتعلَّم - الأفكارِ
فأَغِثْ مِنَ الْجُوعِ الذي أَلَامَهُ
منها على نفسي التَّقَتْ أَظْفَارِ
بأطايِبِ الأرزِ الذي قد شاقني
منه وصالٌ منعشٌ ومَزارِ
إني لأذكرُ طَيِّبَهُ وَمَسَاغَهُ
فيُمِيتُ عنه السَّلوَةَ التَّذْكَارِ

(١) قالها في الشيخ فهد السالم الصباح.

هيهات أن أسلو لَذاذَتَهُ التي
تُطَوَّى فينشُرُ فضائلها السُّمَّار
إني لأملُ منك مأمولاً إذا
صَعِبَ المرامُ وعَزَّتِ الأوطار
فأبوك يا فهد الكريم تحقَّقتُ
ففيه لي الآمال وهي كِبار
لم لا أؤملُ فرعَ خيرٍ طاب لي
من أصلِهِ وأعذُوبَ الإثمَار
أخصبتُ في أيامِهِ حتى لقد
أوهِمتُ أن جميعها «أذار»

جنة لا دار^(١)

أَنَا مِنْ لَا يَزَالُ يَعْلَمُ أَنَّ الدَّ
قُرْبَ مِنْكُمْ سَعَادَةً وَافْتِخَارَ
فَلِهَذَا سَوَى الدُّنْيَا إِلَيْكُمْ
مِنْ مَزَايَا الْحَيَاةِ لَا اخْتَارَ
غَيْرَ أَنِّي أَصْبَحْتُ مِنْ شِدَّةِ الْحَ
رِّ بِسَجْنٍ مِنْهُ يَعْزُّ الْفِرَارَ
لَا تَقُولُوا إِنَّ الصُّقُورَ إِذَا مَا
سُجِنَتْ فِي سُجُونِهَا لَا تَحَارَ
كُنْتُ كَاسْمِي صَقْرًا وَلَكِنِّي الْيَوْمَ
مِ لِكُونٍ قَدْ عَمَّ جِسْمِي هَزَارَ
فَدَعُونِي مِنْ اسْتِزَارَةِ جِسْمِي
فَضْعِيفُ الْجُسُومِ لَا يُسْتَزَارَ
وَفَوَادِي لِدَيْكُمْ مِذْ زَمَانٍ
جَمَعَتْ فِيهِ شَمْلَنَا الْأَقْدَارَ
وَعَلَى «الْوَطَنِيَّةِ» التَّحِيَّةُ مِمَّنْ
سَامَرْتُهُ مِنْكُمْ بِهَا الْأَحْرَارُ^(٢)
فَأَعَادَ السُّمَارُ فِيهَا حَصَاهَا
وَهُوَ أَبْهَى مِمَّا يَخُصُّ الْمَحَارُ

(١) بعث بهذه القصيدة إلى صديقه المرحوم عبدالملك بن الشيخ صالح المبيض وكان المرحوم عبدالملك يرسل ابنه صالح بن عبدالملك وزير التربية الأسبق إلى الشاعر ليصطحبه إلى بيته في كل يوم خميس ويبقى عنده حتى العشاء وفي هذه القصيدة يعتذر عن عدم الحضور لشدة الحر.
(٢) الوطنية: مكان.

وَتَنَى رَمَلَهَا كَأَجْمَلِ مَا «نَيْ
سَانُ» يُبْدِي لِنَظَرٍ أَوْ «أَذَارُ»
فَكَأَنَّ الْمَصِيفَ فِيهَا رَبِيعٌ
نَشَرَتْ بُسْطَ زَهْرِهِ الْأَمْطَارُ
وكذا كل بقعة كان فيها
من أبي صالح العلالي جار
كل دارٍ تَضُمُّنِي وَعِلَاهُ
فَهِىَ وَاللَّهِ جَنَّةٌ لَا دَارُ
ذِي سَجَايَا تَوَدُّ كُلَّ الرُّوَابِي
أَنَهَا فَوْقَ هَامِهَا أَزْهَارُ
لَوْ رَأَاهَا بَشَّارٌ فِي أَدَمِيٍّ
تَابَ مِمَّا أَتَى بِهِ بَشَّارُ
أَوْ رَأَى قَائِلٌ بِاضْطِرَارٍ
عَادَ قَصْدًا مَقَالُهُ الْاضْطِرَارُ
جَمَعَ اللَّهُ فِيهِ شَتَّى الْمَزَايَا
فَلَهَا فِيهِ مِلْتَقَى وَانْحِصَارُ
وَعَلَى أَنَّنِي إِلَيْهِنَّ صَابٍ
قَدْ تَمَادَى بِهِنَّ عَنِّي نِفَارُ
لَوْ بَجِدَّ يَنَالُهَا وَاجْتِهَادُ
مَنْ تَلَطَّى بِهِ إِلَيْهَا أَوْارُ^(١)
نَلْتُ مِنْهَا أَوْ نَلْتُهَا غَيْرَ أَنَّ الدَّ
نَاسَ تُرِبُ كَأَرْضِهِمْ أَوْ نُضَارُ^(٢)

(١) الأوار: لفح النار ووهجها.

(٢) النضار: الذهب والفضة والخالص من كل شيء.

أو كمثلِ النِّبَاتِ يَنْبُتُ مَضْطَّ
—رًا وفيه كُرَاتٌ وعَرَار
حِكْمَةٌ كُنْهًا خَفِيٌّ وَلَمَّا
تَخَفَ مِنْهَا عَلَى النُّهَى الْآثَارُ
فَهِى كَالرُّوحِ فِي الْفِعَالِ تَجَلَّتْ
وَاسْتَقَلَّتْ بِكُنْهِهَا الْأَسْتَارُ

قومي العرب

فإن تَضيقِ الكويتُ اليومَ عني
وما ضاقت بأمثالي الديارُ
فكم بلدٍ لقومي العُربِ فيه
سيحلُّولي من السَّعةِ القَرارِ
وليس يموتُ من ظمأٍ وجوعٍ
بمربطٍ ظالمٍ إلا الحمار

أصيح

أَصِيحُ بَمَنْ لَهُ عَيْنٌ وَعَيْنٌ
وليس بهِ على عَيْنِيهِ خَيْرٌ^(١)
فَمَا يَهْدِي ضَرِيرًا فِي طَرِيقٍ
بِهِ أَلْقَتْ كَلَاكِلَهَا الْوُجُورُ
وَلَا يُرْوِي الْعَطَاشَ - وَإِنْ أَلْحَوْا
عَلَيْهِ بِالسُّؤَالِ - لَهُ نَمِيرٌ
وَلَيْسَ يَشْمُ عَافٍ مِنْ قُتَارٍ
لَمْطَبْخِهِ وَمَطَبْخُهُ عَمِيرٌ
فَفِيهِ مِنْ صَنُوفِ الزَّادِ مَالًا
تَزَالُ لَهُ بِهِ تَغْلِي قُدُورُ
وَإِنْ يَجْمَعُهُ وَالْبُؤْسَاءُ نَادٍ
تَغَشَّاهُ لِنَظَرِهِمْ نُفُورُ
وَشَالَ بِأَنْفِهِ كِبَرًا عَلَيْهِمْ
بِمَا آتَتْهُ دُنْيَاهُ الْغُرُورُ
رَوِيدًا أَيُّهَا الطَّاعِي رَوِيدًا
فَإِنَّ الدَّهْرَ خَدَّاعٌ غَدُورُ
فَقَبْلَكَ أَطْلَعَ الْإِثْرَاءُ مِنْهُ
لِقَوْمٍ أَنْجَمًا زُهْرًا تُنِيرُ

(١) العين الثانية: الذهب.

فَظَنُّوا أَنهَا تَبْقَىٰ فَعَادَتْ
- وَأَنفُ الظَّنِّ مَرغُومٌ - تَغُورُ
فَحَسْبَكَ إِن عَقَلْتَ بِهِمْ نَذِيرًا
فَقَدْ يَجْدِي ذَوِي الْعَقْلِ النَّذِيرُ
يَوَدُّ الْمُؤْمِنُونَ إِذَا حَوْثَهُمْ
مَضَاجِعُ أَنهَا لَهُمْ قُبُورُ
لِزَارِ هِزْبٍ مَّرَّ الْجُوعِ فِيهِمْ
وَلَيْثُ الْجُوعِ فَتَّاكَ هَاصُورُ
وَلَوْلَا شُحُّ أَهْلِ الْمَالِ مِنَّا
لَمَا اسْتَصْبَاهُمْ الْمَوْتُ الْمَرِيرُ
تَبَارَكَ مَنْ أَفَادَهُمْ بِحُورًا
مِنَ الْأَمْوَالِ زَاخِرَةً تَمُورُ
وَأَسْكَنَ فِي جَوَانِحِهِم عَلَيْنَا
قُلُوبًا دُونَ قَسَوَاتِهَا الصُّخُورُ
فَمَا يُشْجِيهِمُ لِلْبُؤْسِ فِينَا
مِزَامِيرُ لَهَا أَبَدًا نَعِيرُ
فَصَبْرًا أَيُّهَا الْبُؤْسَاءُ صَبْرًا
فَعَقَبَى الصَّبْرَ يَحْمَدُهَا الصَّبُورُ
فَفِي الصَّبْرِ الْجَمِيلِ لَكُمْ رَحَابُ
إِذَا ضَاقَتْ بِكُمْ لِلْبُؤْسِ دُورُ
وَإِن آذَاكُمْ جُوعٌ فَمِنْهُ
بِعُتْنُنُونِي يَلُوحُ لَكُمْ قَتِيرُ
وَإِن تُصْبِحْ ثِيَابُكُمْ رِثَاءًا
فَفِي مَشْتَايَ فِي ثَوْبِي فُزُورُ
لِنَرْقُبَ مَا طَوَاهِ الْغَيْبِ عَنَّا
فَعَنَّهُ سَوْفَ تَرْتَفَعُ السُّتُورُ

لعلّ لنا بجوف الغيب خيراً
وعَلَّ الدهرَ بالحسنَى يحور
لنمكُتْ تحت ظلِّ الصَّبرِ حتّى
يحينَ لنا من الآتي سُفور
عسانا أن نقولَ إذا رأينا
مصيرَ الصبرِ يا نِعَمَ المصير
وثوبُ الصبرِ فيه للابسيه
جمالٌ لا يجيءُ به الحرير
وفي أخراه كلُّ أخٍ اصطبارٍ
لدى مولاهُ بالحسنَى جدير
فحسبُ الصابرينَ بِذا ثواباً
ففي هذا لهم خيرٌ كثير
بحُسنِ الصبرِ أوصيكم لأني
ببإعاني عن إعانتكم قُصور
ولو أني ملكْتُ ولو قُروشاً
لَقمتُ لبئها فيكم أدور

انقذوا الحيوان من أذى الصبيان^(١)

كُلُّ طِفْلٍ بِكَفِّهِ عَصْفُورٌ
من أذاها يكاد فيها يَبُورُ
مُتَأَذٍّ من قبضة الطفل والطف
لُ له من أذى الطيور سُرور
حَسَبَ ما العادُ يقتضيه وكم أب
صَرَّتْ شَرًّا من عادةٍ يستطير
عُودَ اللهو بالطيور فأبدي
صَفْوَهُ ما لها به تكدير
وهي في الحسِّ مثله فلديها
مُوجِعُ الطفل مُوجِعُ مَحْذُور
وهو عنها بما لاشعور عداه
من تماثيل لهوهِ ميسور
لكن الوالدُ الشفيقُ عليه
فاتَهُ من أموره التفكير
فأراد السرورَ للطفل من حَيْدٍ
نُ إلى الطفل يهتدي التفرير
إنَّ غِبَّ الأمرِ الذي رامَ للطف
لِ سروراً به أبوه مَرِير

(١) تَفِد أنواع العصفير في موسم الربيع قادمة من الجنوب، وكان من عادة الصبيان نصب الفخاخ لهذه الطيور وصيدها واللعب بها. فقال هذه القصيدة.

إِذْ يَرَى طِفْلَهُ يَشِبُّ عَلَى مَا
 لَيْسَ يَرْضَى بِهِ إِلَهُ الْقَدِيرِ
 أَتَرَى بَارِئَ الطَّيُورِ بَرَاهَا
 لَتَرَى مِنْ أَذَى الْوَرَى مَا يَضِيرُ
 رَبُّ إِيَّاهُ عَلَى الْوَرَى سَهْلًا تَهُ
 عَادَةُ وَالسُّهُولُ مِنْهُ وَعُورُ
 إِنَّ لَهُوَ الْوَلِيدُ بِالطَّيْرِ زُورُ
 - لَوْدَرَى وَالِدُ الْوَلِيدِ - خَطِيرُ
 وَعَلَيْهِ الْعِقَابُ لَا بُدَّ أَنْ يَأْ
 تِي وَشَرُورَى تَعْجِيلُهُ التَّأْخِيرُ
 فَهُوَ إِنْ لَمْ يَلْقَ الْجَزَاءَ مَدَى الْعَمِ
 رٍ فَعُمُرُ الْإِنْسَانِ جَدًّا قَصِيرُ
 وَسِيلَقَاهُ بَعْدَمَا يَنْقُضِي الْعُمُ
 رُ كَمَا لَا يَشَاءُ وَهُوَ عَسِيرُ
 يَغْفِرُ اللَّهُ لِلْوَلِيدِ فَهَلْ ذَنْبُ
 حُبِّ أَبِيهِ كَذَنْبِهِ مَغْفُورُ
 فَلْيَسَلْ عَنْ مَقَالِي الْعَقْلَ إِنَّ الدَّ
 عَقْلَ دَارٍ بِمَا أَقُولُ خَبِيرُ
 لَمْ يَهَبْهُ إِلَهُهُ الْعَقْلَ إِلَّا
 لِهُدَاهُ فَهُوَ النَّذِيرُ الْبَشِيرُ
 لَيْسَ يَدْرِي ضَلَالَهُ مِنْ هُدَاهُ
 مِنْ لِهَادِي الْحِجَاءِ لَا يَسْتَشِيرُ
 فَاتَّخِذْ مِنْهُ فِي الْأُمُورِ مَشِيرًا
 وَفَقَّ أَثَارَ نُصَحِهِ إِذْ تَسِيرُ
 هَلْ تَرَى الْعَادَةَ اللَّئِيمَةَ غَرَّتْ
 مِنْ بِمَصْبَاحِ عَقْلِهِ يَسْتَنْزِيرُ

حُسْنُ عَادَاتِ أَوْلَيْنَا أَوْ الْقُبُ
حُ بِهِ عَنْهُمَا تَشْفِ السُّتُورُ
فَيَبِينُ الْعَادُ الَّذِي هُوَ لِلْأَخِ
بِذِ أَوْ التُّرْكِ مُسْتَحَقُّ جَدِيرُ
فَالْبَائِنَا عَوَائِدُ شَتَّى
رَسَخَتْ بَيْنَنَا لَهُنَّ جُذُورُ
بَعْضُهَا يَنْطَوِي عَلَى الْقُبُحِ وَالشَّ
رُّ وَفِي بَعْضِهَا جَمَالٌ وَخَيْرُ
وَهَوَانَا اقْتِفَاءً عَادَاتِهِمْ إِنْ
لَمْ تُنِرْهُ سُرُجُ النُّهَى دَيَّجُورُ
وَعَسِيرُ التَّمْحِصِ وَالْكَشْفِ عَنْهُ
بِذَا سُرُجُهَا أَضْأَنَ يَسِيرُ



أَيُّهَا الْبَطْلُ أَنْتَ عِنْدِي عَلَى مَا
سُمِّتَهُ الْبَطْلُ مِنْ أَدَى مُعْذُورُ
مَا لِأَمْرِ تَمَرُّ عُقْبَاهُ أَوْ تَحُ
لِلْوَلَدِ ذِي طِفْلَةٍ تَقْدِيرُ
فَجَاءَ الصَّغِيرُ عَنْ فَهْمِهِ الْعُقُ
بِي لِأَمْرِ بِهِ يَجِيءُ صَغِيرُ
لَسْتُ أَنْتَ الَّذِي جَنَيْتَ عَلَى الْبَطْلِ
رَ وَلَكِنْ جَنَى أَبُوكَ الْكَبِيرُ
أَنْتَ لَوْلَا وَلِيٌّ أَمْرُكَ لَمْ تَقُ
رُبُّ إِلَى الْبَطْلِ مِنْ يَدَيْكَ شُرُورُ
مَا غَدَا فِي يَمِينِكَ الطَّائِرُ الْمَسُ
كَيْنُ لَوْلَا أَبُوكَ وَهُوَ أَسِيرُ

هو ألقاهُ في يديكَ كأنَّ لم
يَدْرُ ما منهما تُقاسي الطيور
كم رأى طائراً بكفكَ يوماً
وهو ميتٌ من ضغطها معصور
أو رأى رجله رهينةً خيطٍ
وهو حيٌّ بخيطه مجرور
أو رآه يشكو كفاف جناحيه
له ومنه القُلابُ دام كسير
أو رأى ريشه النُّظيمَ حواليد
ك من النُّتفٍ وهو مُلقَى نثير
أو رآه سجينَ سجنٍ يُسمَّى
قفصاً، منه شاقه التحرير
فهو منه حبُّ التحرير في الننا
س لعيّنيه ما أتوه يُدير
يتوَحَّى حُرّاً رحيماً يُفادي
سجنه من يمينه تكسير
وأبو الطفل حول ما الطفل يأتي
له إلى طيره بصيرٌ ضَرير
يتشكَّى بملء فيه إليه
حسب ما شاء كربة الموفور
وتُنزِّي الألام منه جُسيماً
يجهل الصَّبْرَ قلبه المفطور^(١)
وكان الشُّكاة عند أبي الطف
ل أغنان أتى بهنَّ الحُبور

(١) تنزي: تجعله يثب. والمفطور: المشقوق.

وَالتَّنَزِّي مِنْ هَوْلٍ مَا هُوَ يَلْقَى
 رَقَصُ أَنْسٍ عَنْ جَدِّهِ مَأْثُورٍ
 مَشْهَدٌ لَوْ بِهِ تُحْسُ صُخُورٌ
 لَغَدَتْ رِقَّةٌ تَذُوبُ الصُّخُورِ
 كُلُّ مَا رَمَتْ أَنْ أَعْبُرَ عَنْهُ
 ضَاقَ ذَرْعًا بِعَبْرَتِي التَّعْبِيرِ
 وَهُوَ لَمْ يَنْهَهُ الضَّمِيرُ وَلَا الْعَقْلُ
 لَمْ فَهَلَ مَاتَ عَقْلُهُ وَالضَّمِيرُ
 أَمْ رَأَى ذَنْبَهُ الْعَظِيمَ حَقِيرًا
 مِثْلَ مَا يُوهِمُ الْأَثِيمَ الْغُرُورُ
 لَا أَرَاهُ يَرْقُبُ إِلَّا إِذَا مَآ
 صَدَمَتْهُ بِعَكْسِهِنَّ الْأُمُورُ
 فَرَأَى طَيْرَهُ صَبِيحًا وَأُضْحَى
 وَهُوَ فِي كَفِّ طَيْرِهِ زُرُورُ
 فَبَعَسَ الْأُمُورِ مِنْ سَكْرَةِ الْغُرُورِ
 رُبَّةٌ يَشْقَى فَوَادُهُ الْمَخْمُورُ
 وَسَيِّشَقَى بِمِثْلِ ذَاكَ وَأُدْهِى
 إِنْ عَدَاهُ مِنْ فَعْلِهِ التَّغْيِيرِ
 فَلْيَتَّبِ مِنْ ذَنْبِهِ وَلْيُكَفِّرْ
 فَالْمَلَأُ الْمَتَابُ وَالتَّكْفِيرُ
 يَا قَوِيًّا فَمُ الضَّعِيفِ بِشَكْوَا
 هُ مَعَانَاةُ شَرِّهِ مَفْغُورُ
 إِنْ مِنْ صَاغَهُ وَصَاغَكَ مَسْمُورُ
 عٌ لَدَيْهِ مَا يَشْتَكِي مِنْظُورُ

ويكون الجزاء ما شكَّ من مِند
 له استقام التفكير والتَّنْقِير
 كلُّ أمرٍ إليه جئتُ سِيالِقا
 كَقريبًا جزاؤه المذخور
 فأت ما شئتُ من صنيعٍ تجده
 مثمرًا حسبما تكون البذور
 وتوقع يومَ الجزاء فما يؤ
 م جزاء الصنيع منك شَطِير
 ولكلُّ من صنيعه أو عليه
 لا سواه قليله والكثير
 وصنيعُ الطفل المدبِّر مصنو
 عٌ وليٌّ منه له تأثير
 فأذى النُّجْل للطيور على النسا
 جلٍ وقف جزاؤه مقصور
 إذ يمين الوليد لولا أبوه
 لم يَنْبُ طائرًا لها تسخير
 إنما الطفلُ سائرٌ حسب ما يَأ
 تي له من وليِّه التسيير
 قَلْبُ الأمرِ قبل أن ينشأ الطفل
 لُ عليه حتى يتم الظُّهور
 فبطون الأمور عنهن قد تش
 غلٌ إلا مقلَّبِيها الظُّهور
 يستقيم الغصنُ النضير إذا ما
 قوِّموه والطفلُ غصنٌ نضير

وكما شاءَ المَقَومُ يَبْقَى
بَعْدُ يُبْسِلُ لَهُ عَلِيهِ مَرُور
لِلْمُرَبِّي فِي الطِفْلِ صَنَعُ كِفَانِي
بَسْطَهُ الْآنَ أَنَّهُ مَشْهُور
غَيْرُ خَافٍ مِنَ الْمُرَبِّينَ فِي الْأَطْ
فَال - حَتَّى أَبِينَهُ - التَّائِير
وَتَأْمَلُ يَظْهَرُ لِعَيْنَيْكَ مَنْف
سَوْعُ مُرَبِّي الْوِلْدَانِ وَالْمَضْرُور
مَلْتَقَاهُمْ أَوْرَاقُ سِفْرِ تَنَافَتْ
مِنْ فَرِيقَتَيْهِمْ بِهِنَّ السُّطُور
وَعَلَى الْفَطْرَةِ الْقَدِيمَةِ كُلُّ
يَوْمٍ لَاقَى حَيَاتَهُ مَفْطُور^(١)
لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ قُبَيْلَ الْمُرَبِّي
نَ عَظِيمٌ مِنْ فَرَقِهِمْ أَوْ حَاقِير
وَبِمَا جَاءَهُ الْمُرَبِّونَ مِنْ بَعْدُ
سَدُّ تَنَافَى صُعُودُهُمْ وَالْحُدُور
فَالْمُرَبِّي - لَمَّا أَتَاهُ إِلَيْهِمْ
حِينَ رَبَّى - الْمَذْمُومُ وَالْمَشْكُور
فَاتَّقِ اللَّهَ فِي الصَّغِيرِ فَإِمَّا
وَا زِرْ أَنْتَ فِـيهِ أَوْ مَـوْزُور
لَا تَغُرَّنْكَ عَادَةٌ بِالتَّفَشِّي
مَا التَّفَشِّي لِعَادَةٍ تَبْرِير
كَمْ تَفَشَّتْ مِنْ عَادَةٍ وَالْمُفَشِّي
أَوَّلًا فِي الْوَرَى لَهَا مَمْرُور

(١) مفطور: مخلوق ومنشأ.

وَهُمْ بِالْعُقُولِ لَوْ فَحَصَوْهَا
سَرَّهُمْ طَيِّبُهَا وَسَاءَ النَّشُورُ
قَلَّ مِنْهُمْ فَحَصٌ بِهِ يَتَجَلَّى
مُسْتَجَازُ الْعَادَاتِ وَالْمَحْظُورِ
قَلَّدَ النَّاسُ بَعْضَهُمْ فِي مُرِيبَا
تِ مِنْ الْعَادِ فَحَصُهَا مَهْجُورُ
لَا تُقَلَّدُ تَقْلِيدَ أَعْمَى لِأَعْمَى
فَوْقَ دَرْبٍ مَا شَيْءٌ كَابٍ عَثُورُ
عَابِرُ الدَّرْبِ خَلْفَ هَادٍ ضَرِيرُ
يَتَأَذَى إِنْ لَمْ يُمِثَّهُ الْعُبُورُ
وَاسْلُكِ الدَّرْبَ نَاضِرًا مِنْكَ بِالْعِيدِ
مِنْ هُدَاهُ يَسْهَلُ عَلَيْكَ الْمُرُورُ
لَوْ أَرَادَ الْإِلَهُ تَعْطِيلَكَ الْعِيدِ
مَنْ تَخَطَّى إِنْسَانُهَا التَّنْوِيرُ
أَيُّ هَذَا الْإِنْسَانُ إِنْ الْحَيَاوِي
مَنْ لَهَا بِالصَّنِيعِ مِنْكَ شُعُورُ
كُلْ جَنْسٍ مِنْهُنَّ لِلنَّاسِ فِي الْإِحْسَا
سٍ نِدٌّ وَفِي الشُّعُورِ نَظِيرُ
فَلَمَّاذَا تُذِيقُهَا مَا عَلَيْهِ
مِنْكَ لَوْ ذُقْتَهُ يَجِدُ النَّكِيرُ
الْخَعْفَ الْحَيَوَانَ جُرَّتَ عَلَيْهِ
أَمْ لِأَمْرِ سِيَّوَاهُ أَنْتَ تَجُورُ
لَسْتُ أُدْرِي مَا سِرُّ ظِلْمِكَ وَالظُّلُ
مُ بِهِ لِفَتَى يَسُوءُ الْمَصِيرُ

أَمِنْتَ الْعَدْلَ الَّذِي كُلُّ شَيْءٍ
لَكَ عَنْهُ مَتَرَجِمٌ وَنَذِيرٌ
إِنْ عَدَلَ إِلَهُ مَا ارْتَابَ فِيهِ
مَنْ إِلَيْهِ بِالْفِكْرِ كَانَ يَحُورُ
فَأَجِلْ فِيهِ طَرْفَ فِكْرِكَ تَرْجِعْ
بَعْدَ هَذَا الْعَمَى وَأَنْتَ بَصِيرٌ

من أعمى إلى عميان

أَلَا أَعْمَى بِمَحْيَاهُ سُورُورُ
وهل يا صَقْرُ فيه له حُبُورُ
فقلتُ لهم عمى العُمَيَانِ أُسْرُ
وهل في الأُسْرِ يَبْتَهِجُ الأُسَيْرُ
فقالوا العُمَى أَكْثَرُهُمْ سِمْانُ
وهل سِمْانُ بِلَا أَنْسٍ يَصِيرُ
فقلتُ لهم سِمْانُ العُمَى مَاتَ
مشاعِرُهُمْ فليس لهم شُعُورُ
وموتُ مشاعِرِ العُمَيَانِ دَرْبُ
عليه لهم مَسَرَّتُهُمْ تَسِيرُ
أَلَمْ يَسْلَمْ مِنَ السِّمَنِ المَعْرِي
وبشارُ ومثْلُهُما يَسِيرُ
وَأَنْى يَكْتَسِي هَذَانِ لَحْمًا
وكانا من ذَكَاءٍ وَهُوَ نُورُ
وما الأَنْوَارُ إِلَّا من سَعِيرِ
وهل يُبْقِي على اللحم السَّعِيرِ
ذكرتُهُما فِيا عَيْنِي سِيلَا
دماءٌ ضِمْنُهَا ماءٌ غَزِيرُ
هُمَا أَخَوَايَ قَدْ سَلَفَا وَإِنِّي
وَمَقْتُهُمَا وَمَا لَهُمَا نَظِيرُ

فَسَكَبُكُمَا دُمُوعَكُمَا احْتِجَاجٌ
 وَقَدْ يَحْتَاجُ بِالْدمْعِ الْفَقِيرُ
 عَلَى زَمَنِ عَلَى الْعُمَيَّانِ مِمَّنْ
 تَحَرَّرَ فَكَّرُهُمْ فِيهِ يَجُورُ
 أَلَمْ يَمْنَعْ تَلَاقِيَهُمْ لَكِيلاً
 يُخَفِّفَ فِيهِ عَنْهُمْ مَا يَضِيرُ
 دَرَى أَنَّ الضَّرِيرَ لَهُ سُرُورٌ
 كَبِيرٌ حِينَ يَلْقَاهُ الضَّرِيرُ
 فَشَتَّتَ شَمْلَهُمْ تَشْتَتِ مَنْ لَمْ
 يُقَرِّعْهُ عَلَى الْجَوْرِ الضَّمِيرُ
 كَأَنَّ زَمَانَنَا مَالِكٌ ظَالِمٌ
 عَلَى ضَعْفَاءِ أُمَّتِهِ يُغَيِّرُ
 فَيَسْلُبُ مِنْهُمْ مَا يَشْتَهُيه
 وَمَا إِلَّا هَوَاهُ لَهُ مُشِيرُ
 تَرَاهُ فِي بَوَاحِرٍ مِنْ هَوَاهُ
 دُمُوعُ الْبَائِسِينَ لَهَا بِحُورُ
 يَسِيرُنْ إِذَا يَسِيرُنْ عَلَى بُخَارٍ
 صَدُورُ الْمَعْدَمِينَ بِهِ تَفُورُ
 أَكَادُ أَذُوبٍ مِنْ حَنْقِي إِذَا مَا
 تَمَثَّلَ فِي مَخِيَّاتِي شَرِيرُ
 أَعْضُ أَنْامِلِي عَضّاً لَغِيظِي
 عَلَى مَنْ تَسْتَخَفُّهُمْ الشُّرُورُ
 وَأَضْرَبُ بِالْيَمِينِ وَلَيْسَ فِيهَا
 سِوَى عِكَازَةٍ فِيهَا فُطُورُ^(١)

(١) فطور: شقوق.

لَأُقْطِرَ رَأْسَ مَنْ يَبْغِي عَلَى مَنْ
بِهِ قَعَدَتْ مِنَ النَّاسِ الدُّهُورُ
فَأَكْسِرُ مَنْ أَوَانِيَّ اللُّوَاتِي
تَأْتِيهَا عَلَى مِثْلِي عَسِيرُ
هَنَّاكَ أَفِيْقُ مِنَ أَلَمِي بِقَوْمِ
مَنَاطِيْدُ الشُّرُورِ بِهِمْ تَطِيرُ
فَأَعْلَمُ أَنَّنِي فِي صَحْنِ دَارِي
وَمَا حَوْلِي عَظِيمٌ أَوْ حَقِيرُ



يُمَزِّقُنِي انْحِطَاطُ الْعُمِّي حُزْنًا
وَكُلُّهُمْ عَلَى الْعَالِيَا قَدِيرُ
فَإِنْ تُعَوِّزُ أَكْفَفُهُمْ رِمَاحُ
يَشُوقُ شَجَاعَهُمْ مِنْهَا صَرِيرُ
وَتَصْفَرُّ مِنْ مَدَافِعَ فِي دِفَاعِ
يَهْزُ كَرِيمَهُمْ مِنْهَا هَدِيرُ
فَفِي دَرَسِ الْعِلْمِ لَهُمْ رُقِيٌّ
تَمْنَى مِثْلَهُ الشُّعْرَى الْعَبُورُ
وَفِي دَرَسِ الْعِلْمِ لَهُمْ مَحَلُّ
تَوَدُّ لَوْ انْجَلَتْ فِيهِ الْبُذُورُ



«لَهُومِيروس» فِي الْيُونَانِ فَضْلُ
يُفَاخِرُ مِنْهُمْ فِيهِ الْفَخُورُ
وَ«طَه» قَدْ بَنَى مَجْدًا رَفِيعًا
لَهُ بَيْنَ الْوَرَى شَأْنٌ خَطِيرُ

وفي هذين أسوّة كل أعمى
لبيب قلبه قلب كبير
~~~~~

عليكم معشر العميان أن لا  
يَمَسَّكُمْ عن العاليا فتور  
فقد يبني ضرير القوم مجداً  
يُقَصِّرُ أن يفوز به البصير  
وليس تنال يا عميان فخرأ  
بهذا العصر عميان تخور  
فأعصار التكاسل قد تَوَلَّى  
وهذي بالنشاط لكم عصور  
عمى العميان مقبرة ولكن  
لهم منها بعلمهم نُشور  
فبالعلم الشريف لكم حياة  
تحفُّ بها الحامد والأجور  
وهل أصبّت سوى هذين شخصاً  
له لبُّ تَمِيِزُ به أمور  
ولا تَرْضَوْا جهالتكم فإني  
رأيتُ الجهل كَأَبَتْهُ عَقور  
يعيشُ الجاهلون من البرايا  
كما تحيا بدنياها الحمير  
يَحْمَأُها ذَوُّها كل عبءٍ  
ويُقْنِعُها على الكد الشعير

\*\*\*\*

## فرق كبير

أيشكو حولك الفقرَ الفقيرُ  
ومالكَ وافِرُ جَمِّ كَثِيرُ  
كَأَنَّكَ لَا تُحْسِنُ لَهُ شَكَاءَ  
يُرَدِّدُهَا الْأَنْبِيَاءُ أَوْ الزُّفَيْرُ  
فَدَعَهُ وَهُوَ عَارِي الْجِسْمِ طَائِرُ  
فَمَشَّهَدُ بؤْسِهِ لَكَ لَا يَضِيرُ  
لَأَنَّ قَبِيحَ بَخْلِكَ طَالَ حَتَّى  
تَخَوَّفَهُ ففَارَقَكَ الْخُصْمِيرُ  
وَلَا تَعْبَبُ مَتَى تَشْبَعُ بِشَيْءٍ  
فَذَاكَ الشَّيْءُ حَمْدٌ أَوْ أَجُورُ  
وَمَا كُلُّ أَمْرٍ أَثَرِي لِحَمْدٍ  
وَأَجْرٍ مُسْتَحَقٌّ أَوْ جَدِيرُ  
فَبَعْضُ الْيُسْرِ فِي الدَّارَيْنِ شَرُّ  
عَلَى ذِي الْيُسْرِ مِنَّا مُسْتَطِيرُ  
وَمِنْهُ الْبَعْضُ يُعْقِبُ حُسْنَ أَجْرٍ  
وَحَمْدًا لَيْسَ تُبْلِيهِ الدَّهْورُ  
وَمُغْنِيكَ الْمَحَاسِبُ عَنْ قَرِيبٍ  
وَذَاكَ الْعَالَمُ الْعَدْلُ الْقَدِيرُ  
وَمَا عَنْ عَدْلِهِ لَكَ مِنْ فَرَارٍ  
وَمِنْكَ عَلَيْهِ لَا تَخْفَى الْأُمُورُ



ستندمُ والندامةُ ليس تُجدي  
إذا الزُّراعُ أجنَّتْها البُذور  
هُنالِكَ بين ما يجني بخيلٍ  
ويجني محسنٌ فرقٌ كبير  
فذاك له أسى في مَنْزَلَيْهِ  
وذا في المنزَلَيْنِ له سرور  
ففي الأولى جزاءُ الفعل يأتِي  
مُعَجَّلُهُ وفي الأخرى الأخير  
وعَدْلُ الله لا يُلغي جزاءً  
فلا يغرُّكَ بالله الغرور<sup>(١)</sup>  
تأمل هل ترى إلا أناسًا  
عن الدنيا إلى الأخرى تسيرون  
وأيُّ الذاهبين إلى ثراهم  
لترخى منه فوقهم السُّتور  
رأيتَ المالَ يتبعُ منه نَعْشًا  
لكي يلقاهما معًا الحفير  
ولو دَفَنُوا مع الموتى ثراءً  
أطالت هُزْأُها بهم القبور  
وأصْبَحَ في الثرى المدفون فيه  
ثراءُ القوم وهو له نظير  
فسِيَّانِ الصفائحُ من نُضارٍ  
على الموتى هنالك والصُّخور  
جميعُ المال يغدو وهو إرثٌ  
لأيدٍ كان عنه بها قصور

---

(١) الغرور: الشيطان.

فيذهب نادماً ذو البخل لكن  
 من الوراث تنشرح الصدور  
 فلا تغبط من المثرين شخصاً  
 عن الإحسان يعرض أو يجور  
 فخير المال ما يئني رواء  
 عطاش الفقر بارده النمير<sup>(١)</sup>  
 وشراً المال ما منعته أيد  
 أناساً أمر عسرهم عسير  
 فأشقى الناس كلهم غني  
 لعاف ليس يرجى منه خير<sup>(٢)</sup>  
 وليس يشك في مشقاه منا  
 سوى من طرف نهيته ضرير<sup>(٣)</sup>  
 تعالى الله من لو شاء أئرت  
 إناث الناس طراً والذكور  
 فإغناء الجميع من البرايا  
 عليه هين سهل يسير  
 ولكن غير ذاك قضاة فينا  
 فكان اليسر والعسر المرير  
 وما الإغناء والإفقار إلا  
 ليسر ما عليه لنا ظهور  
 وظنني أن هذي الناس لولم  
 يفتها ذلك السر الخطير

(١) النمير: العذب.

(٢) العافي: طالب المعروف.

أَتَى مِنْ شُحِّهِ أَعْمَى نُهَاهُ  
عَنِ الْإِحْسَانِ وَهُوَ بِهِ بَصِيرٌ  
وَلَمْ تَرَ مَأْرِيًّا لِلنَّاسِ يَوْمًا  
إِلَيْهِ عَنْ مَكَارِمِهَا تَحْوِرُ<sup>(١)</sup>  
وَوَظَّلُوا وَاصْطَنَاعُ الْعُرْفِ فِيهِ  
زُيُودُهُمْ تُنَافِسُهَا الْعُمُورُ  
وَلَمْ يُتَّكَمْ مَالًا قَطُّ إِلَّا  
لِيَبْذُلَهُ كَبِيرٌ أَوْ صَغِيرٌ  
وَلَكِنْ سِتْرُ سِرِّ اللَّهِ ضَافٍ  
وَقَدْ يَبْدُو لِلنَّاسِ مِنْهُ نُورٌ  
لِذَا شُغِفَتْ بِبِذْلِ الْعُرْفِ نَاسٌ  
وَنَاسٌ مِنْهُ كَانَ بِهِمْ نُفُورٌ

\*\*\*\*

---

(١) تحویر: ترجع.

إلى سمو الأمير الجليل الشيخ

### عبد الله بن الشيخ سالم الصباح<sup>(١)</sup>

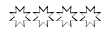
لَئِنْ لَمْ أَرْزُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مَحَلَّ مَنْ  
عَلَيَّ لَهُ فَضْلٌ يَجِلُّ عَنِ الشُّكْرِ  
كَفَضْلِ أَبِيهِ الْحُرِّ سَالِمِ الَّذِي  
أَبَى حُبَّهُ إِلَّا التَّمَكُّنَ فِي صَدْرِي  
فَمَا انْفَكَّ قَلْبِي أَبَبًا مِنْهُ ذَاهِبًا  
إِلَيْهِ لِعَمْرِي طَوْعَ أَشْوَاقِهِ الْكُثْرِ  
وَلَوْ أَنَّنِي أَسْطِيعُ وَحْدِي أَزْدِيَارَهُ  
لَكُنْتُ إِلَيْهِ الدَّهْرَ مَتَّصِلَ السَّيْرِ  
وَلَكِنِّي مَا سَرْتُ وَحْدِي مَرَّةً  
فَعُدْتُ وَلَمْ تَجْرَحْ جَبِينِي يَدُ الْجُدْرِ  
كَأَنَّ لَجْدِرَانَ الْكُوَيْتِ جَمِيعَهَا  
عَلَيَّ تِرَاتٍ غَيْرُ مَنْسِيَّةِ الذِّكْرِ  
فَهَنْ مَتَى أَبْصَرُنِي دُونَ قَائِدٍ  
رَدَدْتُ نَظْمِي الصَّبْرِ مِنِّي إِلَى نَثْرٍ  
أَظُنُّ كَأَنِّي كُنْتُ بِالْأَمْسِ وَاتِرًا  
وَهُنَّ بِصَفْعِي الْيَوْمَ يَأْخُذْنَ بِالْوَثْرِ

(١) كان من عادة صقر أن يزور المرحوم الشيخ عبدالله سالم الصباح أسبوعيًا، وبعد عزلته انقطع عن زيارة الشيخ عبدالله سالم، فأرسل هذه القصيدة يوضح فيها أسباب عدم الزيارة وذلك بعد أن أرسل إليه المرحوم عاتباً عليه في انقطاعه.

فَيُسَلِّمُنِي هَذَا لَذَاكَ بِصَفْعَةٍ  
وَذَاكَ إِلَى هَذَا بِصَفْعٍ لَهُ مُرٌّ  
وَلَيْسَ لِعُكَازِي وَإِنْ طَالَ مِنْ غِنَى  
تَجَاهِ صَنِيعِ الْجُدْرِ أَوْ أَنْمَلِي الْعَشْرَ  
فَأَبْقَى شَرِيدَ اللَّبِّ حَتَّى يُتَّحَ لِي  
كَرِيمٌ عَنِ الْإِسْعَافِ لَيْسَ بِمُرْزُورٍ  
فَيَرْجِعُ بِي لِلْبَيْتِ أَشْكُرُ فَضْلَهُ  
وَطَوْرًا أَنْالُ الْجُدْرَ بِالْمَنْطِقِ الْهَجْرَ  
وَمَا كَانَ قَوْلُ الْهَجْرِ خُلْقِي وَعَادَتِي  
وَلَا بِمُبَيِّخٍ مَا بِصَدْرِي مِنَ الْحَرِّ  
وَلَكِنْ غَيْظُ الْمَرْءِ يُخْرِجُهُ إِلَى  
سِوَى عَادِهِ أَوْ ضِدِّ أَخْلَاقِهِ الْغُرِّ  
وَهَلْ لِمَغْيِظٍ مُحْنَقٍ مِنْ تَأْمُلٍ  
فَيَعْدِلُ عَنْ شَرِّ الْأُمُورِ إِلَى الْخَيْرِ  
فَمَا غَضِبَ الْغَضَبَانِ بَدْءًا وَغَايَةً  
سِوَى آفَةٍ مَغْتَالَةِ الْعَقْلِ وَالْفِكْرِ  
فَكَمْ غَضِبَ الْقَى عَلَى عَقْلٍ عَاقِلٍ  
مَنْ السُّتْرُ مَا تُلْقِي عَلَيْهِ يَدُ الْخَمْرِ  
فَقَدْ يَنْدُمُ الْغَضَبَانُ بَعْدُ كَأَنَّهُ  
مُفِيقٌ جَنَى كِبَرَى الْجَنَائِيَاتِ فِي السُّكْرِ  
وَأَعْرِفْ فَضْلَ الْحِلْمِ لَكِنْ مَتَى يُسِيءُ  
إِلَيَّ مَسِيءٌ أُنْسَ مِثْلَ الْوَرَى غَيْرِي  
وَهَلْ يَغْضَبُ الْإِنْسَانُ لَوْ عَاشَ ذَاكِرًا  
جَمَالَ مَزَايَا حِلْمِهِ الْجَمَّةِ الزُّهْرَ  
فَأَوَيَ إِلَى بَيْتِي وَثَوْبِي لَا تَرَى  
بِهِ أَوْ بِجَسَمِي مَوْضِعًا غَيْرَ مُغْبَرٍّ

فـيـتـركـُنـي ذاك الـفـتـى بـعـد قـولـه  
أرى لك أن تبقى من البيت في العُقرِ  
فما لـخـريـرٍ في فـراقٍ مـكانـه  
من الـريـح إلا ما يـقـلُّ عن الخُسـرِ  
فلست أرى ربـحاً وإن جَلُّ وافياً  
بما تركت في وجهك الجُدرُ من حَفَرِ  
وما رَقَّتِ الجُدران يوماً لحالتي  
وهل رَقَّةٌ للطين تُرجى أو الصَّخَرِ  
وإن أنج منها لم أعد قط ناجياً  
إلى منزلي من وقعة بي للحُمَرِ  
فكم أوجعتُ صدري صلابُ صدورها  
وكم عَفَرْتُ ظهري بطرحي على العُقرِ  
ولم يرث لي من قد أقَلَّتْ ظُهورُها  
لِقَلَّةِ ما فيهم من الفهم والحِجَرِ  
كأنني لـديهم للحمير مـمازحُ  
فليس لـديهم غيرُ ضحكهم المُزري  
فمهما أقعُ مستلقياً لا تجد فماً  
على منظري من جَهِلِهِمْ غيرَ مُفْتَرٍ  
كأنهم شاءوا بإرسال ضحكهم  
زيادةً ما قد ألحقوني من الشرِّ  
وإن كان فيهم عاقلٌ كان عقلُهُ  
بـمـشـبـهٍ شـتـمـي من ملامي له يُغري  
فهذا له ضحكٌ وذاك ملامةٌ  
خلال نهيقٍ من حَميرِهِمْ نُكْرِ  
فتسمع أذني ما أودُّ لأجله  
بأن على أذني رتاجاً من الوُقرِ

ويا ربما فارقتُ قبلَ فراقهم  
صوابي أوقد غبتُ عنه على الإثر  
فأمضي بلا رُشدٍ كأنني سفينَةٌ  
بملتطم الأمواج من لُججِ خُضُرٍ  
وقد كسَرتُ منها يدُ الموجِ دَفَّةً  
وما لذويها بالنجارةِ من خُبَرٍ  
فَظَلْتُ بهم تجري إلى غيرِ وجهةٍ  
بغيرِ الذي ينوونَ من جهةِ العُبرِ<sup>(١)</sup>  
تميلُ بها للقصدِ طوراً وتارةً  
تميلُ بها عنه يدُ الريحِ بالقَسرِ  
فأمشي بأتناء الشوارعِ تائهاً  
كمكسورةِ السُّكانِ في وسطِ البحرِ  
إلى أن يراني راحمٌ فيكون لي  
دليلاً ويثني عسرَ أمري إلى يُسرِ  
فيوصلُني بيتي يُحدِّثُني بما  
يَراهُ يوَدِّي كسرَ قلبي إلى جَبَرٍ  
ولم أرَ أمثالَ الأنعامِ تباعدوا  
طِبَاعاً على رغمِ التقاربِ بالنُّجَرِ<sup>(٢)</sup>  
فهذا يؤاذيني وهذا يقوم لي  
بنفي الأذى في السرِّ عَنِّي والجَهْرِ  
ملائكةُ بعضِ الأنعامِ وبعضُهم  
شياطينُ إلا بالمنظرِ والجِذرِ



---

(١) العبر: الشاطئ.

وكم حَوَّلَتْ سِيَارَةً بِصَفِيرِهَا  
أَنَامَلَ كَفِي الحُمُرِ خَوْفًا إِلَى صُفْرِ  
وَقَدْ يَصْفِرُ الدَّرَاجُ حَوْلِي غَافِلًا  
لَأُبْعِدَ عَنْهُ أَوْ يُنَبِّهَ بِالنُّقْرِ  
فَأُرْعِدُ دُعْرًا مِنْهُ حَتَّى كَأَنَّمَا  
تَمَشَتْ بِجِسْمِي كُلُّهُ رِغْدَةُ الْقُرِّ  
وَلَا غُرُو أَنْ خَافَ الدَّوَاهِسَ جَاهِلُ  
وَجْوهَ المَنَاجِي مِنْ حَوَادِثِهَا الغُبْرِ  
فَكَمْ رُمْتُ أَنْجَى الْفَرِّ مِنْهَا فَكَانَ مَا  
أَتَيْتُ بِهِ إِذْ ذَاكَ مِنْ أَهْلِكَ الْكَرِّ



وَلَسْتُ أَرَى لِي قَائِدًا مَتَطَوُّعًا  
يُلَبِّي مَتَى نَادَيْتَهُ بُغْيَةَ الْأَجْرِ  
وَمَا قَلَّتِ الْقُودُ لَكِنْ جُلَّ هَمُّهُمْ  
بِمَا يَبْتَغِي مِنْهُ الْمَقُودُونَ لَا يَدْرِي  
وَمَنْ يَدْرِي يَعْقِلُ فَالْجَنِيْبُ لَجَنِبِهِ  
مَنْ الْعُمِّي يَطْوِي الطُّرُقَ مَعَهُ عَلَى دُعْرِ  
فَمَا كُلُّ مَنْ قَادَ الضَّرِيرَ بِكَائِنْ  
عَلَى حَسْبِ مَا يَهْوَاهُ فِي الْمَسْلَكِ الْوَعْرِ  
وَمَنْ دَقَّ مِنْهُ الْحِسُّ لَمْ يُلَفِّ قَائِدًا  
كَمَا يَتَمَنَّى إِذْ يُبَكِّرُ أَوْ يَسْرِي  
فَمَا دَقَّةُ الْإِحْسَاسِ إِلَّا بَلِيَّةٌ  
وَإِنْ عَدَّهَا نَعْمَاءَ كُلِّ امْرَأَةٍ غَيْرُ  
فَلَوْلَمْ يَدِقَّ الْحِسُّ مِنِّي لَمْ يَعُدْ  
عَلَى صِغَرِي يَبْيِضُ مَا اسْوَدَّ مِنْ شَعْرِي



وأما الذي يشفي ويكفي فإنه  
إلى عَقَوَتِي من شِقَوَتِي غير مُنْجَرٍّ<sup>(١)</sup>  
فأرمي إذا شئتُ الخروجَ بمَقودِي  
لزيدٍ على حُكْمِ الضرورةِ أو عمرو  
فأَمْشي كما يهواه من ثِيْبِ المِشْيِ  
إلى جنبه مستسلماً ومن البكر  
فكم مشية لا عهد لي بمثيلها  
تمشَّيْتُها بين التَعَثُّرِ والطُّمْرِ<sup>(٢)</sup>  
ولو أنني قد نلت أَرْأَفَ قَائِدٍ  
وأرحم حتى من أبي المَشْفِقِ البَرِّ  
وقلت لنفسي تلك منيتك التي  
أطلت تمنيتها فقَرِّي بها قَرِّي  
وسايرني يوماً على متن منهجٍ  
سَوِيٍّ، خَلِيٍّ من مخاطِرِهِ، قَفَرٍ<sup>(٣)</sup>  
لعنَّ من الجُبْنِ الذي هُوَ فِطرتي  
هنالك ما يثني سكوني إلى نَفَرٍ  
فما ينتهي بي من سبيلٍ نَجْوُها  
ولم يطوِ قلبي الخوفُ منها على فِطْرِ<sup>(٤)</sup>  
وليس له ذنبٌ ولكن سَجِيَّتِي  
لها وحدها الذنبُ الذي جَلَّ عن غَفْرِ  
وأما إذا قَادَنِي من ضَرورَتِي  
إليه رَمَتْ بي من ذوي الوَثْبِ والطُّفْرِ

---

(١) العقوة: ما حول الدار والساحة.

(٢) الطمر: الوثوب.

(٣) المنهج: الطريق الواضح.

(٤) الفطر: الشق.

فلا تسألن عن حالتي إنَّ حالتي  
لأدمع حتى من قَلَوْنِي تستَـذري  
فلو أبصرتْ عَيْنُ العَتِيبِيَّ بعضَهم  
وقد أمسكتْ يَمْنَاهُ أَنْمَلَتِي «صَقْر»  
لَهُمْ كَمَا تَقْضِي المودَّةَ مشفقًا  
بَنَهْرِي على إِفلاتِي البيتَ أو زَجْرِي  
وقال أرى يا صَقْرُ - ما دمت لا ترى  
طريقَكَ - أن تبقى مدى الدهرِ في الوَكْرِ  
فليس لصَقْرٍ أن يُبَارِحَ وَكْرَهُ  
إذا سَدَّتِ العَيْنَيْنِ مِنْهُ يَدُ الضُّرِّ  
فما طارَ مكفوفُ الصُّقُورِ فسألَمَتْ  
جَنَاحِيهِ قَبْلَ اليومِ عاديةَ الكَسْرِ  
فلا تجمَعَنَّ كَسَرَ الجَنَاحِ إلى العمى  
فجمعهُما يا «صَقْر» قاصمةَ الظُّهْرِ  
فكن أَبَدًا حِلْسًا لبيتِكَ لازِمًا  
لِكِسْرِيهِ حتى ينقُـلوكَ إلى القَبْرِ  
فلو شاءَ رَبِّي غَيْرَ ذلكَ لم يَكُنْ  
بِعَيْنِيكَ من كَفٍّ وكَفٍّ من عُسْرِ  
وها أنا لم أخرجُ من البيتِ ساعةً  
إلى من نأى أو من دنا غيرَ مضطَّرٍّ



كأنَّ إلهي شاءَ قَبْلَ تَرْحُلي  
إلى العالمِ المستورِ غَسْلِي من الوِزْرِ  
وليس لوزري غاسلٌ مثْلُ شِقْـوَتِي  
فأسْبَغَ منها ما يفي لي بالطُّهْرِ



لهاتيكُمُ الأسبابِ قَلْتُ زيارتي  
وإن كنتُ من شوقي إليكم على جَمْرٍ  
فلم أَسْلُ عن أَفْقِ عَهْدَتِكَ بَدْرُهُ  
وأَمْجَادُ أَصْحَابِي به هَالَةُ البَدْرِ  
وما كلُّ مَنْزُورِ اللِّقَاءِ بِنَاشِيٍّ  
لِعَمْرِي عن قُلٍّ من الشَّوْقِ أو نَزْرِ  
فيا رَبِّ ذِي وَصْلٍ كَثِيرٍ بلا هَوًى  
وأخِرُ تَلْقَاهُ على عَكْسِهِ يَجْرِي



أَمُولَايَ عَبْدَ اللَّهِ أَحْلَفُ بِالَّذِي  
أُؤَمِّلُ مِنْهُ أَنْ يَزِيدَكَ فِي الْعُمُرِ  
وَأَنْ لَا يَرِيكَ الدَّهْرُ سَوْءًا بَأَن لِي  
إِلَيْكَ اشْتِيَاقُ الْمُجْدِبِينَ إِلَى الْقَطْرِ  
ولكن لأسبابٍ كَشَفْتُ وَجْوهَهَا  
بِمَا مَرَّ مِنْ قَوْلِي فَجِئْنَا بِلا سِتْرِ  
غَدَوْتُ مُقِلًّا مِنْ زِيَارَتِكَ الَّتِي  
يَقِلُّ عَلَى إِقْلَالِ أَمْثَالِهَا صَبْرِي  
فإن تَلَقَّ عُذْرِي بِالْقَبُولِ فَذَاكَ مَا  
رَجَوْتُ وَلَمْ أَتْرُكْ حِجَابًا عَلَى عُذْرِي



### في اسمه

يقولون لي يا صقرُ ما لك واقعاً  
من الكَفِّ عن طَيْرِ القَرِيضِ على وَكْرِ  
إذا لم تُحَلِّقْ في فضا الشُّعْرِ صائداً  
طيورَ مَعَانِيهِ فما أنتَ بالصُّقْرِ  
وما علموا أن المقاديرَ قد رَمَتْ  
جناحيَّ عن قوسِ الحوادثِ بالكُسْرِ  
إلى الله أشكو أنني في معاشِرِ  
رأوني من الإعسارِ كالواوِ في عَمَرِ

\*\*\*\*

## صرخة في العرب في أثناء جهاد فلسطين

بني يعرب من كل ذي نجدة حرّ  
فلسطين مستتها يد العسف والجور  
وانتم لها نعم العتاد فهيئوا  
قواكم وسيروا نحوها أسرع السير  
ولا تقعدوا حتى ولو لم يكن لكم  
سلاح سوى الإيمان والحق والصبر  
أجمع شذاذ اليهود نفوسهم  
وما ملكوا من وافر البيض والصفر  
لأخذ فلسطين العزيز مكانها  
ورمي أهاليها بقاصمة الظهر  
ولمّا نازلهم نزالاً يردّهم  
وقد يئسوا من مثلها آخر الدهر  
لئن لم يثرنا ما فلسطين تشتكي  
أذاه فإنّا في ضلال وفي خسّر  
عرفنا قديماً بالوفاء وإنني  
أرى عن فلسطين التخلّي من الغدر  
عجبت لجسم يستقرّ ويعضّه  
يقالّ به الظلم الشنيع على جمر  
شيوخ وأطفال صغار ونشوة  
تنن من البلوى وتشكو من الضرّ

فكم أيم تشكو هنالك شجوها  
وكم ثم من طفل لأدمعه يُذري  
وكم من أخي شيخوخة متجلد  
على ما به من كل محرجة الصدر  
وقد جاهدت شُبَّانهم وكهولهم  
جهاداً بهاليلٍ غطارفةٍ عُزٍّ<sup>(١)</sup>  
جهاداً به قد أعرب الكل منهم  
لعُرب الوري والعُجم عن كرم الجذر  
جهاداً فؤاد المجدي سر بوقعه  
وعادت له العليا باسمه التغر  
وما برحوا منه يُقيمون كل ما  
يُدال به عُرف الحقوق من النكر<sup>(٢)</sup>  
وقد أصبحت فرضاً معونتهم بما  
تصونون من غالي الحياة أو التبر  
لمن نُخرنا أموالنا ونفوسنا  
إذا ما رغبتنا عنهم اليوم بالذخر  
وما قولنا لله إن لم نُعينهم  
إذا ما وقفنا معهم وقفة الحشر  
إلى قومنا قوموا بنا فلقد شجت  
مصيبتهم حتى الأصم من الصخر  
لنشهد معهم ما به يُحرز الفتى  
شهادته أو يجتني ثمر النصر  
فما المرء إلا من يشارك قومه  
من العيش في حلو المذاقة والمُر

(١) البهاليل: جمع بهلول، وهو السيد الجامع لكل خير. والغطارفة: جمع غطريف وهو السيد.

إذا كان عُمُرُ المرءِ حَتْمًا سَيَنْقُضِي  
فَفِي مِثْلِ مَا هَبَّوْا لَهُ يَا دَمِي فَاجِرِ  
نَسُورٍ وَأَسَادٍ سَعَى كُلِّ ظَالِمٍ  
لِإِخْرَاجِهَا ظُلْمًا مِنَ الْغَابِ وَالْوَكْرِ  
فَعَزَّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَكُونُوا فِرَائِسًا  
يَمْرِقُهَا الطُّغْيَانُ بِالنَّابِ وَالظُّفْرِ  
فَهَبَّوْا كَمَا تَقْضِي الْعُلَا عَنْ حِمَاهُمْ  
يَذُودُونَ ذَوْدَ اللَّيْثِ ضُويْقَ وَالنَّسْرِ  
فَإِنْ تَنْجِدُوهُمْ يَا بَنِي الْعَرَبِ تُنْقِذُوا  
نَفُوسَكُمْ لَا غَيْرَهَا مِنْ يَدِ الشَّرِّ  
وَمَا لَكُمْ إِنْ لَمْ تَقُومُوا بِنَصْرِهِمْ  
لَدَى اللَّهِ وَالْإِنصَافِ وَالْمَجْدِ مِنْ عُذْرٍ  
وَمَنْ ذَا يَرَى عُذْرًا مِنَ النَّاسِ لِلأُلَى  
إِلَى يَعْزِبِ مَتَّوَا بِأَصْرَةِ النَّجْرِ<sup>(١)</sup>  
إِذَا قَعَدُوا عَنْ نَصْرِ إِخْوَانِهِمْ بِمَا  
لَدَيْهِمْ مِنَ الْأَرْوَاحِ جَبْنًا أَوْ الْوَفْرِ  
وَهَلْ مِنْ أَوَانٍ مِثْلِ هَذَا لَطَالِبٍ  
رَضَى اللَّهَ فِي بَذْلِ الْحَطَامِ أَوْ الْعُمَرِ  
عَفَاءً عَلَى غَيْرِ الْمَعِينِ بِمَا لَهُ  
وَمَهْجَتِهِ إِخْوَانُهُ سَاعَةَ الْعُسْرِ  
أَمَا يَتَّقِي سُخْطَ إِلَهِ يَصُبُّهُ  
عَلَى رَأْسِهِ أَوْ يَسْتَحِي مِنْ ذَوِي الْحِجْرِ<sup>(٢)</sup>  
أَلَا مَا الَّذِي غَرَّ الْيَهُودَ فَأَمَّلُوا  
حَصُولًا عَلَى مَا لَا يُنَالُ مِنَ الْأَمْرِ

---

(١) النجر: الأصل.

(٢) الحجر: العقل.

ألم يعلموا أَنَّا بَنُوءُ الجِرَاءَةِ الَّتِي  
يَحُولُ بِهَا سَهْلُ الطُّغَاةِ إِلَى وَعَرٍ  
وَأَنَا الشُّجَا فِي حَلْقِ كُلِّ مُحَاوَلٍ  
لَدِينَا وَلَوْ أَخَذَ الْقَلَامَةَ بِالْقَسْرِ  
وَأَنَا بَنُوءُ مَنْ لَمْ يَكُنْ قَطُّ مِنْهُمْ  
فَتَى جَفَنُهُ يَغْضِي عَلَى مَضَضِ الْوِثْرِ  
لَنَنْ جَاهِلُوا مَنْ نَحْنُ قَبْلُ فَكُلُّهُمْ  
سَيَصْبِحُ بَعْدَ الْيَوْمِ وَهُوَ بِنَا يَدْرِي  
أَلَا سَأَلُوا عَنَّا الْحُرُوبَ لِيَعْرِفُوا  
حَقِيقَتَنَا بَيْنَ الظُّبَى وَالْقَنَا السُّمُرِ  
أَلَا سَأَلُوا التَّارِيخَ عَنَّا لِيُغْتَدُوا  
عَلَى خَبْرَةٍ مِمَّا نَرِيشُ وَمَا نَبْرِي

\*\*\*\*